الشهداء الحميريون العرب
في
الوثائق السريانية



اغناطيوس يعقوب الثالث
بطريرك انطاكية وسائر المشرق

الشهداء الحميريون العرب

في

الوثائق السريانية

تأليف

اغناطيوس يعقوب الثالث
بطريرك انطاكية وسائر المشرق

(ظهر تباعاً في المجلة البطريركية — دمشق)

١٩٦٦

توطئـــة

في خزانتنا البطريركية ، مخطوطة سريانية ضخمة من القرن الثـــاني عشر . طولها ٣٩س وعرضها ٢٩س ، مكتوبة على الرق بالقـلم الاسطرنجيلي والحبر الاسود عدا رؤوس المواضيع التي هي بالحـبر الاحمر . وهي مبتورة ومخرومة ، وقـــد امحت الكتابة في بعض صفحاتها بتأثير الرطوبة . ونتيجة لتفككها في اوائل هـذا القرن جُعلت مجلدتين ، بلـغ عـدد اوراق المجلدة الاولى ٣٠١ والمجلدة الثانية ٢٢٣ . تشتمل المجلدة الثانية على سِير بعض آباء الكنيسة وملافنتها : مـــار افـرام السرياني ، مـــار يعقوب السروجي ، مار يوحنا التـلي ، مـــار يعقوب البرادعي وغيرهم ، وقصص بعض الشهداء والقديسين . وقـــد لفتت نظرنا مـا بين ورقتي ٤٢١ — ٤٢٥ قصـة عنوانها « قصة أي شـــهادة الطوباويين الحميريين الذين تـكللوا في مدينة نجرانـ » ، فطالعناها فألفيناها مشـــتملة على رسـالة ثانية لمار شمعون الارشمي ، انفذها في تموز سنة ٥٢٤ من حيرة جبلة ملك الغســـاسنة ، الى شمعون رئيس دير الجبول في سوريا الشمالية ، أي بعد بضعة اشهر من كتابته الرسالة الاولى اليه من حيرة النعمانـ ، مضيفاً الى ما جاء في الاولى اخباراً جديدة قيمة ، استقى بعضها من حديث بعض النجرانيين الذين شهدوا شهادة مواطنيهم ، ونقل الباقي عن رسائل وردت اليه من نجران « باللغة النجرانية » . انها ولا شـك وثيقة يتيمة ، يجهلها المؤرخون ، وهي تميط اللثام بنوع خاص عن ارثوذكسية مار شمعونـ الارشمي والشـهداء والمؤمنين الحميريين والاحبـاش وملكهم كالب ، ومدى علاقة هؤلاء بالحميريين اولاً وبارثوذكسي بلاد الفرس ثانياً ، وتصحح اخطاء بعض المؤرخين المتأخرين الذين احتطبوا في ليل بهيم ، وخبطوا خبط عشواء لامر في

نفس يعقوب ، وتثبت بالتالي ان مار شمعون نفسه هو مؤلف كتاب الحميريين ، الذي نشره مع ترجمته الانكليزية ، المستشرق السويدي اللامع الاستاذ اكسل موبرغ سنة ١٩٢٤ . وبما ان سلفنا الطيب الذكر البطريرك افرآم الاول برصوم ، كان قد كتب سنة ١٩٤٨ في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مقالة ضافية في وصف هذا الكتاب ، وفي النصرانية في بلاد الحميريين ، دون ان يطلع على هذه الوثيقة الجديدة الفريدة التي كانت في الخزانة المرقسية بالقدس يومذاك ، وحيث ان عمله هذا جاء ناقصاً بالنسبة اليها ، لذلك رأينا ان نخوض هذا الموضوع على ضوئها اتماماً للفائدة .

وقد طوينا كتابنا هذا على ستة ابواب وهي :

الاول – في النصرانية في البلاد الحميرية

الثاني – في الوثائق السريانية

الثالث – في الوثيقة الاولى – دراسة وتحليل

الرابع – في الوثيقة الثانية – دراسة وتحليل

الخامس – في الوثيقة الثالثة – دراسة وتحليل

السادس – في النصرانية في البلاد الحميرية بعد الفتح العربي الاسلامي .

هذا واننا لا نتوخى من وراء هذا العمل سوى خدمة الحقيقة والتاريخ ، والله ولي التوفيق اولاً وآخراً .

دمشق في ٢٩ حزيران ١٩٦٦ المؤلف

الباب الاول

في النصرانية في البلاد الحميرية

الفصل الاول

البـــلاد الحميريـــة

البلاد الحميرية ، هي المعروفة اليوم ببلاد اليمن ، وقـــد عرفت ايضاً عبر التاريخ ببلاد « سبأ »[١] « والهنـد »[٢] « والعربية السعيدة »[٣] « والحبشة »[٤] . وذلك لاختلاف الكتبة والمؤرخين في تسمية الشعوب المنتمية الى العرق الاسود .

اما لغتها فهي المعروفة « بالحميرية » وهي من اللغات السامية . كان لها قلم خاص يعرف « بالمسـند » ، فاستبدلته بالقلم السرياني كما اثبت العلماء الباحثون . ولا غرو فان السريانية كرواية السمعاني (المكتبة الشرقية ٣ : ٦٠٣) ، كانت قد تغلغلت في بلاد اليمن ، كما كانت قد تسربت الى سواحل افريقية ازاء بلاد العرب في بعض مستعمرات سورية كقول فيلوسترجيوس في القرن الرابـع[٥] . ومما يؤكد رواية السمعاني ما نسـبه الطبري الى الزرقي قائلاً : انه رأى قبراً عظيماً على رأس

---

١) هكذا لقب ملوكهم كما روت الآثار المكتشفة في جنوبي الجزيرة العربية (النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للاب لويس شيخو ١ : ٥٣) .

٢) هكذا سماها اوسابيوس القيسري في تاريخه الكنسي ٥ : ١٠ وايرونيموس الذي سمى رهبانها ب « رهبان الهند » وفيلوسترجيوس الذي سمى الحميريين ب « الهنود » (ك ٢ ف ٦) .

٣) هكذا سماها السـائح قوزما انديكوبلوستوس نحو سـنة ٥٣٥ . انظر ايضا دائرة المعارف البريطانية مج ٣ ص ٤٠٣ وقاموس الكتاب المقدس لوليم سميث ص ٩٧ .

٤) وذلك لنزوح عدة قبائل حبشية اليها ، ولاستيلاء الاحباش عليها مدة طويلة حتى في عهدهم الوثني .

٥) النصرانية وآدابها للاب شيخو ١ : ٥٩ .

جبل بالعقيق من ناحية المدينة ، عليه حجران عظيمان فيهما كتاب بالمسند ، فاحتملهما معه ثم القى احدهما وهبط بالآخر ، فعرضه على اهل السريانية هل يعرفون كتابته فلم يعرفوه . وعرضه على من يكتب بالزبور من اهل اليمن ومن يكتب بالمسند فلم يعرفوه[١] . فعرضه الحجر على أهل السريانية فور هبوطه من الجبل ، لدليل على انتشار السريانية في اليمن والحجاز عصرئذ . ومن اشهر مدن الحميريين وحواضرهم المذكورة في الوثائق السريانية المشار اليها : سبأ ، مأرب ، ذي‌ريدان ، ظفار ، حزبة ، تيمنة ، نجران ، هجران (هجرين) وحضرموت .

وكان ملوك الحميريين يلقبون في اول امرهم ب « ملوك سبأ وذي‌ريدان » ، حتى اذا استولوا على بلاد حضرموت في حدود سنة ٣٠٠ ، اضافوا « حضرموت ويمانات » ايضاً[٢] .

الفصل الثاني
النصرانية في البلاد الحميرية

لقد دخلت النصرانية البلاد الحميرية ، في صدرها . بل اكد مار افرام[٣] ، ومار يعقوب الرهاوي[٤] ، ومار ديونيسيوس ابن صليبي[٥] وغيرهم من المفسرين السريان ، ان الخصي الذي عمّده الشماس فيلبس المبشر بالذات (اع ٨ : ٢٧) ، كان وزيراً لقنداقة ملكة سبأ ، لا الحبشة ، أي كان حميرياً لا حبشياً . ومما اثبته المؤرخون الثقات ، ان برتولماي الرسول كان اول من دعا الى النصرانية فيها وفي الحجاز[٦] وقد نصر خلقاً من سكانها ، وخاصة من اليهود ، الذين ترك لهم نسخة

---

١) تاريخ الطبري مجلد ٢ ص ٢٤ .
٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ١ : ٥٣ .
٣) ميمره الشهير في الجوهرة .
٤) رسالته الى يوحنا الاثاربي .
٥) مقدمة كتابه المعروف ب « الفصول العشرة » .
٦) التاريخ الكنسي لاوسابيوس القيسري ٥ : ١٠ . وتاريخ الطبري مج ٢ ص ٢٤ وتاريخ ابن خلدون مج ٢ ص ١٥٠ .

من انجيل متى باللغة السريانية الفلسطينية التي عرفت عصرئذ بالعبرية ايضاً ، فوجدها لديهم الفيلسوف الاسكندري الشهير القس بنتينوس استاذ المدرسة الاسكندرية اللاهوتية ، الذي توغل في تلك البلاد في أواخر القرن الثاني مبشراً بالانجيل[١] .

وفي القرن الثالث ضمت نجران واليامة الى ابرشية اسقفية أنشئت في قطر[٢] وفي القرن الرابع أنشأ عبد يشوع الناسك السرياني في جنوبي قطر ، ديراً باسم مار توما ؛ زاره نحو سنة ٣٩٠ مار يونان الناسك احد تلاميذ مار اوجين ؛ فوجده آهلا بمئتي راهب . فأقام ثم مدة ، يقضي الصلوات مع الرهبان بالسريانية[٣] .

وفي حدود سنة ٣٥٤ بعث القيصر قسطنطيوس الاريوسي ، الى البلاط الحميري ، وفداً برئاسة تاوفيلس السيلاني الهندي ؛ فنصر الملك ، وبنى في بلاد حمير ثلاث بيع ، كما اكد المؤرخ فيلوسترجيوس . وقد شهد مؤرخو العرب بنصرانية كثير من ملوك اليمن ، منهم عبد كلال بن مثوب الذي ولي الملك بسن وتجربة وسياسة حسنة[٤] .

وفي اوائل القرن الخامس ، عرف في نجران تاجر وثني معتبر اسمه حيّان ، سافر ذات يوم الى القسطنطينية في تجارة ، وعاد الى بلده ؛ ثم شخص الى بلاد فارس ، ومر بالحيرة حيث ألف النصارى وعرف مقالتهم ، وتنصر واعتمد[٥] . ولما عاد الى نجران ، اوقف قومه على بطلان الشرك ؛ وهدى الى النصرانية اسرته وخلقاً من اهل نجران والبلاد الحميرية الاخرى المتاخمة للحبشة ايضاً[٦] . اما عنايته

---

١) التاريخ الكنسي لاوسابيوس القيسري ٥ : ١٠

٢) الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة للبطريرك افرام الاول برصوم مج١ ص٣٩٠ .

٣) اخبار الشهداء والقديسين طبعة بيجان ١ : ٤٨٦ و٤٨٨ .

٤) الطبري مج٢ ص٨٦ .

٥) جاء في مقالة وصف كتاب الشهداء الحميريين للبطريرك افرام الاول برصوم ص٢ ان حيان تنصر في القسطنطينية ، استناداً الى كتاب الحميريين السرياني ص٣١ و٣٢ . والحال ان هذا المصدر يذكر عنايته بنشر الدين المسيحي في بلاد الحميريين فقط لا غير .

٦) تاريخ سعرت للنساطرة طبعة المطران ادى شير القسم الاول ص٣٣٠ و٣٣١ وقد ورد فيه ان وجوده كان في عهد يزدجرد (الاول) الفارسي ٣٩٩ ـ ٤٢٠ الا انه سماه خطأ حنان بدلا من حيان .

بنشر الدين المسيحي في بلاد الحميريين ؛ فقد اكدتها حفيدته الشهيدة النجرانية حبصة ابنة حيان الصغير كما سيأتي[1] . وهو الذي سماه مؤرخو العرب فيميون . وفي هذا القرن ازهر الدين المسيحي في نجران خاصة ، بعد ان تنصرت قبيلة الحارث بن كعب اليمنية الكبيرة . ومن مخاطبة الشهيدة النجرانية الشريفة رومي بنت ازمع للنساء النجرانيات « المسيحيات واليهوديات والوثنيات »[2] ، وهي تطوف الشوارع في طريقها الى الشهادة سنة ٥٢٣ ؛ ومن قول الشهيد ملك بن معاوية من قبيلة يقبول في فناء كنيسة نجران « اسمعوا ايها المسيحيون والوثنيون واليهود »[3] ، ومن قول الشهيدة حبصة بنت حيان للملك اليهودي المضطهد : ان حيان ابي حرق مرة مجمعكم وان المسيح سيستأصل مجامعكم من بلادنا ، يبدو انه كانت لا تزال وقتئذ في نجران بقية من اليهود والوثنيين . يؤيد هذا تنصر الشريف ضب واستشهاده بعد ان كان قاضياً مضطهداً للمسيحيين ، وشخوص افعو الشريف النجراني الوثني وسفير الملك ، بعد الاضطهاد ، الى الحيرة حيث تنصر واعتمد في بيعتنا على يد الارشمي[4] .

وانتشرت الكنائس في البلاد الحميرية ، ولا سيما في نجران وظفار ومأرب والمهجران (هجرين) وحضرموت[5] ، فأضحت نجران كرسياً اسقفياً في العقد الثاني من القرن السادس[6] .

هكذا بذر بعض الرسل والمبشرين مبادىء الدين المسيحي المبين في تربة البلاد الحميرية وما جاورها من البلاد في جنوبي الجزيرة العربية ، فعزف الكثيرون من اهلها عن اليهودية والوثنية والشرك .

---

١) رواية الشهيدة حبصة في كتاب الحميريين السرياني ص٣١ و٣٢ ،

٢) راجع الرسالة الاولى لمار شمعون الارشمي .

٣) راجع الرسالة الثانية للارشمي .

٤) راجع هذا كله في كتاب الحميريين السرياني ص٢٣ و٢٤ و٣٢ .

٥) راجع الرسالة الثانية للارشمي ، خاصة عن استشهاد قسوس حضرموت : ايليا ، توما ، وائل ، وتوما آخر ، وعناوين الفصول : ٨ و٣٠ و٣١ و٣٢ من كتاب الحميريين السرياني

٦) لقد اخبر الارشمي في رسالته الثانية ان مار بولس كان اول اسقف لنجران ، وقد رسمه القديس مار فيلوكسينوس المنبجي (+ ٥٢٣) .

ومن العجيب الغريب ان يقول الاستاذ (الاب) الحداد الرومي الكاثوليكي ان « المسيحية كانت اصيلة عريقة في مكة ؛ ولكنها لم تنصر اهلها بل نقلتهم من الوثنية الى الشرك[1] . لا ندري كيف تكون المسيحية اصيلة وعريقة فيها ؛ وفي الوقت نفسه لم تنصر اهلها بل نقلتهم من الوثنية الى الشرك ! فاذا كانت المسيحية قد دخلت تلك البلاد ؛ منـــذ صدرها ؛ كما رأيت ؛ فكيف لم تنصر اهلها ؟ فهل تواطأ اولئك الرســـل والمبشرون مع اهلها على ان ينقلوهم فقط من الوثنية الى الشرك ؟ أهذا ما امرهم به سيدهم القائل : « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » ؟ فكيف يتفق هذا والشرك ؟ انه ولا شك افتراء سافر على دعاة النصرانية الغر الذين افنوا زهرات حياتهم في سبيل نشرها ؛ وهم من عرفت من خيرة المبشرين . فالقديس برتولماي ؛ احد الرسل الاثني عشر . وبنتينوس ؛ فيلسوف كبير ولاهوتي خطير ، وكفاه فخراً كونه اســـتاذ المدرسة الاسكندرية اللاهوتية الشهيرة . والرهبان الذين سكنوا تلك الاقطار ؛ لم يكونوا اقل تفهما للعقيدة المسيحية الصحيحة من الاستاذ الحداد . اما حيان (فيميون) فقد شهد له المؤرخون بصراحة بانه اوقف الناس على بطلان الشرك . فقد قال لسيده : « انما انتم في باطل وان هذه النخلة التي تعبدونهـا ؛ لا تضر ولا تنفع ؛ لو دعوت عليها الذي اعبده اهلكها وهو الله وحده لا شريك له » . وكذلك عبدالله بن الثامر ايضاً دعا في نجران الى توحيد الله[2] . وما أجمل ما قالته الشريفة رومي بنت ازمع الشهيدة الآنفة الذكر حين عرض عليهـا المضطهد اليهودي الكفر بالمسيح وبصليبه والتهود ؛ « حاشا لي ان اكفر بالمســيح الاله الذي آمنت به ؛ واعتمدت وبناتي باسم الثالوث الاقدس ، وانا ساجدة لصليبه ؛ ومن اجله اموت مسرورة انا وبناتي مثلما تألم هو بالجسد من اجلنا »[3] . ومـــا احلى ما قاله الشهيد الحارث النبيل : « اننا نكفر بكل من لا يعترف بان المسيح هو الاله وابن الاله ... ها انني اسم نفسي ورفاقي كعادتنا ؛ بسمة الصليب الحية ؛ باسم الآب والابن والروح القدس[4].

---

١) راجع كتابه « القرآن والكتاب » ٢ : ٩٨٦ .

٢) الطبري مج ٢ ص ١٠٤ و١٠٥ . ومعجم البلدان لياقوت الحموي مج ٨ ص ٢٥٩ – ٢٦٠ .

٣) الرسالة الاولى المجملة للارشمي في تاريخ زكريا الفصيح مج٢ ص ٦٣ -٧٤ .

٤) الرسالة الاولى (المطولة) للارشمي في اخبار الشهداء والقديسين طبعة بيجان ١ : ٣٨٩ و٣٩٠ .

الفصل الثالث

ارثوذكسية النصارى الحميريين

في سنة ٤٢٨ جلس نسطور السرياني المرعشي والقس الانطاكي ، على كرسي بطريركية القسطنطينية[١] . وما عتم ان صرح ، خلافاً للتقليد الكنسي ؛ بان العذراء مريم لم تلد كلمة الله بل انساناً بحتاً هو المسيح ، ولذلك لا يجوز ان تدعى والدة الاله . اما المسيح فلم يكن الهاً ولا ابن الاله ؛ بل انساناً اضحى في الثلاثين من عمره هيكلًا لكلمة الله الذي انفصل عنه في اثناء صلبه ، فكان المصلوب من ثم انساناً بحتاً . وبما ان المسيح كان هيكلًا فقط للكلمة ، لم يكن هنالك أي اتحاد بين المسيح والكلمة ، بل كانت ذات كل منهما مستقلة عن الاخرى[٢] . وكنتيجة لهذا الاستقلال ؛ فقد كان للمسيح اقنومان ، وطبيعتان تفعل كل منهما ما يخصها بمعزل عن الاخرى .

وفي سنة ٤٣١ حرمه المجمع المسكوني الثالث الملتئم في افسس برئاسة القديس كيرلس الاسكندري ، مسفهاً رأيه . وقد عرف قرار هذا المجمع بعدئذ بالتقليد الكيرلسي . وفي سنة ٤٥١ وافق المجمع الخلقيدوني على قسم من التقليد الكيرلسي وهو ان العذراء مريم هي والدة الاله ؛ وان للمسيح اقنوماً واحداً . بيد انه تبنى قسما من تعليم نسطور وهو ان للمسيح طبيعتين ؛ وان المصلوب كان انساناً بحتاً . فانشطرت المسيحية اثنين . وفي سنة ٤٧٦ اتحدت بكراسيها : الانطاكي ، الاسكندري ، القسطنطيني ، الاورشليمي وغيرها ، مجمعة على التقليد الكيرلسي .

---

١) قال الاستاذ الحداد « هذا هو التوحيد المسيحي الكتابي الذي كان يدعو اليه بحيرى ونسطور وورقة بن نوفل بين العرب » (القرآن والكتاب ٢ : ٤١٥) مع العلم ان نسطور كان اولاً قساً في انطاكية ثم بطريركاً في القسطنطينية كما رأيت .

٢) قال الاستاذ الحداد « ان النسطورية تجعل من « كلمة الله » ومن عيسى ابن مريم ذاتين اتحدتا اتحاداً سطحياً ، فالمسيح عيسى ابن مريم ليس ابن الله ، وامه ليست « ام الله » ولو ولدت « كلمة الله » التي القاها اليها » (القرآن والكتاب ٢ :٩٨٧) والصحيح ان النسطورية لا تقول قط بالاتحاد ولو كان سطحياً ، كما انها لا تقول بان مريم ولدت « كلمة الله » بل الانسان المسيح فقط ، الذي صار هيكلا لكلمة الله في الثلاثين من عمره كما رأينا اعلاه .

فاصبح القول بالطبيعة الواحدة ، عقيدة الدولة الرسمية حتى سنة ٥١٨ ، وذلك في عهد القياصرة باسيليسكوس وزينون وانسطاس[1] .

وفي سنة ٤٨٠ لجأ اساطين النسطرة الى المملكة الفارسية ؛ حيث وشوا لدى عاهلها فيروز ؛ بالارثوذكسيين ؛ بانهم يتجسسون على بلاده لحساب الروم ؛ فصلب القديس بابويه جاثليق المشرق ؛ ومدّ النساطرة بفرزة من الجيش ليطوفوا بها الكنائس الارثوذكسية ويخضعوها لمذهبهم عنوة . ومع شدة الاضطهاد ؛ فقد ظلت هنالك كنيسة سريانية معتبرة ؛ امينة على التقليد الكيرلسي السديد ؛ ومرتبطة بالكنيسة السريانية الانطاكية الام . وقد ترأسها طيلة الربع الاول من القرن السادس مار شمعون الارشمي الآنف الذكر ؛ الذي طاف البلاد بتشجيع قباد بن فيروز (٤٨٨ - ٥٣١) ؛ وجمع تواقيع الارثوذكسيين التي صدقت بخاتم قباد وحفظت في تكريت[2] .

أما المؤمنون الحميريون فكانوا في مأمن من هذه الشدة ؛ اذ كانت بلادهم مستقلة عن الدولة الفارسية ، ما ساعدهم على الاحتفاظ بعقيدتهم الارثوذكسية القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح بعد الاتحاد ؛ وهي العقيدة الرسمية لدولة الروم عصرئذ كما اسلفنا .

ومع ان ارثوذكسية الحميريين ثابتة لا تحتاج الى برهان ؛ فقد تعرض لها الاب انطون صالحاني اليسوعي ناشر تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ٤٨ قائلاً : ان نصارى نجران لذلك العصر كانوا مستمسكين بعروة الايمان الكاثوليكي منتهى الاستمساك . ومنهم الملك الحرث الذي اثبتت البيعة اسمه في جريدة القديسين . وكان الملك المشار اليه ؛ موالياً لملك الحبشة السبان ولملك الروم يوستينوس الاول الذي استنجد ملك الحبشة للأخذ بثأر شهداء نجران . ومن المسلم ان هذين الملكين كانا

---

١) راجع تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج٢ ص٢٣١ و٢٣٢ و٢٣٩ - ٢٤٨ و٢٨٠ و٢٨١ و٢٨٧ - ٢٩٧ .

٢) سيرته في كتاب سير النساك الشرقيين تأليف مار يوحنا الافسسي مج١ ص١٥٤ - ١٥٦ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ٣ ص ٨٥ ودفقات الطيب للمؤلف ص ٣١ و٣٢ .

على العقيدة الكاثوليكية » (كـــذا) . ورداً على هـذا نقول : اذا كانت البيعة الرومانية قد اثبتت اسم الحارث الحميري في جريدة القديسـين ، فقد اثبتته كنيستنا ايضاً . كيف لا وقـــد حث مـار شمعون الارشمي في رسـالته الاولى الاسـاقفة الارثوذكسيين على عمل تذكار للحارث وصحبه الشهداء البواسل . اما بخصوص عقيدة السبان ملك الحبشة ، فدونك شهادة الدكتور اسد رستم . قال : « ورب معترض يقول : كيف اضطهد يوسـتينوس اصحاب الطبيعة الواحدة في بلاده ثم تعاون مع النجاشي كالب الذي كان يقول هو ايضاً بالطبيعة الواحدة ؟ ويجيب : ان الامبراطور يوستينوس يحمي ذمار النصرانية في كل المسكونة ، فيصغي لشكوى نصارى اليمن ويطلب الى النجاشي المونوفيسي ان يتدخل في تلك البلاد النائية لينصر النصارى على اليهود[١] . من هنا لم يكن ملك الحبشة كاثوليكياً خلقيدونياً بل ارثوذكسياً منا .

الفصل الرابع

البراهين الدامغة على ارثوذكسية الحميريين

اولاً — علاقتهم الوثقى بالحبشـة المتـــاخمة لهم والتي كانت هي الاخرى ارثوذكسية تقول بالطبيعة الواحدة للمسيح بعد الاتحاد . يبرهن على ذلك شخوص مار توما اسقف نجران الى الحبشـة في طلب النجدة ، قبيل حملة الحبشة الاولى على بلاد الحميريين[٢] .

ثانياً — اهتمام الآباء الارثوذكسيين بكنائسهم وبأمورهم الدينية . منهم مار فيلوكسينوس المنبجي الشهير ، الذي رسم في العقد الثاني من القرن السادس اول اسقف لنجران هو مار بولس . واذ استشهد هذا في ظفار رجماً بالحجارة من يهود طبرية نحو سنة ٥١٨ رسم لها اسقفاً ثانياً هو مار توما الآنف الذكر . ومنهم مـار

---

١) الروم ج١ ص١٦٨ وكنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج١ ص٣٩٠ .

٢) ورد هذا الخبر في عنوان الفصل الرابع من كتاب الحميريين السرياني ص٣ .

يوحنا التلي الذي رسم لحضرموت نحو سنة ٥١٩ القس الشهيد ايليا الذي كان قد تتلمذ في دير مار ابراهيم في مدينة تلا المجاورة للرقة(١) .

ثالثاً — اعتراف الشهداء الحميريين الصحيح بالمسيح ، في الاضطهاد الذي اثاره عليهم سنة ٥٢٣ ، مسروق الذي تهود وتملك على اليمن . فقد سألهم المضطهد ان يكفروا بالمسيح وبصليبه ويقولوا انه انسان لا اله قائلا : انكم انما تسجدون لشخص مائت ، ادعى انه ابن الله الرحمن في حين انه انسان . أما الآن فقد افتضح تعليمه الفاسد ، وادركت كل الاقطار انه انسان لا اله ، واكثر من الجميع بلد الروم ، الذين كانوا أول من أغوي به ..»(٢) . « ها ان الروم قد ادركوا الآن ان المسيح كان انساناً بحتاً ، فما بالكم انتم تضلون وراءه ؟ ألعلكم افضل من الروم ؟ اننا لسنا نسألكم ان تكفروا بالله خالق السماء والارض ، ولا ان تسجدوا للشمس والقمر وباقي النيرات او لاحدى المخلوقات ، بل ان تكفروا بيسوع الذي حسب نفسه الهاً ، وتقولوا فقط انه انسان لا اله » ... « ولم يريدوا ان يكفروا بالمسيح ، وان يقولوا انه انسان ، لكنهم قالوا في جنونهم انه الاله وابن الرحمن .. بعد ذلك جئنا بنسائهم وقلنا لهن : ها انكن قد عاينتن بأعينكن ان ازواجكن قد قتلوا جميعاً ، لانهم جدفوا وقالوا ان المسيح هو الاله وابن ادوناي ... أما هن فجدفن اكثر من ازواجهن قائلات : ان المسيح هو الاله وابن الرحمن »(٣) . ان قول مسروق هذا ، يؤيد من جهة ، البيان الذي علقه اليهود في الشارع ووجهوه الى القيصر مرقيان سنة ٤٥١ في اعقاب المجمع الخلقيدوني ، وقد جاء فيه قولهم : « لقد كانوا هذه المدة كلها يعتبروننا كأن آباءنا صلبوا الهاً وليس انساناً . اما الآن ، وقد صرح المجمع الخلقيدوني بانهم صلبوا انساناً لا الهاً ، فنرجو ان ترد الينا مجامعنا »(٤) . ويبرهن من جهة اخرى على ان النصارى الحميريين ما كانوا نساطرة ولا روما

١) ورد هذا في الرسالة الثانية للارشمي . اما اسم الاسقف الثاني فقد امحى في المخطوطة فأخذناه من عنوان الفصل الرابع من كتاب الحميريين المذكور .

٢) كتاب الحميريين السرياني ص١٣ .

٣) الرسالة الاولى المطولة للارشمي طبعة بيجان في اخبار الشهداء والقديسين ١ : ٣٧٥ و٣٧٦ .

٤) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص٢١٨ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج٢ ص١٩٥ .

خلقيدونيين بل ارثوذكسيين على مذهبنـا نحن السريان اذ قالوا : « اننا نؤمن بانه حقاً الاله وابن الاله »[1] . أمـا قوله عن الروم : « انهم كانوا أول من أغوي به (بالمسـيح) وهم الآن قد ادركوا اكثر من الجميع انه انسان بحت لا اله » ، فيشير الى الاضطهاد الذي اثاره يوسطينوس الاول سـنة ٥١٨ على الارثوذكسيين ودام حتى هلاكه سنة ٥٢٧ .

رابعاً – قول العرب الوثنيين والمعدين للقديس الارشمي وصحبه عنـد دخولهم مضارب المنذر ملك حيرة النعمان في الرملة ، في آخر كانون الثاني سنة ٥٢٤ « مـاذا بامكانـكم ان تفعلوا بعد ؟ فهوذا مسـيحكم قد طرد من الروم والفرس والحميريين »[2] . بل قول المنذر نفسه لاشراف المسيحيين اهل الحيرة « انظروا ها ان المسيح قد طرد من الحميريين والفرس والروم ، أما انتم فلا ترضون ان تتخلوا عنه . فانا لست خيراً من ملوك الفرس والروم الذين طردوا المسيحيين ونفوهم ، ولا من ملك الحميريين الذي فتك بهم وافناهم في بلده »[3] . وهم يعنون بهذا ، الاضطهادات التي أثارها على الارثوذكسيين فيروز سنة ٤٨٠ ، ويوسطينوس الاول سـنة ٥١٨ ، ومسروق سنة ٥٢٣ . وتشـير بالتالي الى ان الحميريين كانوا ارثوذكسيين كالذين اضطهدهم فيروز ويوسطينوس .

خامساً – مراجعة الحميريين في اثنـاء اضطهاد مسروق ، للقديس الارشمي في حيرة النعمان ، لا للنساطرة ، ولكالب ملك الحبشة ، لا ليوسطينوس الاول كما وهم بعض المؤرخين كما سيأتي[4] .

---

١) كتاب الحميريين السرياني ص١٥ .

٢) راجع الرسالة المجملة للارشمي في تاريخ زكريا الفصيح مجلد ٢ ص٦٣ – ٧٤ .

٣) الرسالة الاولى طبعة بيجان في اخبار الشهداء والقديسين ١ : ٣٨٤ .

٤) ذكر مؤلف اللؤلؤ المنثور ص٢٥٢ ، ان مـار شمعون كتب الى شمعون رئيس دير الجبول : « ليتصل بالاساقفة الارثوذكسيين ويحثهم ... على السعي لدى القيصر لازالة الشدة عن المسيحيين في بلاد الحميريين » . ولكننا حين راجعنا هذه الرسالة المجملة في تاريخ زكريا الفصيح وتاريخ مار ميخائيل الكبير ، لم نجد فيها اثراً لذكر القيصر اما المطولة التي نشرها بيجان ، فقد ذكرت قول مار شمعون الذي تحدى به الاساقفة الخلقيدونيين في بلاد الروم كما يلي : « فاذا كان الاساقفة مسيحيين حقاً ، ويريدون بقاء المسيحية ، وليسوا شركاء لليهود ، ليلتمسوا من الملك (القيصر) وعظمائه لالقاء القبض على رؤسـاء كهنة طبرية (اليهود) وغيرها من المدن وطرحهم في السجن ... ولكنني اعلم ان ذهب (مال) اليهود سيسارع الى اخفاء الحق ...» (اخبار الشهداء والقديسين ١ : ٣٩٦) .

سادساً — كتابة الارشمي الى سوريا لا ليتصلوا بيوسطينوس مضطهد الارثوذكسيين في بلاد الروم، بل « ليخبروا بالسرعة الممكنة وبدون اهمال، الاساقفة القديسين الهاربين مع المسيح الى مصر؛ وبواسطتهم رئيس اساقفة الاسكندرية، ليكتب الى ملك الحبشة واساقفتها الا يهملوا امر الحميريين، بل ان ينجدوهم فوراً »[1]. وقد ذكرت قصة الشهيد الحارث النجراني اليونانية الاصل، ان البطريرك الاسكندري المشار اليه هو طيمثاوس[2]، وكان هو الآخر ارثوذكسياً يُعرف بطيمثاوس الثالث.

سابعاً — اهتمام الارشمي بالشهداء الحميريين، وبانقاذ البقية الباقية من المؤمنين هناك؛ كما ينجلي من المعروض الذي رفعه بواسطة الشريف أمية الى اوبروبيوس اسقف الاحباش والى ملكهم المؤمن كالب، ومن رسالتيه المذكورتين الى شمعون السرياني رئيس دير الجبول في سوريا الشمالية سنة ٥٢٤ ومن كتابه في الحميريين.

ثامناً — مراسلة الملفان القديس مار يعقوب السروجي (٥٢١+) والقديس مار فيلوكسينوس المنبجي (٥٢٣+) الحميريين المناضلين؛ لتعزيتهم في شدتهم وتشجيعهم على الاستبسال والاستشهاد في سبيل الدين المبين، مزدرين المضطهدين اليهود الغاشمين. وكانوا قد اتصلوا بهما نحو سنة ٥١٩ قبل اتصالهم بالارشمي[3].

تاسعاً — شخوص افعو الشريف النجراني الوثني وسفير الملك؛ من نجران الى الحيرة، بعد الاضطهاد، لمقابلة الارشمي الذي كان لا يزال هناك، وتنصره واعتماده على يديه في بيعتنا الارثوذكسية بالحيرة[4].

عاشراً — كون كالب الحبشي ارثوذكسياً يقول بالطبيعة الواحدة[5]. فلما قتل

---

١) اخبار الشهداء والقديسين ١ : ٣٩٥.

٢) تحقيق ناشر كتاب الحميريين في مقدمته الانكليزية عليه.

٣) قلنا في ص١٣٩ من العدد ١٣ من المجلة البطريركية : ان مار يعقوب انفذ رسالته سنة ٥٢١ ومار فيلوكسينوس سنة ٥٢٣ بدلاً من القول ان مار يعقوب (٥٢١ +) ومار فيلوكسينوس (٥٢٣ +) انفذا رسالتيهما سنة ٥١٩.

٤) كتاب الحميريين السرياني ص٢٣

٥) الرسالة الثانية للارشمي، والروم ج١ ص١٦٨ وكنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج١ ص٣٩٠ للدكتور اسد رستم.

مسروق اليهودي واستولى على بلاد الحميريين ، انشأ فيها عدة كنائس ، وعين لها كهنة من الاحباش[1] ، فجدد بذلك نضارة النصرانية الارثوذكسية في تلك البلاد .

حادي عشر — اهتمام الآباء الارثوذكسيين فقط بتدوين اخبار الشهداء الحميريين ، اخصهم مار شمعون الارشمي وزكريا الفصيح ويوحنا الافسسي . وعنهم نقل من ذكرهم من الغرباء[2] .

ثاني عشر — نظم يوحنا بسلطوس رئيس دير قنسرين (٦٠٠+) معنيثاً (نشيداً كنسياً) بالسريانية ، عنوانه « في الشهداء الحميريين القديسين الذين استشهدوا في نجران في جنوبي بلاد العرب ، في عهد يوسطينوس ملك الروم ، حين كان مسروق اليهودي ملك العرب يضطهد مسيحيي تلك البلاد ويضيق عليهم ليكفروا بالمسيح » . وقد ورد فيه « ان بلد الحميريين الخارجي والبربري ، اذ اتقد بمخافة المسيح الاله ؛ تطلع فاقتدى بايمان القبدوقيين . ان سبسطية كملت بالشهادة اربعين شخصاً في جهاد واحد فقط ؛ في بحيرة الماء ابان البرد القارس . اما نجران ففاقتها خمسة اضعاف ، مقدمة اكثر من مئتي مجاهد ؛ اولهم المعلم الحارث . وقد جاهدوا في زماننا القريب » . ثم يطلب الى المسيح « بجاه صلواتهم » ان يصرف الشكوك والعثرات عن البيع ؛ ويشجب ويدحض جميع الهرطقات ؛ ويثبت المؤمنين في الايمان به ؛ ويحصيهم بين مختاريه ؛ وينجيهم[3] .

فيوحنا بسلطوس سرياني ارثوذكسي لا غبار عليه ، بل رئيس دير عرف بكونه منبتاً لملافنة البيعة ومعقلاً لعمالقة الارثوذكسية . فلولا تأكده من ارثوذكسية هؤلاء الشهداء الذين تكللوا في عصره ؛ لما نظم في حقهم هذا النشيد ؛ ولما سماهم « قديسين » وطلب شفاعتهم ؛ وقال عن بلدهم « انه اتقد بمخافة المسيح الاله واقتدى بشهداء سبسطية الاربعين » . وكذلك قديسنا مار يعقوب الرهاوي اشهر من نار على علم بارثوذكسيته . فلولا تثبته هو الآخر من ارثوذكسيتهم ؛ لما ضم هذا « المعنيث » الى مجموعة معانيث البطريرك مار سويريوس الانطاكي .

---

١) كتاب الحميريين السرياني ص٥٦ .

٢) راجع مقدمة ناشر ومترجم كتاب الحميريين .

٣) راجعه بين معانيث مار سويريوس الانطاكي طبعة بروكس ص٦١٣ و٦١٤ .

ثالث عشر — اثبات البيعة السريانية الارثوذكسية اسم « الشهداء الحميريين » في جريدة القديسين في ٣١ كانون الاول[١] . وكان مار شمعون الارشمي قد اقترح في رسالته الاولى على شمعون رئيس دير الجبول ؛ ان يتصل بالمؤمنين الارثوذكسيين في انطاكية وطرسوس قيليقية وقيسرية قبدوقية والرها وغيرها ؛ ويحثهم على عمل تذكار لهؤلاء الشهداء والشهيدات القديسين كما مر معنا .

اما الخلقيدونيون فقد اقحموا اسم الشهيد الحارث في جريدة قديسيهم اقحاماً[٢] !

الفصل الخامس

نقض الآراء المضطربة حول عقيدة النصارى الحميريين

قال الاستاذ (الاب) الحداد الرومي الكاثوليكي : « والمسيحية التي كانت شائعة في مكة هي المونوفيسية السائدة في « اليمن » والحبشة ؛ وفي دولة الغساسنة وفي مشارف الشام كلها »[٣] .

قلنا : اذا عنى ب « المونوفيسية » عقيدة القديس كيرلس الاسكندري والمجمع المسكوني الثالث ؛ القائلة بالطبيعة الواحدة المتجسدة كما مر معنا ؛ وارد . ولكن اذا عنى بها بدعة اوطيخا ؛ القائلة بطبيعة واحدة الهية فقط ، مردود . اما قوله : ان هذه العقيدة كانت السائدة في « اليمن » ؛ فيؤيد ما ورد اعلاه عن عقيدة النصارى الحميريين . ولكنه ما عتم ان نقض قوله هذا بقوله : « والنصرانية

---

١) راجع الكلندارات السريانية طبعة الاب فرنسوا نو ١٩١٢ .

٢) ومما يدل على جهلهم امر الحارث قولهم عنه في السواعي الكبير « ٢٤ تشرين الاول تذكار القديس أريتا (الحارث) الشهيد العظيم ورفاقه في الاستشهاد . هؤلاء جاهدوا سنة ٥٤٢ في مدينة نجران من العربية السعيدة (اليمن) (طبعة ٥ سنة ١٩١٤ اورشليم ص٢١٠) . والصحيح سنة ٥٢٣ كما مر معنا .

٣) القرآن والكتاب ١ ص٩٨٦ .

السائدة في المدينة ؛ هي المسيحية الشرقية ؛ أي النسطورية ... التي كانت سائدة في الحيرة من شمال ؛ وفي « نجران » من جنوب الحجاز » . وكأني بـه يجهل ان تكون نجران احدى حواضر اليمن . فاذا كانت المونوفيسية (كذا) هي السائدة في اليمن ؛ فالأولى في نجران كما مر معنا . واذا كانت النسطورية هي السائدة في نجران على حد قوله ؛ فكيف تحسب كنيسته الرومانية ؛ اسقفها الشهيد مار بولس ؛ قديساً ؛ وتضم اسم ملكها او زعيمها الشيخ الشهيد الحارث ورفاقه الشهداء الحميريين الى جريدة القديسين كقول الاب انطون صالحاني اليسوعي[١] وكلهم نساطرة ؟! وأما قوله ان النسطورية كانت سائدة في الحيرة ؛ فمردود ؛ لان الارثوذكسية هي التي كانت سائدة فيها . بل لم يكن غيرها في الحيرة طوال عهد مار شمعون الارشمي كما سيأتي . ومن الغريب اطلاقه اسم المسيحية الشرقية على النسطورية ؛ والمسيحية الغربية على كنيستنا ؛ وهو يعلم حق العلم ان كنيستنا لم تنحصر في الغرب أي في الشرق الروماني ؛ كما انحصرت النسطورية في الشرق الفارسي ؛ لكنها رسخت في هذا الشرق ايضاً كما مر بك . وربما قصد الاستاذ الحداد ان يقول « السريان المشارقة » و « السريان المغاربة » وذلك بالنسبة الى اللهجة السريانية التي تستعملها كل منها .

قال : « وهذه المونوفيسية اليعقوبية الحبشية العربية البدائية هي التي اوهمت ان التثليث المسيحي في ذات الله الواحدة ؛ هو الله والمسيح ومريم امه . ولم يتعبد أحد من النصارى لمريم تعبد الاحباش لها . وتبعهم المريميون العرب ... وهذه النصرانية العربية المكية البدائية ، كانت سبب حملات القرآن المدني ، بتأثير النسطورية المدنية ، على التثليث المسيحي وعلى الوهية السيد المسيح وبنوته لله كما اشاعتها اليعقوبية وسائر البدع المنحرفة في مكة »[٢] .

قلنا : ان اطلاقه على كنيستنا الارثوذكسية اسم « اليعقوبية » الدخيل ؛ لدليل على تعصبه الذميم . اما التهمة النكراء التي وجهها اليها في ما يخص التثليث

---

١) انظر هنا صفحة ١١ .

٢) القرآن والكتاب ص٩٨٦ و٩٨٧ .

المسيحي ؛ ففي منتهى الغرابة . ذلك ان عقيدة كنيستنا في التثليث والتوحيد لا تختلف قيد شعرة عن عقيدة المسيحية ، بل هي عقيدة المسيحية بالذات . والحق انه لم يجرؤ احد من خصومها حتى الآن ، ملكياً كان ام كاثوليكياً ، ان يلصق بها تهمة شنعاء كهذه ، طاعناً في صميم عقيدتها القويمة زوراً وبهتاناً . على ان من تأمل اضطراب رأيه بعد هنيهة ، ادرك قصر باعه في الامور اللاهوتية التاريخية . ذلك انه بعد ان نسب هذه التهمة الى كنيستنا بهذا الاسلوب العدائي البغيض ، عاد فنسبها الى الفطائريين الذين ذكرهم القديس ابيفانيوس بقوله : انهم كانوا يقدمون للسيدة ام المسيح قرابين ، فطائر من عجين ، فتسموا باسم قرابينهم » . وقال : « ولعل هؤلاء المبتدعة هم الذين سماهم ابن البطريق « المريمية » ؛ وذكر انهم يقولون : « ان المسيح وامه إلهان من دون الله » . وقد وصفهم بذلك ابن تيمية في كتاب (الجواب الصحيح) ودعاهم « المريمانيين » او « المريمانية »[1] . وعليه نقول : ان الفطائريين نشأوا قبل القرن الخامس الذي انشطرت الكنيسة في اواسطه الى القائلين بالطبيعة الواحدة والقائلين بالطبيعتين للمسيح بعد الاتحاد . ذلك ان القديس ابيفانيوس الذي كتب عنهم ، كان اسقفاً لقبرص من سنة ٣٦٧ حتى سنة ٤٠٣ . فاذا كانوا هم القائلين « ان المسيح وامه إلهان من دون الله » ، فهل من الانصاف ان يصم الاستاذ الحداد بدعتهم الشنعاء ، القائلين بالطبيعة الواحدة ؟ اما قوله : « ولم يتعبد أحد من النصارى لمريم تعبُّد الاحباش لها ، وتبعهم بذلك المريميون العرب » فمردود . ذلك ان تنصر الاحباش انما تم في الربع الثاني من القرن الرابع يوم كانت شيعة الفطائريين او المريمية المذكورة ، نامية . فكيف يكونون هم مستنبطي هذه البدعة الباطلة ؟ والحقيقة ، ان التعبد لمريم ليس للاحباش بل للكنيسة الكاثوليكية . ففيها ترى « عبادة مريم » ، « الشهر المريمي » ، « الجيش المريمي » « الثالوث المريمي » الذي يشمل المسيح ومريم ومار يوسف ، « الحبل بمريم بلا دنس » وغير ذلك من الخرافات التي لا اثر لها لدى الاحباش . فالاحباش كغيرهم من الارثوذكسيين ، يحترمون في عبادتهم العذراء مريم والدة الاله ، ويجلّونها ،

---

١) القرآن والكتاب ص٩٨٨ .

ويكرمونها ، ويقرظون فضائلها ومناقبها ، ويكبرون منزلتها ، ويطلبون شفاعتها ولكنهم لا يتعبدون لها كأنها إلهة ، كما يفعل معشر الكاثوليك اقتداء بالفطائريين !

قال : « ومن تلك الفرق ، مقالة تنكر صلب المسيح : كيف يصلب الاله »[1] ؟

قلنا : لم يظهر في المسيحية قط من انكر صلب المسيح ، بل « صلب الاله » . فنسطور هو اول من انكر ذلك فحرمه المجمع المسكوني الثالث سنة ٤٣١ فتبنى رأيه لاون الاول الروماني فأقره مجمع خلقيدون سنة ٤٥١ كما مر معنا . فاذا وجدت في الحجاز فرقة تنكر صلب الاله ، فهي نسطورية – خلقيدونية – كاثوليكية ليس الا .

قال : « وهكذا لم تصل الى الحجاز ، ومكة والمدينة ، سوى الشيع المسيحية المتطرفة والمنحرفة التي لم تجد لها مكاناً في بلاد الروم ، لانها لا تدين بدين الدولة »[2].

قلنا : لقد مر معنا ان المسيحية منذ صدرها ، وصلت الى الحجاز والى جنوبي بلاد العرب ، أي قبل انقسامها المرير باربعمئة سنة ؛ وذلك بواسطة بعض الرسل والمبشرين . ولم يكن هؤلاء من الذين لم يجدوا لهم مكاناً في بلاد الروم ، لانهم لم يدينوا بدين الدولة كما وهم الاستاذ الحداد . ان الذين لم يجدوا لهم مكاناً في بلاد الروم ، هم النساطرة وحدهم الذين لجأوا الى المملكة الفارسية سنة ٤٨٠ . اما القائلون بالطبيعة الواحدة الذين في بلاد الروم ؛ فاستطاعوا ان يقلبوا الاوضاع رأساً على عقب ، حتى اصبحت عقيدتهم ؛ عقيدة الدولة الرسمية من سنة ٤٧٦ حتى سنة ٥١٨ كما اسلفنا . وفي تلك الحقبة التي دامت اثنتين واربعين سنة ؛ تمكن الرعاة الصالحون من التغلغل في جميع البلاد ؛ لا لانهم لم يجدوا لهم مكاناً في بلاد الروم – لانهم لا يدينون بدين الدولة – بل بمؤازرة الدولة نفسها التي كانوا يدينون بدينها . اما رومة فلم تجد لها عصرئذ مكاناً لا في بلاد الروم ولا في بلاد الفرس ؛ لكنها انتحت مكاناً قصياً في بلاد الغرب . اجل ؛ في تلك الحقبة ؛ راسل مار فيلوكسينوس

---

١) القرآن والكتاب ص٩٨٨ .
٢) القرآن والكتاب ص٩٨٩ .

المنبجي ومار يعقوب السروجي المؤمنين الذين في بلاد الفرس ؛ وفيها راسل مار فيلوكسينوس الموما اليه أبا عفر الحاكم العسكري في حيرة النعمان ؛ ورسم لنجران مار بولس اسقفها الاول ومار توما اسقفها الثاني ؛ وفيها راسل بطريركنا مار سويريوس الكبير القسوس ورؤساء الاديار يوناثان وصموئيل ويوحنا العموديين ؛ وسائر الارثوذكسيين في كنيسة مدينة الانبار (قاعدة اللخميين قبل الحيرة) وكنيسة حيرة النعمان . ومَن من علماء البيعة زمانئذ ؛ كان يضاهي فيلوكسينوس وسويريوس والسروجي علما وحكمة وتعمقا في معرفة دقائق امرار الدين المسيحي المبين ؟ هذا فضلًا عن جهاد مار شمعون الارشمي « المجادل الفارسي » الآنف الذكر في بلاد الفرس وفي مدينة حيرة النعمان[1] .

فلو كانت الدولة حريصة على نشر عقيدتها ؛ فلم لم تبعث وفوداً الى تلك البلاد ؛ كما فعل مثلًا القيصر قسطنطيوس الاريوسي في القرن الرابع ؟ ألم تكن الطريق التجارية البحرية ممهدة بين البلدين كما يشهد الدستور الثيودوسي ؟ اجل ؛ لو كانت الدولة ساهرة على العقيدة القويمة ؛ فكيف اذن سمحت للمجمع الرابع ان ينقض عقيدة المجمع الثالث ؟ واذا كان دين الدولة هو الرسمي الذي يجب اتباعه ؛ فلم لا تقبل الكنيسة الرومانية اليوم عقيدة الطبيعة الواحدة التي نادت بها الدولة في عهد القياصرة باسيليسكوس (٤٧٦) ، وزينون (٤٩١+) ؛ وانسطاس (٥١٨+) وعقيدة المجمع الخامس التي صححت عقيدة المجمع الرابع سنة ٥٥٣ ؟ ألم يلتئم بأمر القيصر يوسطينيان الاول (٥٦٥+) ؟ ألم يذع هذا القيصر قراره على الخلقيدونيين ؟ ألم يحرم اساقفة الغرب باباهم ويجيليوس الروماني بسبب قبوله اياه ؟ ألم ينقضه قرار المجمع السادس سنة ٦٨٠ – ٦٨١ ؟ بل لم لا تقبل الكنيسة الرومانية « الاكتيسيس » الذي اذاعه القيصر هرقل سنة ٦٣٨ في القول بالمشيئة الواحدة[2] ؟ ألم يحرم المجمع السادس باباها هنوريوس الاول بعد وفاته باربعين سنة ؛ بسبب قبوله هذا « الاكتيسيس » ؟

---

١) انظر هنا صفحة ١١ .

٢) راجع المجلة البطريركية — دمشق ، العدد التاسع عشر .

قال : « ان القول بان المسيح عيسى ابن مريم هو ابن الله ؛ وامــه هي « أم الله » يجعل عيسى ابن مريم وامــه إلهين من دون الله » !!! فوقع محمد بين افراط اليعقوبية ومغالاتها ؛ وبين تفريط النسطورية الاريوسية . ولو انه اهتـدى الى « الأمــة الوسط » ؛ « المسيحية الارثوذكسية » (يعني الخلقيدونية) لتغير موقفه من النصرانية »[1] !!!

قلنا : اذا كان قول كنيستنا الارثوذكسية بان المسيح هو « ابن الله » وامه هي « أم الله » افراطاً ومغالاة ؛ فما قول كنيسته الكاثوليكية الخلقيدونية او « الأمة الوسط » كما يسميها حضرته ؟ أأن المسيح انسان بحت كقول اليهود ؟ ايكون مسيحياً من لا يعتقد بان المسيح هو ابن الله وان امه مريم العذراء هي ام الله ؟ أيكون هـذا القول افراطاً ومغالاة ؟ ان المجمع الخلقيدوني ولئن أقر تســمية العذراء مريم بوالدة الله وفقاً للتقليد الكيرلسي ؛ الا ان بعض البطاركة والاساقفة الخلقيدونيين استنكروها في اعقابه ؛ ومنهم اغابيط بابا روميـة[2] . ألى هذه « الأمة الوسط » كان يتمنى الاستاذ الحداد ان يهتدي محمد ليغير موقفه من النصرانية ؟

---

١) القرآن والكتاب ص٩٨٧ و٩٨٩ .

٢) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج٢ ص٣٠٧ و٣٠٨ .

الباب الثاني

في الوثائــــق السريانيـــــة

الفصل الاول

الوثائــــق السريانيـــــة

تحتفظ السريانية بثلاث وثائق قيمة ، عن الاضطهاد العنيف الذي اثاره على نصارى بلاد حمير – اليمن سنة ٥٢٣م ، مسروق او ذو نواس الذي تهوّد وتملّك على تلك البلاد ، فاتكا ببضعة آلاف منهم ، اذ « خـــدّ لهم الاخدود ، وحرق بالنار ، وقتل بالسيف ، ومثّل بهم كل مثلة »[1] . وتعدّ هذه الوثائق أوثق مصدر لمجريات هذا الاضطهاد ، اذ عالجتها يراعة معاصرة له بمنتهى التجرد والنزاهة ، فضلاً عن القائها اضواء الحقيقة على تقاليد اليهودية والدين المسيحي ، وعلى امتداد جذورهما في جنوبي الجزيرة العربية ، في القرن السابق لقيام الرسول العربي ، حيث كان كل منهما قوياً متمكناً فيها ، بينما كان ظل وثنيتها يتقلص يوماً بعد يوم .

والوثائق المشار اليها هي : رسالتان وكتاب لمار شمعون السرياني اسقف بيث أرشم ورئيس المؤمنين (الارثوذكسيين) في بلاد الفرس (٥٠٣ – ٥٤٠م) يضاف اليها تعقيب لمار يوحنا الآمدي اسقف افسس (٥٨٧+) ومعنيث (نشيد كنسي) نظمه مار يوحنا بسلطوس رئيس دير قنسرين (٦٠٠+) .

---

١) تاريخ الطبري مج٢ ص١٠٥ المطبعة الحسينية المصرية .

الفصل الثاني

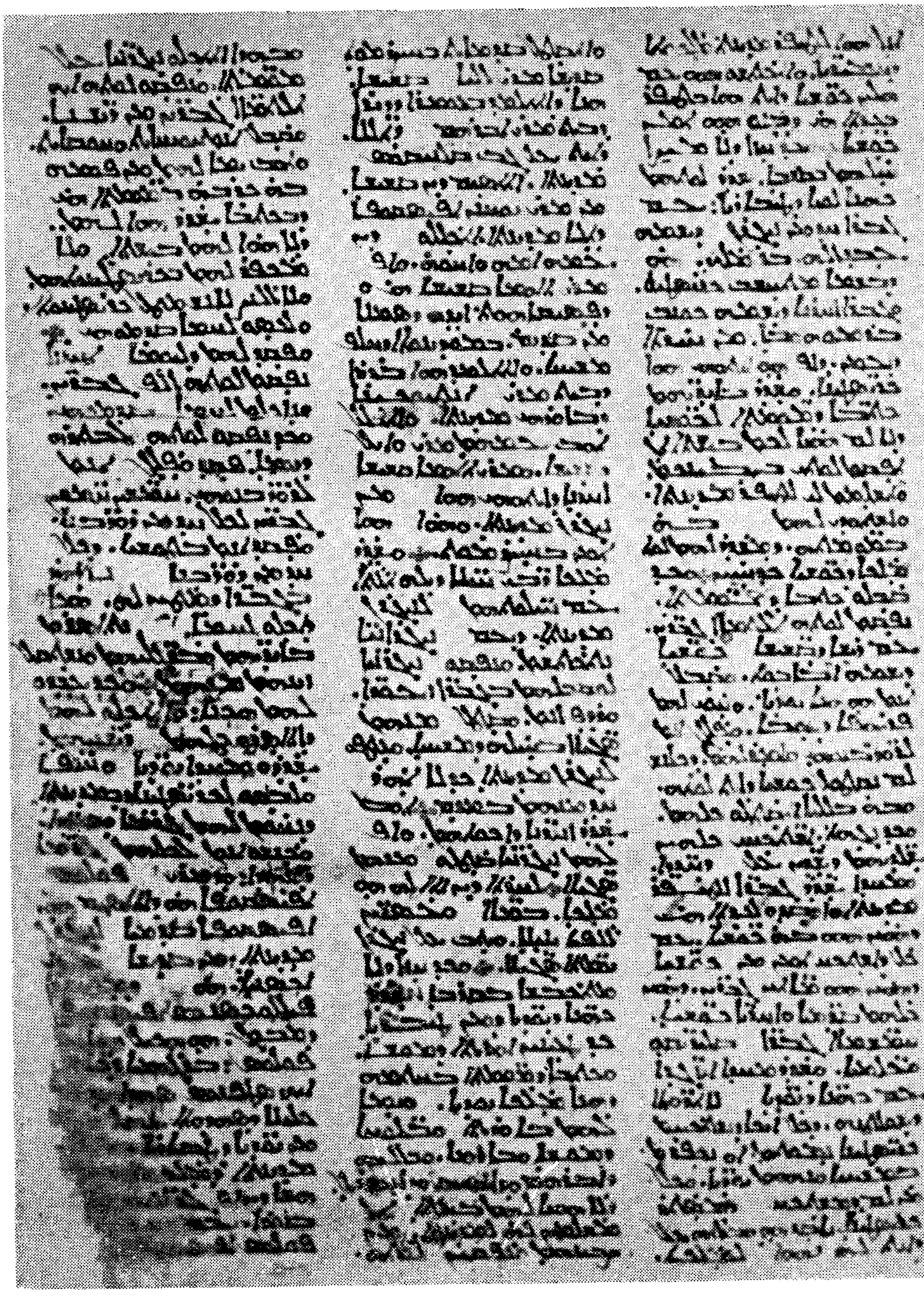
قصة اي شهادة الطوباويين الحميريين الذين تكللوا في مدينة نجران فلتكن صلاتهم معنا آمين

لقد روى الذين وفدوا من نجران ، انه حالما تملك هـذا اليهودي المنافق ، كتب الى حضرموت وسـبأ وحزبة ودياريدن وتيمنـة ونجران وغيرهـا من البلاد الخاضعة لسـلطانه ، ليحضروا الى دياريدن . أمـــا هو فتوجـه الى ظفار عاصمة الحميريين ريثما هم يجتمعون ، وحارب الاحبـاش الذين كانوا في ظفار ، في الكنيسة التي انشأها ثم الاحباش . واذ رأى انه لن يقوى عليهم بالحرب ، اوفد اليهم كاهناً لاوياً من طبرية وشخصاً من نجران اسمه عبدالله بن ملك ، وكان مسيحياً اسماً فقط ، وشخصاً آخر من حيرة النعمان اسمه كونب بن موهوبة ، وكان هو الآخر مسيحياً (اسماً) وحمّلهم رسـائل الأيمان الى الاحباش ، بانه لن ينالهم اذى اذا هم خرجوا اليه تلقائياً ، وسلموا مدينة ظفار ، واعداً بارسـاله اياهم احياء الى ملك الاحباش .

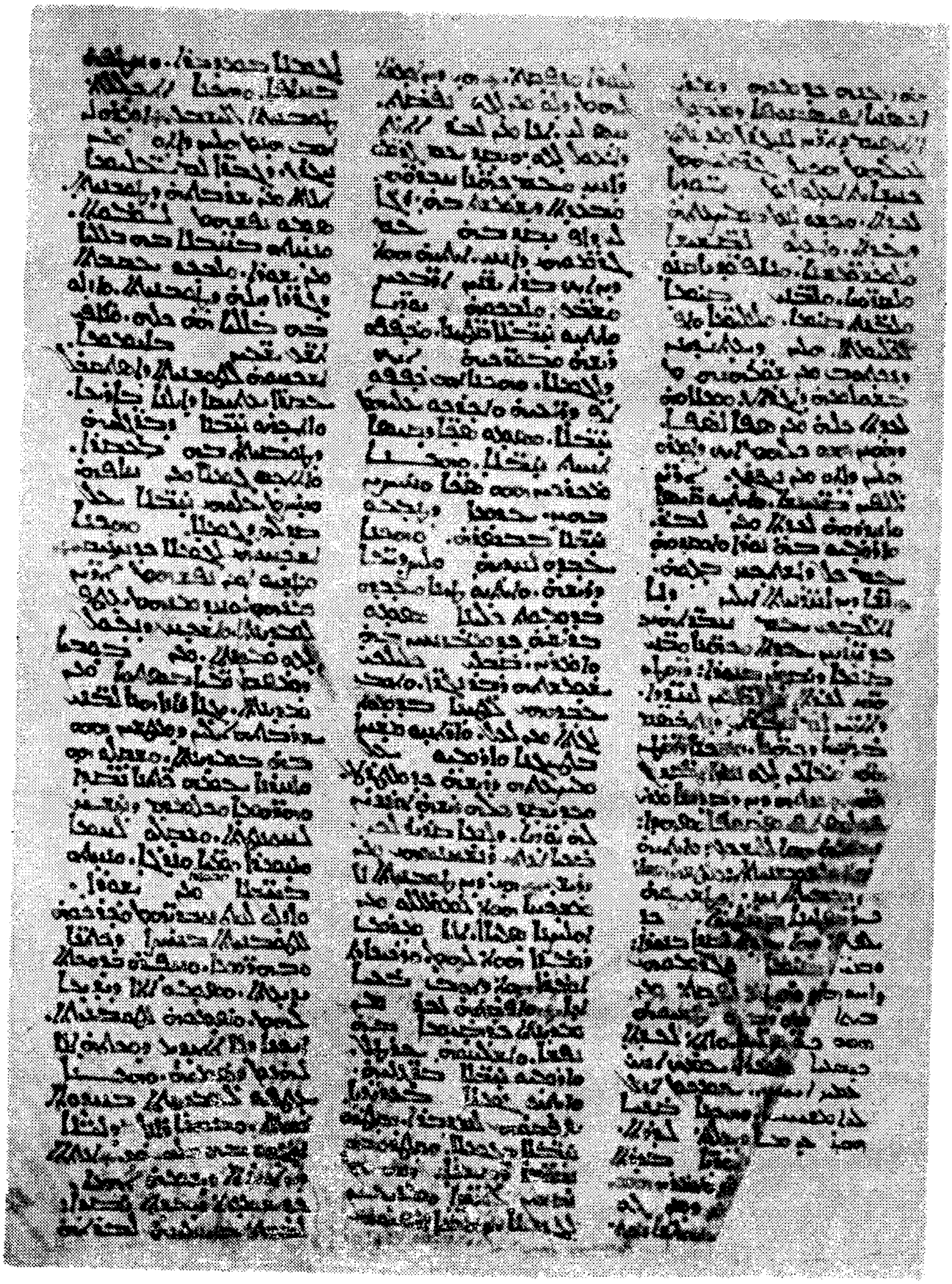
فلما تسلموا رسـائل الأيمان خرجوا اليه وكانوا ثلاثمئة رجل ، مع رئيس قسـوس الاحباش واسمه أبا بوت ، رحب بهم اليهودي بوجـه باش ، ثم فرقهم على عظمائه ليقتل كل منهم الحبشي الذي في حوزته . وفي تلك الليـلة ُقتل الجميع . وفي الصباح ، وجدت اشـلاؤهم مكومة بعضها فوق بعض . وللحال ارسـل رجالاً الى مدينة ظفار واحرق الكنيسـة التي كان فيها الاحباش ، وكل من وجد ثمة من الاحباش ، وكانوا مئتي رجل . فكان عـــدد الاحباش الاولين والآخرين جملة خمسمئة ، ما بين اكليريكي وعلماني . واوفد للحال رسلاً صحبة كهنة اليهود الى البلاد الخاضعة لسلطانه ، لقتل المسيحيين حيثما وجـــدوا ، اللهم الا اذا كفروا بالمسيح وتهودوا . وأمر بأن ُيحرق هو وبيته كل من يخفي مسيحياً وان يصادر كل ماله[1] فقتل اولاً في حضرموت القديس القسيس مـار ايليا الذي كان قد تهذب في دير

---

١) وكل ماله يصير للملك .



الصفحة ٤٢١ من المخطوطة السريانية



الصفحة ٤٢٢ من المخطوطة السريانية

مار ابراهيم في تلا[1] المجاورة لمدينة الرقة ، وقد رسمه قسيساً مار يوحنا[2] اسقف تلا . وتكللت معه أمّه واخوها ايضاً . والقسيس مار توما الذي كانت يسراه قد بُترت بالاعتراف من اجل المسيح ، وكان قد تهذب في دير مار انطيوخينا في مدينة الرها ، وتكلل معهم القسيس مار وائل وقسيس آخر اسمه مار توما كان من مدينة نجران ، وكان يقيم في حضرموت .

وبعث الملك قواده الثلاثة على رأس جنودهم ، الى مدينة نجران ليحاربوا اهلها . فبارزهم النجرانيون بعدد ضئيل وطاردوهم بقوة المسيح وقتلوا منهم عدداً وافراً ، وعادوا الى نجران دون ان ينال احداً منهم اذى ، فأعاد الكرة ، فقتل النجرانيون في هذه المرة ايضاً عدداً كبيراً منهم . واخيراً جاءهم الملك بنفسه بمئة وعشرين الفاً من الجند ، وطوّق نجران اياماً كثيرة . ولما عجز عن فتحها بالحرب ، أوفد اليهم كهنة اليهود الذين من طبرية ، حاملين توراة موسى وكتاب الأيمان مختوماً بختم هذا الملك اليهودي حالفاً لهم بالتوراة وبلوحي موسى وتابوت العهد وآله ابراهيم واسحق وامرائيل ، بأنه لن ينالهم اذى اذا هم اسلموا المدينة طوعاً وخرجوا اليه . فوثق النجرانيون بالأيمان وخرج اليه نحو ثلاثمئة شخص من الاشراف . فرحب بهم ببشاشة وتودد ، وكرر لهم شفوياً الأيمان المكتوبة بانه لن ينالهم اذى ، ولن يكفرهم بمسيحهم ولن يضيّق على احد بسبب المسيحية . وتناولوا الطعام امامه . وامرهم ان يخرجوا اليه في اليوم التالي الف شخص ويتناولوا الطعام امامه . فلما فعلوا ، أمر ففرقوا على عظمائه ، خمسين خمسين لكل منهم ، وأمرهم سراً ان يحتفظ كل منهم بالاشخاص الذين يصلون اليه ، حتى اذا انتهوا من تناول الطعام ، كبّلوا بأيديهم وأرجلهم وجُرّدوا من سلاحهم . ولما فعلوا هذا واطمأن بالهم من ان اشرافهم قد كبّلوا جميعاً ، ارسل (الملك) حالاً يهودا ووثنيين ، وقبضوا على

١) تلا او تل موزلت (لفظة سريانية معناها تل او تل الفلك) . كانت مدينة كبيرة بين ماردين والرها ، وعرفت بقسطنطينية الصغيرة . اما اليوم فتسمى ويران شهر ، وهي في تركيا .

٢) ولد في الرقة عام ٤٨٣ ورقي الى اسقفية تلا سنة ٥١٩ بواسطة بعض الاساقفة الارثوذكسيين ومنهم مار يعقوب السروجي الشهير . وبعد سنتين نفاه القيصر يوسطينس الغاشم ، فوصل الى سنجار . وزار بلاد الفرس ثلاثاً . وفي سنة ٥٣٧ اعتقله الخلقيدونيون في انطاكية . وفي ٦ شباط سنة ٥٣٨ قضى في سجنهم معترفاً .

المسيحيين الذين في المدينة ليروهم عظام الشهداء . فجمعوا عظام الشهداء كلهم ، وعظام الاسقف مار بولس الذي رسم اول اسقف لمدينة نجران من القديس مار اخسنويو المدعو فيلوكسينوس اسقف منبج[1] . وكان مار بولس هذا قد نال اكليل الشهادة بواسطة يهود طبرية رجماً بالحجارة مثل الشهيد اسطيفانس في ظفار عاصمة المملكة ، والآن احرقوا بالنار ايضاً عظامه . ومع عظام مار بولس ...[2] ايضاً الذي صار اسقفاً ثانياً لمدينة نجران من مار اخسنويو اسقف منبج نفسه . فقد ادخل اليهود الى الكنيسة جميع عظامهم وكوموها بعضها فوق بعض في وسط الكنيسة ، ثم ادخلوا القسوس والشمامسة والافودياقونين والقراء والنذراء والنذيرات والشبان والشابات الذين سنكتب بعضاً من اسمائهم في ختام رسالتنا هذه ، وملأوا الكنيسة كلها من اولها الى آخرها ، بلغ عددهم الالفين على ما نقل لنا الذين وفدوا من نجران . ثم جاؤوا بالحطب ووضعوه حول الكنيسة ، ثم اضرموا فيه النار احرقت الكنيسة ومن وجد فيها جميعا .

اما النساء الاخريات اللواتي لم يقبض عليهن مع رفيقاتهن ، فلما شاهدن احتراق الكنيسة والكهنة والنذراء بالنار ، سارعن الى الكنيسة مناديات بعضهن بعضاً قائلات : هيا بنا ايتها الرصيفات لنتمتع برائحة الكهنة . فكن من ثم يدخلن النار ويحترقن . واما اخت القديس مار بولس الاسقف الشهيد ، واسمها اليشبع ، وكانت شماسة ، فكان بعض المسيحيين قد اخفوها قسراً في احد البيوت . فلما

---

١) ولد في بلدة تحل من كورة باجرمي - العراق في الربع الثاني من القرن الخامس وسمي اخسنويو . وفي ميعة صباه رحل به اهله الى طور عبدين . درس اولاً في دير قرتمين ثم في الرها ودير تلعدا الكبير في كورة انطاكية ، ثم ترهب ورسم كاهناً . وتوجه الى انطاكية في عهد بطريركها الدخيل قلانديون (٤٨٢ - ٤٨٥) وابدى همة عالية في سبيل المعتقد القويم وهنوطيقون زينون ، فأبعده قلانديون عن انطاكية . وفي سنة ٤٨٥ دخلها برفقة البطريرك مار بطرس الثاني وحضر فيها المجمع . وفي هذه السنة رسمه مار بطرس خوريا فمطرانا لمنبج . وفي عهد فلابيانس الثاني الانطاكي ظهر فيلوكسينوس ينطق بلسان ارثوذكسيي البطريركية الانطاكية . وكان اكبر العاملين على عزل فلابيانس وتنصيب مار سويريوس سنة ٥١٢ . وفي خريف ٥١٨ نفاه القيصر يوسطينس الى غنغرا حيث خنقه البيزنطيون بالدخان سنة ٥٢٣ .

٢) لقد امحى اسم اسقف نجران الثاني في المخطوطة التي اكتشفت فيها هذه الوثيقة (القصة) ، وذلك بتأثير الرطوبة ، فأخذناه من عنوان الفصل الرابع من كتاب الحميريين ، وهو مار توما . فتكون العبارة كما يلي : « ومع عظام مار بولس ، احرقوا عظام مار توما ايضا الذي صار اسقفاً ثانياً لمدينة نجران » .

علمت باحتراق الكنيسة والنذراء وعظام اخيها بالنار ، سارعت الى الكنيسة مرددة بصوت عال قائلة : ها انني معك يا اخي امضي الى المسيح . وهكذا دواليك حتى دخلت فناءها . فلما عاينها اليهود في الفناء ، ظنوا انها قهرت النار وخرجت من الكنيسة . فقالت لهم كلا ، لم اخرج من الداخل بل جئت من الخارج لادخل واحترق مع عظام أخي ورفاقه الكهنة . كيف لا واني اشتهي ان احترق مع عظام أخي في نفس الكنيسة التي خدمت فيها . وكانت في السابعة والاربعين من عمرها . فقبض عليها اليهود وجاؤوا بحبال رفيعة ، وعكفوا رأسها وركبتيها كالجمل ثم ذراعيها ، ولفوا عليها الحبال ووضعوا تحتها اوتاداً خشبية وفتلوها بشدة قصوى حتى غرزت الحبال في جسمها . وهكذا فعلوا بصدرها وصدغيها ، وعملوا شبه اكليل من الطين ووضعوه على رأسها مستهزئين قائلين : اقبلي اكليلكِ يا شماسة ابن النجارين . ثم عملوا الطين شبه قصعة ، وغلوا زيتاً في مقلاة ، وسكبوه على رأسها وهو يغلي . ولما احترق رأسها كله قال لها اليهود : قد يمكن ان يكون بارداً عليكِ ، أتريدين ان نغليه ثانية ؟ اما المغبوطة فاذ تعذر عليها الكلام من شدة الضيق ، أومأت اليهم وقالت بصوت خافت اريد المزيد . ثم اخذوها الى خارج المدينة وفيها رمق من الحياة ، وعروها من ثيابها وربطوا حبالاً برجليها ، وجاؤوا بجمل من الابل الصعاب ، واخذوها الى البرية حيث ربطوا الحبال بالجمل ، وعلقوا به اجراساً خشبية ليدق بعضها بعضاً فيثور الجمل . ثم تركوا الجمل في البرية ، فخطفها بجدة . وعلى هذا النمط تكللت الطوباوية اليشبع .

وقد روى لنا الذين وفدوا من نجران ، ان ثلاثة شبان من عشيرة الطوباوية جازفوا بانفسهم وتدلوا من السور بالحبال في الليلة نفسها ، وترسموا خطى سحب الطوباوية ، وساروا الليلة كلها . ونحو الساعة التاسعة من النهار (التوقيت القديم) وجدوا الطوباوية عند جذع شجرة قديمة ، اتفق ان علقت به الحبال المربوطة برجلي الطوباوية فتوقف الجمل من حدته ، بل التفت الحبال حول عنقه ، فوجد مخنوقاً . وهناك اختبأ اثنان منهم . اما الثالث فعاد الى المدينة واستطاع ان يدخلها من المبزل الذي يخرج منه ماء المدينة في الشتاء ، وكشف هذا السر لاهل عشيرته الذين كانوا متخفين في المدينة نفسها . ثم أخذ وشخص آخر كتاناً نقياً وبخوراً وكل

ما يلزم للتحنيط ، وخبزاً وخمراً وماء ومعولاً ، وتدليا بالحبال من السور ومضيا الى رفيقيهما ، حيث لفوا المغبوطة بالكتان والبخور ، وحفروا في بقعة معروفة ، وضعوا عليها علامة فارقة ، دفنوا فيها المغبوطة ، بحيث لا يعرف مكانها الا الذين دفنوها فيه . ثم عادوا الى المدينة بفرح عظيم . وقليلون شعروا بهذا السر .

سيدة اخرى اسمها تهنة ، لما سمعت باحتراق الكنيسة ، امسكت بيمينها ابنة لها اسمها أمّه ، وكانت نذيرة ، وشخصتا اليها لتحترقا . فلما شاهدتها أمتها واسمها حذية ، سألتها قائلة : الى اين انت ذاهبة يا سيدتي ؟ فها ان الكنيسة والنذراء يحترقون جميعاً بالنار . فأجابتها سيدتها قائلة : وانا وابنتي هذه النذيرة ايضاً ذاهبتان لنحترق . فقالت لها أمتها : اقسم عليكِ يا سيدتي بالمسيح لتصطحبيني كي اتمتع انا ايضاً برائحة الكهنة . فأمسكتها هي الاخرى بيدها . وهكذا دخلت ثلاثتهن الكنيسة واحترقن مع الكهنة . اما ابنة هذه المغبوطة الشابة ، واسمها حذية ، فلم تدخل الكنيسة صحبة امها واختها ، لكنها لبثت في البيت . فلحقها اليهود واضرموا ناراً في البيت وطرحوها في النار . ولما احترقت قليلاً اخرجوها من النار . ثم اضرموا النار ثانية ، وطرحوها فيها ، ثم اخرجوها . ثم اضرموا النار ثالثة وطرحوها فيها . وعلى هذا النمط تكللت المغبوطة .

وقد تم احتراق الكنيسة وعظام الشهداء القديسين والاسقف مار بولس والكهنة وجميع الشعب كما ورد اعلاه ، في ١٥ تشرين الثاني ، وفي نفس اليوم الذي تكللت فيه السيدة الشماسة اليشبع ورفيقاتها اللواتي ذكرن اعلاه .

وفي اليوم نفسه ، بعد احتراق الكنيسة وكل من فيها ، جاء الملك بجميع الاعيان والاشراف الذين وقفوا امامه مكبلين . فسألهم : لماذا قصدتم ان تتمردوا علي ولم تسلموا الي المدينة ، لكنكم اتكلتم على ذلك الساحر المضل ابن الفجور[١] وعلى هذا الشيخ الاخرق الحارث بن كعب[٢] الذي صُيّر لكم رئيساً ؟ وهنا

---

١) هكذا افترى اليهود على امنا العذراء مريم ، فبكتهم القرآن الكريم بقوله : « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً » .

٢) ورد اسمه في المخطوطة الحارث بن كنب ولعله من تصحيف الناسخ لتشابه العين والنون في الاسطرنجيلي .

اضاف الذين وفدوا من نجران ، الامور التالية التي لم تكتب في رسالتنا الاولى اليكم في خبر الحارث بن كعب . فقد نقلوا لنا ان المنافق (اليهودي) عرى الشريف الحارث بن كعب وقال له تطلع هـا انك واقف عريانا امام هؤلاء الذين كانوا يعتبرونك رئيسهم ، لكي تخجل امامهم في شيخوختك . فأجابه الحارث قائلا : بالحقيقة ، لو تراءى لك اللباس الذي انا مرتديه الآن لما قلت هـذا الكلام . فاذ لا يتراءى لك ذلك ، فقد خلتني واقفاً عرياناً . اقول لك الحق ، انه الآن قد عظمت نفسي في عيني ، ولا اخجل بعري جسمي . ذلك ان المسيح يعرف انني خير منك باطنـاً وظاهرا ، واطول واوفر صحة منك ، كما ان جسمي اقوى من جسمك ، وذراعي من ذراعك ، ولا يحمل ظهري اثراً للسهم او للرمح او للسيف ، بل انما ذلك في صدري ، لانني لم أعط قط في الحرب ظهراً كهارب ، وقد انتصرت بقوة المسيح في حروب كثيرة . بل انا قتلت في الحرب أخا الجالس الآن عن يمينك وهو ابن عمك . فقال له الملك : لقد اتكلت اذن على هذا وتمردت علي ؟ فانني أشير عليك ، ضناً بشيخوختك ، ان تكفر بالمسيح المضل وبصليبه ، فتحيا ، والا مت شر ميتة انت ورفاقك وكل من لا يكفر بالمسيح وبالصليب . فقال له تذكر أيمانك بآله ابراهيم واسحق واسرائيل ، وبتوراتك واللوحين وتابوت العهد . فقال له الملك : دع هذه جانباً واكفر بالمسيح والصليب . فأجابه الشيخ : حقاً اني متألم اكثر من جميع المسيحيين رفاقي الذين كانوا معي في المدينة ، لاني قلت لهم ولم يسمعوا لي . فقد كنت متأهباً لمنازلتك في الحرب من اجل شعب المسيح ، فاما قتلتني او قتلتك . وكنت واثقاً بالمسيح بانني اظفر بك . بيد ان رفاقي لم يدعوني افعل هذا . فنويت اذ ذاك ان آخذ بني عشيرتي وعبيدي وحدهم واخرج لمنازلتك ، فأوصد المسيحيون رفاقي ابواب المدينة ولم يفسحوا لي في الخروج . فقلت لهم ان يحتفظوا بالمدينة وألا يفتحوا لك الابواب . وكنت واثقاً بالمسيح بان المدينة لن تفتح اذ لم يكن يعوزها شيء . وبهذا ايضاً لم يسمع لي رفاقي . ولما ارسلت اليهم كلمة القسم ، نصحتهم الا يصدقوك ، بل قلت لهم انك كذاب وليس فيك حق . ولم يرض رفاقي ان يسمعوا لي . والآن تعرض علي في شيخوختي الكفر بالمسيح الهي والتهود مثلك ؟ وقـد لا اعيش ساعة واحدة او يوماً واحداً بعد كفري . افتريد ان تجعلني في شيخوختي غريباً عن المسيح ربي ؟ بالحقيقة انك لم تتكلم كملك ولم تفعل كملك ، لان الملك

الذي يكذب ليس ملكاً ، فقد رأيت ملوكاً كثيرين ولكنني لم ار ملوكاً يكذبون[1] . أما انا فلي سلطان على نفسي ، وبسلطاني هذا لا اكذب تجاه المسيح . حاشا لي ان اكفر بالمسيح الاله الذي به آمنت منذ صباي واعتمدت باسمه ، بل اسجد لصليبه واموت من اجله . حقاً انني مغتبط اذ اهلني المسيح في شيخوختي ان اموت من اجله . الآن علمت انه يحبني ، اذ عشت طويلاً في هذا العالم بنعمته ، بل عشت جيداً ولم يعزني شيء . وقد اكثر لي المسيح ربي في هذا العالم بنين واحفاداً وعشيرة ، وبقوته انتصرت في حروب كثيرة ، وفي هذه ايضاً سأنتصر بقوة الصليب . وانني واثق من ان ذكري سوف لا ينقطع من هذه المدينة ومن عشيرتي . الآن علمت حقاً انني لن اموت الى الابد . وكما ان الكرم اذا ما كسح اعطي اثماراً كثيرة ، هكذا اني على ثقة بأن شعبنا المسيحي سيتكاثر في هذه المدينة . فلا تفتخرن كأنك اتيت امرا اداً . فاني اقول لك : ان هذه المدينة سوف تتسع بالمسيحية ، وان هذه الكنيسة التي احرقتها اليوم بالنار ستُبنى من جديد ، وان المسيحية ستتسلط وتتملك وتأمر الملوك ، أما ديانتك اليهودية فستنطفيء ، واما ملكك فسيزول وسلطانك فسيحول .

ولما قال هذا ، الشيخ الجليل الشريف ، التفت الى ورائه ، وقال بصوت عالٍ للمؤمنين الذين حوله : اسمعتم يا اخوتي ما قلته لهذا اليهودي ؟ فصرخوا جميعاً قائلين : لقد سمعنا كل ما قلته يا أبانا . فسألهم أحق هو أم لا ؟ فصرخوا كلهم قائلين : انه حق . ثم رفع صوته وقال لهم : ماذا ترون ؟ أبينكم من يخاف السيف ويكفر بالمسيح ، اذن فلينفصل من بيننا . فصرخوا جميعاً قائلين : حاشا لنا ان نكفر بالمسيح . تشجع يا ابانا ولا تتألم بهذا ، فاننا جميعاً مثلك بل معك نموت من اجل المسيح ، ولن يبقى من بعدك احد منا في الحياة . ونادى ايضاً قائلاً : ايها المسيحيون والوثنيون واليهود اسمعوا . اذا كفر احد بالمسيح وعاش مع هذا اليهودي ، سواء أكانت زوجتي أم من ابنائي وبناتي أم من جنسي وعشيرتي ، فالكفر به أولى ، فانه ليس من جنسي ولا من عشيرتي ، وليست لي أية شركة معه ، وليكن كل ما املكه للكنيسة التي ستُبنى بعدنا في هذه المدينة .

---

[1] لقد سقطت هنا ورقة من المخطوطة ، فأخذنا فحواها من رسالة الارشمي الاولى .

واذا عاشت زوجتي أو أحد ابنائي وبناتي بأية وسيلة كانت ، ولم يكفروا بالمسيح فليكن كل ما املكه لهم . ولتخصص للكنيسة ثلاث قرى من مُلكي تختارها الكنيسة نفسها .

ولما قال الشيخ هذا أمام الشعب كله ، التفت الى الملك وقال له : ها انك قد سمعت هذا كله ، فلا تسألنا شيئاً آخر بهذا الصدد . حاشا لنا ان نكفر بالمسيح ربنا والهنا . فالآن لا مانع من جهتنا ان نموت من اجل المسيح . انه لوقت الحياة الابدية . كفراً بكل من يكفر بالمسيح . كفراً بكل من لا يعترف بان المسيح هو الاله وابن الاله . كفرا بكل من لا يعترف بصليب المسيح . كفرا بك وبكل من يذعن لك ولليهود رفاقك . ها اننا واقفون امامك ، فافعل بنا مهما شئت ان تفعل . بالحقيقة اقول لك : أنا كنت اتقدم رفاقي فأشرب الكأس الاولى في الولائم فامزج لي الآن ايضاً في المقدمة كأس الموت هذه من اجل المسيح . ها انني أَسِم نفسي وجميع رفاقي كعادتنا بسمة الصليب الحية ، باسم الآب والابن والروح القدس . فصرخوا جميعهم قائلين : آمين فآمين . ثم رسموا على انفسهم علامة الصليب وصرخوا قائلين : كفرا بكل من يكفر بالمسيح . تشجع يا أبانا ولا تجزع . ها ان ابراهيم رئيس الآباء ينتظرك وايانا معك . كفرا بكل من يكفر بالمسيح ويبقى بعدك . فلما رأى الملك ان لا سبيل لكفرهم بالمسيح ، امر ان يساقوا الى الوادي حيث تحز رؤوسهم وتلقى اشلاؤهم . ولما بلغوا الوادي ، وقفوا جميعهم معاً ، وبسطوا ايديهم الى السماء وقالوا : ايها المسيح الهنا ، هلم الى معونتنا وقوّنا وتقبل نفوسنا . ليطب لك دم عبيدك الذي يسفك من اجلك ، وأهلنا لمشاهدتك . ها اننا قد اعترفنا بك كما علمتنا ، فاعترف بنا انت ايضاً قدام ابيك بحسب وعدك . وابن هذه الكنيسة التي احرقها اليوم هذا اليهودي ، وأقم اسقفاً لهذه المدينة بدلاً من القديس مار بولس الذي احرق اليوم عظامه هذا اليهودي . ثم نادوا جميعهم قائلين : لنعط السلام بعضنا لبعض . وبعد ان عانقوا بعضهم بعضاً ، بسط الشيخ يده اليهم وصرخ قائلًا : سلام المسيح الذي أعطي للص في الصليب ، ليكن معنا ايها الاخوة . ثم بادر رجال أقوياء من رفاق الشيخ ، واخذوا يساندونه ويقدمونه الى القتلة كرئيس للتكأ ، وهم فرحون قائلون : ايها المسيح تقبل أبانا وتقبلنا معه ، لاننا انما من

اجلك نقتل . وجثا الشيخ على ركبتيه ، وقد امسك به رفاقه يسندون يديه كموسى النبي في قمة الجبل ، فضربه القاتل وحز رأسه . فسارع رفاقه واخذوا من دمه ، مسحوا به وجوههم واجسامهم كبركة ، ثم بادر كل منهم الى حيث رأى سيفاً مسلولاً وجثا على ركبتيه واقتبل السيف ، حتى استشهدوا جميعاً .

وكان طفل في الثالثة من عمره ، قد خرجت امه لتقتل ، وكانت ممسكة بيده . فلما عاين الملك جالساً لابساً ثياباً ملكية ، ترك امه وعدا وقبّل ركبتي الملك . فامسكه الملك واخذ يهش له قائلًا : ماذا تريد ؟ أأن ترافق امك لتموت معها أم ان تبقى عندي ؟ فأجابه الطفل : اريد يا سيدي ان اموت مع امي ، ولهذا خرجت معها اذ قالت لي هلم يا بني لنمضي ونموت من اجل المسيح ، فدعني ألحق أمي لئلا تموت ولا أراها . لانها قالت لي ان ملك اليهود امر ان يموت كل من لا يكفر بالمسيح . وحياة سيدنا لا اكفر بالمسيح . فسأله الملك ومن اين تعرف المسيح ؟ فأجابه الطفل : انا وأمي نراه كل يوم في الكنيسة ، فاذا جئت الى الكنيسة سأريك اياه . قال له الملك أتحبني أم تحب امك ؟ فأجابه اني احب امي اكثر منك . ثم سأله أتحبني أم المسيح ؟ فأجابه اني احب المسيح اكثر منك لانه خير منك[1] . قال له الملك : ابقَ عندي فأعطيك جوزاً ولوزاً وتيناً ومهما طلبت . فأجابه الطفل : لا والمسيح لا آكل جوز اليهود ولا أمي تأكله . فسأله الملك ولماذا ؟ فأجابه لان جوز اليهود هو (نجس) لليهود . فقال له الملك : لست بحاجة الى ذاك المسيح ، فانا خير لك من المسيح . فأجابه الطفل : لا وحياة سيدنا لن اكفر بالمسيح ، اما انت فماذا ؟ اتكفر بالمسيح ؟ اجابه الملك اني اكفر بالمسيح . فقال له الطفل : انت اذن يهودي . دعني امضي الى امي قبل ان تموت وتتركني وحدي ، فيأتي اليهود ويأخذونني . دعني امضي والا ضربتك وقلت لامي انك كفرت بالمسيح فتضربك هي الاخرى . فقال له الملك : ولم أتيت وقبلت ركبتي ؟ فأجابه الطفل : لاني ظننتك انك الملك المسيحي الذي رأيته في الكنيسة ، فلو عرفت انك يهودي لما أتيت اليك . قال له الملك : ابق عندي وستكون لي ابناً . فأجابه الطفل : لا والمسيح لا ابقى عندك لان رائحتك كريهة ونتنة ، وان رائحة

---

١) كل هذا يخص رسالة الارشمي الاولى طبعة بيجان في المجلد الاول من اخبار الشهداء والقديسين

امي لأذكى من رائحتك . فقال الملك للواقفين امـامه : تأملوا هذا الاصل الرديء كيف يتكلم منذ طفولته ! تبصروا كيف استطاع ذلك الساحر المضل ان يضل حتى الاطفال ! فقال احـد الوزراء للطفل : تعال معي فآخذك الى الملكة فتصير لك أماً . فأجابه الطفل : تبـاً لك ، وحياة سيدنا ان امي خير لي من الملكة ، لانها تأخذني الى الكنيسة ، اما الملكة فلا تأخذني الى الكنيسة ، فدعني لاذهب ، فقد ذهبت وتركتني وحدي . ولما رأى الصبي ان الملك لا يدعه ، عضه على فخذه وقال له اتركني ايها اليهودي الشرير ، اتركني لاذهب الى امي ، اتركني فها ان امي تموت واريد ان اموت معها . فأخذه الملك وسلمه الى احد الوزراء قائلاً له : احتفظ به ، ومتى بلغ أشده فاذا كفر بالمسيح عاش والا مـات . فحمله خادم ذلك الوزير وهو يبكي ويرفس برجليه وينادي أمه قائلاً : سيدتي سيدتي هوذا اليهود يأخذونني ، هلمي وخذيني لارافقك الى الكنيسة . وكانت أمه تتطلع اليه فنادته قائلة : اذهب يا بني اني أستودعك المسيح . لا تبكِ ، سآتي اليك . اذهب وانتظرني في الكنيسة عند المسيح حتى آتي . وعندما قالت هـــذا قبض عليها يهودي بيدها وأدارها وراءها والقى بها بين النساء اللواتي كن ثمة واقفات للاستجواب ، ثم ضربها بكعب الرمح على صدرها بين ثدييها فسقطت على الارض جثة هامدة . وقد كتبنا هذه الامور استناداً الى الرسائل النجرانية التي كان يحملها جندلة خال الطفل[١] .

ثم التفت الملك الى النساء وقال لهن : لقد عاينتن باعينكن ان ازواجكن

---

١) هنا اثبت مرتب هذه القصة تعقيب مار يوحنا الافسسي على خبر هذا الطفل قائلاً : لقد حدث يوحنا اسقف اسيا عن هذا الطفل فقال : انه اذ ظل في الحياة وترعرع ، وانتهى امره الى الملك المسيحي الذي نصب هناك (اي في بلاد حمير) ، اخذه اليه . فلما بلغ اشده ، بالغ في اكرامه كشهيد للمسيح ، وجعله رئيساً على بطارقته وكاتماً لاسراره ومستشاراً له . اما اسمه فهو بصر . وقد اوفد اخيراً في سفارة الى الملك يوسطينيان ، حيث اجتمعنا اليه مدة طويلة ، واعجبنا بقوة ارادته ووداعته وتواضعه ، وبالنبل الذي كان منسكباً على وجهه وبالكآبة الدائمة التي كانت تلازمـــه والصلاة المتواصلة التي لم تكن تبرح ذهنه . ذلك انه كان يطوف كنائس العاصمة من الصباح حتى المساء ويصلي ويتصدق مما خصصه له الملك . ويمارس الصوم حتى المسـاء جميع الايام . واذ كان جميع الذين يرونه معجبين به ويتحدثون عنه باندهال ، اتضح لهم اخيراً انه نفس ذلك الطفل الذي كفر بذلك اليهودي واهانه بوجهه وعضه على فخذه . ومع هذا فقد كان يتأبى ان تذاع عنه هذه الامور . هذا ما بلغنا عن شهيد الله هذا .

هذا وقد كتب مرتب القصة على هامش هذا التعقيب يقول : « غير لهجتك ليعلموا ان هذا الخبر ليس من صلب القصة » الامر الذي يؤكد عادة تلاوة هذه القصة وغيرها من قصص الشهداء والقديسين في اثناء العبادة في الكنيسة ،

قد ُقتلوا جميعاً لانهم أبوا الكفر بالمسيح وبالصليب ، ولانهم جدفوا قائلين : ان المسيح هو الاله وابن ادوناي . فأشفقن انتن الآن على انفسكن وبنيكن وبناتكن واكفرن بالمسيح وبالصليب ، فتصبحن يهوديات مثلنا وتحيين ، والا متن موتاً . فأجبنه قائلات : ان المسيح هو الاله وابن الرحمان ، وبه نؤمن وله نسجد ومن اجله نموت . وحاشا لنا ان نكفر به او ان نعيش بعد ازواجنا ، لكننا نظيرهم ومعهم نموت من اجل المسيح . اما النساء النذيرات والراهبات اللواتي لم يحترقن في الكنيسة مع رفيقاتهن ، فقلن للشابات (المتزوجات) : انه يجب ان ُنقتل نحن اولاً . واما الشابات فقلن لهن كلا بل علينا نحن بالذات ان نقتل بعد ازواجنا . فأمر الملك ان يأخذوهن الى الوادي ليقتلن هناك . فكن يركضن ويزحمن بعضهن بعضاً ، وكل منهن تريد ان تموت اولاً . اما الملك المنافق وعظماؤه فكانوا يسخرون منهن وهم يرونهن يتسابقن على ذلك . هكذا تكللن جميعاً بالسيف يوم الاربعاء كما ورد اعلاه ، في تشرين الثاني سنة ٨٣٥ للاسكندر (٥٢٣م) . وكانت احداهن روهوم بنت ازمع من عشيرة تدعى جو ، وهي نسيبة الشريف الحارث بن كعب . فمن اجل عظمتها وعشيرتها وجمالها ، امر (الملك) الا تقتل ، ظناً منه انه يستطيع ان يغريها لتكفر بالمسيح والصليب ، فرجعت الى المدينة كئيبة لانها لم تمت .

ثم امر فأتوا بالإماء وقال لهن ايضاً : لقد رأيتن ان اسيادكن وسيداتكن وانسباءكن قد ماتوا شر ميتة لانهم ابوا الكفر بالمسيح والصليب فاشفقن انتن الآن على انفسكن واسمعن لي واكفرن بالمسيح وبالصليب ، فتصبحن شريفات (حرات)، وازوجكن من رجال اشراف . فأجبنه قائلات : حاشا لنا ان نكفر بالمسيح وبالصليب ، وحاشا لنا ان نبقى في الحياة بعد اسيادنا ورفاقنا . اننا لنموتن معهم ومثلهم من اجل المسيح . وحاشا لنا ان نسلم لك او نذعن لكلامك . فلما رأى الملك انهن أبين ان يكفرن ، امر ان يذهبوا بهن الى الوادي وهناك يقتلن . ففعلوا هكذا بهن ، فتكللن جميعاً بالسيف .

وفي نفس اليوم الذي قتلت فيه الاماء ، كانت هنالك أمة للشريف الحارث بن كعب تسمى مانحة ، وكانت شريرة في حياتها ، ووقحة وسبابة ، حتي أنها من جراء شرها كانت منبوذة من الجميع . وكانت جريئة في كل اعمالها ، بحيث خافها

اسيادها انفسهم بسبب شرها . كانت هذه مختبئة في احد البيوت . فلما بلغها مقتل اسيادها وعشيرتها ورفاقها ، هرولت الى الشارع ، واتزرت كالرجال ، واخذت تركض في شوارع المدينة منادية قائلة : ايها الرجال والنساء والمسيحيون ، انه لوقت ان توفوا فيه المسيح ما انتم مدينون به له . فاخرجوا وموتوا من اجل المسيح كما مات هو من اجلكم . فمن لا يخرج اليوم الى المسيح ، فليس هو له . ومن لا يستجيب اليوم المسيح ، فلن يستجاب له غدا . انه لأوان الحرب ، فاخرجوا وأنجدوا المسيح ربكم ، فغداً يُغلق الباب ولن تدخلوا اليه . انني اعلم انكم تبغضونني. لا والمسيح ، لن اكون لكم عدوة منذ اليوم . لا والمسيح ، لن اشتمكن بعد . تطلعوا الي وانظروا ، فانه ليس حولي شر ولا خلفي . اخرجوا لئلا امضي وحدي فيهرب مني اليهود كعادتهم ولا يقتلونني . وهذا كان صراخها حتى مثلت امام الملك . فلما رآها اليهود الذين كانوا يعرفونها ، قالوا لمليكهم : هوذا شيطان المسيحيين ، فليس هناك شيطان الا ويسكن في هذه . اما هي فقالت للملك : لك اقول ايها اليهودي الذابح المسيحيين ، قم واذبحني انا ايضاً لاني مسيحية . انني أمة الحارث بن كعب الذي قتلته قبل يوم . لا تظن انك قد غلبت سيدي ، بل سيدي هو الذي غلبك . اجل . انك ُغلبت لانك كذبت بالهك . اما سيدي فقد غلب اذ لم يكذب ويكفر بالمسيح . انني اقول لك ، انك لو جئت بجيش على سيدي ، وأمرني ، لخرجت بالرمح والسيف ، ولركلتك برجلي . نعم ، لو شاء سيدي لمعسك كالذباب . فأمر الملك فعروها من ثيابها . فقالت للملك : انك فعلت هذا لخزيك ولخزي جميع اليهود رفاقك . أما انا فلا استحي بهذا ، اذ كنت قد أتيت هذا مرات عديدة من تلقاء نفسي ، وكنت قد تعريت امام الرجال والنساء معاً ، ولم أخجل ، لانني امرأة كما خلقني الله . اما انت فان جحشون التاجر من حيرة النعمان كما يعلم جميع الحميريين بالخزي الذي اتاه نحوك ، اذ نجاك من موت الاحباش ابان الحرب .

وجحشون هذا ، اتفق ان ُوجد في بلاد الحميريين حين خرج الاحباش ودوخوا البلاد[1] ، وادركوا هذا اليهودي ، فانبرى جحشون يحلف بدلاً منه بالانجيل المقدس بانه مسيحي . وبهذه الوسيلة نجا ذلك اليهودي من الموت . اما الآن فبعد ان تملك

١) يشير الى الحملة الاولى التي قام بها الاحباش نحو سنة ٥١٩ .

وفتك بالمسيحيين ، ارسل الى حيرة النعمان الى جحشون ، من أسلاب المسيحيين مع رسالة شكر . ولاجل هذا فقد كان جميع المسيحيين يكرهون جحشون المشار اليه . وبسببه عيرت هذه الطوباوية الملك كما ورد اعلاه .

وأمر الملك فجاؤوا بثور وحمار ، ثم ربطوا برجليها حبالاً ، وربطوا الرجل الواحدة بالثور والاخرى بالحمار ، ثم تناول بنو اليهود عصياً ، اخذوا يضربون بها الثور والحمار معاً . وعلى هذا النمط طافوا بها ثلاثا شوارع المدينة حتى اسلمت روحها بالشهادة من اجل المسيح . وفي نهاية المطاف جاؤوا بها الى مقابل باب المدينة الشمالي ، تجاه قصر سيدها الحارث ، حيث كانت شجرة ضخمة تدعى « اثالة » وعلقوها بها منكسة الرأس حتى المساء ، كان اليهود يرشقونها بالحجارة والسهام . وفي المساء انزلوها عن الشجرة وسحلوها ثم طرحوها في الوادي .

وبعد ثلاثة ايام من مقتل الشريفات والاماء ، أي يوم الاحد ؛ ارسل الملك الى روهوم بنت ازمع يقول لها انها اذا كفرت بالمسيح عاشت والا ماتت . فلما سمعت هذه الكلمة هرولت الى الشارع ، الى وسط المدينة . المرأة التي لم ير احد وجهها خارج باب دارها ، بل لم تمش نهاراً في المدينة حتى ذلك اليوم الذي فيه وقفت امام المدينة كلها حاسرة الرأس وهي تصرخ قائلة : اسمعنني ايتها النساء النجرانيات المسيحيات رفيقاتي ، وغيرهن من اليهوديات والوثنيات : انكن تعلمن انني مسيحية ، وتعرفن جنسي وعشيرتي ومن انا ، وان لي ذهباً وفضة وعبيداً واماء وغلات[1] ؛ ولا يعوزني شيء . والآن وقد قتل بعلي من اجل المسيح ؛ فاذا شئت ان اصير لرجل لا يعسر علي ايجاد رجل . واني لاؤكد لكن ان عندي في هذا اليوم بالذات اربعين الف دينار مطبوعة ومكنوزة في خزينتي ما عدا خزينة زوجي وحلى وجواهر وحجارة كريمة ، رآها بعض منكن في بيتي . وانتن تعرفن يا رفيقاتي ، انه ليس للمرأة ايام فرح مثل ايام زفافها ، ومنذ ذلك الحين فصاعدا تلازمها ضيقات وتنهدات . فحين تلد أولاداً ؛ تلدهم بالبكاء والعويل . وحين تحرم من ولادة اولاد ؛ تكون

١) في الاصل « مكلات » ܡܟܠܠܬܐ بدلاً من ܘܥܠܠܬܐ كما ورد في رسالة الارشمي طبعة بيجان . وهي من خطأ الناسخ الذي دمج الواو والعين في ܘܥܠܠܬܐ وصاغ منهما ميما ، ثم اضاف اليها كافا فاضحت ܡܟܠܠܬܐ .

في ضيق وحزن . وكذلك حين تدفن اولادا ، تدفنهم بالبكاء والنحيب . اما انا فمن اليوم فصاعداً ، في منجاة من هذه كلها . وسأبقى[1] في فرح ايام عرسي الاول . وهوذا بناتي الثلاث[2] قد زينتهن للمسيح بدلاً من زواجهن[3] . فانظرن الي ، ها انكن ترين وجهي مرتين أي في زفافي الاول وفي هذا الثاني ايضاً . فقد دخلت مرفوعة الجبين امام جميعكن الى خطيبي الاول ، والآن ايضاً اذهب مرفوعة الجبين الى المسيح ربي والهي واله بناتي مثلما أتى هو الينا . فانظرن الي والى بناتي فانا لست اقل منكن جمالاً ، وها اني اذهب به الى المسيح ربي دون ان يدنس بكفر اليهود ، ليكون جمالي شاهداً امام ربي بانه لم يستطع ان يضلني بخطيئة الكفر بالمسيح ربي . وكذلك ليكن ذهبي وفضتي وجميع حلى زينتي وعبيدي وإمائي وكل ما لي شهوداً باني لم افضل محبتها على الكفر بالمسيح . والآن هوذا قد أرسل الي الملك لاكفر بالمسيح فأحيا . فأرسلت اليه قائلة : اني اذا كفرت سأموت ، واذا لم اكفر بالمسيح فسأحيا . وحاشا لي يا رفيقاتي حاشا لي ان اكفر بالمسيح الهي الذي آمنت به واعتمدت وعمدت بناتي باسمه[4] ، وانا اسجد لصليبه ، ومن اجله اموت انا وبناتي مثلما مات هو من اجلنا . ها انني اترك ذهب الارض للارض . فكل من اراد ان يأخذ ذهبي فليأخذه . وكل من اراد ان يأخذ فضتي وحلاي فليأخذها . ها انني اترك كل شيء بارادتي لأمضي وآخذ بدلاً منه من ربي . طوبى لكن يا رفيقاتي اذا انصتن الى كلماتي . طوبى لكن يا رفيقاتي اذا عرفتن الحق الذي من اجله نموت انا وبناتي . طوبى لكن يا رفيقاتي اذا احببتن المسيح . طوبى لي ولبناتي لاننا سنحظى بالطوبى الفائق وصفه . ليخيم الامن والسلام على شعب المسيح . وليكن دم اخوتي واخواتي الذين قتلوا من اجل المسيح ، سورا لهذه المدينة اذا ثبتت مع المسيح ربي . ها انني اخرج مرفوعة الجبين من مدينتكن التي اقمت فيها كما في خيمة وقتية ، لأذهب مع بناتي الى المدينة (الحرة) السنية الى حيث خطبتهن .

---

١) وردت في رسالة الارشمي طبعة بيجان لفظة « صرت » بدلاً من « وسأبقى » .

٢) وردت في رسالة الارشمي التي اجملها زكريا الفصيح مج٢ ص٦٧ واثبتها مار ميخائيل الكبير ص٢٧٥ « بناتي الخمس » . اما التي نشرها بيجان فلم تذكر العدد (اخبار الشهداء والقديسين ١ : ٣٧٩) وهو الصحيح .

٣) لقد كان للشريفة روهوم ابنتان شهيدتان فقط وهما عما (كما سمتها الوثيقة الثالثة) وأمة . وكانت عما متزوجة ، وهي ام روهوم الحفيدة الشهيدة .

٤) وردت في الرسالة المجملة « واعتمدت وبناتي باسم الثالوث الاقدس » .

صلين من اجلي يا رفيقاتي ليقبلني المسيح ربي وليغفر لي لاني بقيت ثلاثة ايام في الحياة بعد زوجي (ابي بناتي) . ولما قالت هذا الطوباوية روهوم ، صار عويل من جميع نساء المدينة حتى اضطرب الملك المنافق والذين معه خارج المدينة .

فلما جاء الرجال الذين كان قد ارسلهم ليأتوا بالطوباوية وحدثوه بكل هذه الامور التي نطقت بها الشريفة وقالوا ان عويل النساء انما كان من اجلها ، همّ بقتلهم لانهم سمحوا لها ان تنطق بهذا الكلام وتضل المدينة بسحرها ! بعدئذ خرجت من المدينة حاسرة الرأس ، مع بناتها[1] ، وأتت ووقفت امام الملك ساخرة دون خجل وهي تمسك بناتها[1] بيدها وهن مزينات كأنهن مستعدات للزفاف . وحلت ضفائرها ولفتها على يديها ، وكشفت عن قذالها ، ، ومدت عنقها ؛ وخفضت رأسها امام الملك صارخة : انني وبناتي[1] مسيحيات ومن اجل المسيح نموت ، فاقطع رؤوسنا لنذهب ونلحق باخوتنا[2] وبابي بناتي . اما الملك فحرضها ثانية وقال لها قولي فقط ان المسيح هو انسان وابصقي في الصليب وامضي الى بيتك انت وبناتك[1] . أما ابنة ابنة (حفيدة) الطوباوية روهوم ، وكانت في التاسعة من عمرها ، فلما سمعت الملك يقول لامها ان تكفر بالمسيح وتبصق في الصليب ملأت فاها بصاقاً وتفلت على الملك . هنا ايضاً زاد الاشراف الذين وفدوا الآن من نجران قائلين : ان هذه الفتاة التي اهانت الملك لم تكن ابنة الطوباوية روهوم بل ابنة ابنتها (حفيدتها) وقد سموها باسم جدتها روهوم . اما امها فقتلت مع السيدات اللواتي قتلن قبل يوم . وهذه الفتاة قالت للملك : البصاق عليك اذ لم تخجل ان تقول لسيدتي ان تكفر بالمسيح وتبصق في الصليب . الكفر بك وبجميع اليهود رفاقك ، والكفر بكل من يكفر نظيرك بالمسيح وبصليبه . يعلم المسيح ان سيدتي اشرف من امك ، وان عشيرتي انبل من عشيرتك . ومع هذا فقد تجاسرت ان تقول لسيدتي لتبصق في الصليب وتكفر بالمسيح . ألا فليسد فوك ايها اليهودي القاتل ربه . ولما قالت الفتاة هذا للملك ، امر

---

١) لا مثنى في السريانية ، ولذلك استعملت هنا لفظة الجمع . والاصح ان يقال في الترجمة : بنتيها ، بنتاي ، بنتاك ، اذ لم يكن مع الشريفة روهوم آنذاك سوى اثنتين فقط . وهما : أُمة ، وروهوم التي ظنها الكاتب انها بنتها ، بينما هي حفيدتها اي ابنة ابنتها كما استدرك هو نفسه في الرسالة الثانية . وكانت امها قد قتلت قبل ثلاثة ايام .

٢) لقد سها الناسخ عن ذكر « واخواتنا » الواردة في رسالة الارشمي .

فألقوا بجدتها الارض . ولتخويف جميع المسيحيين ، ذُبحت عليها هذه الفتاة ، فسال دمها في فم جدتها . ثم ذبحت ابنة الطوباوية ايضاً واسمها أُمة ، وسال دمها هي الاخرى في فم امها . ثم اقامها الملك عن الارض وسألها : كيف تذوقت دم بنتيك ؟ فاجابت : اني تذوقته بفمي وبنفسي كقربان طاهر لا عيب فيه . فأمر فحز رأسها للحال .

هنا ايضاً زاد الذين وفدوا من نجران قائلين : انه بعد مقتل الطوباوية روهوم ، تقدم العظماء الى الملك وقالوا له : ان هذه المرأة قد أسدت أيادي بيضاء الى كل احد ، أي الى الملك والى العظماء والى الفقراء . وهكذا فعلت حينا مع معدوكرم الذي كان ملكا قبلكم على هذا البلد ، اذ احتاج واستقرض منها اثني عشر الف دينار . واخيراً لما رأته وقد احتاج ، تركتها مع رباها . وقد اغنت كثيرين في كل شيء . لذلك نلتمس منك ان تتفضل وتمنحنا هذه النعمة فقط ، وهي ان تُدفن هذه المرأة اعترافاً بأياديها البيضاء على كل احد ، لانها كانت في كل شيء تصنع الخير ، سوى انها كانت مسيحية . فأمر بدفنها . فلفوها بكتان بال ودفنوها على ضفة الوادي الذي قتلت فيه رفيقاتها .

واردف الذين وفدوا من نجران ، ان الشريف الحارث بن كعب ايضاً ، دفن بناء على التماس العظماء ، عند سور المدينة ازاء قصره . وقد تكللت الطوباوية روهوم بنت ازمع ، وابنتها التي تدعى أُمة ، وابنة ابنتها واسمها روهوم ، يوم الاحد الواقع في ٢٠ تشرين الثاني .

وفي اليوم نفسه حفروا حفرة في الارض ، اقاموا فيها رجلاً اسمه عربي بن دويل من عشيرة جو ، وطمروه بالتراب حتى صدره ، ثم قام اليهود يرشقونه بالسهام حتى ملأوا صدره ووجهه ، من قدامه ومن خلفه . وبهذا تكلل عربي .

واستطرد ايضاً هؤلاء المؤمنون ، ان احد المؤمنين واسمه ملك بن معاوية من عشيرة يقبول ؛ والذي دعي ابراهيم لما نُذر ، حين رأى احتراق الكنيسة والكهنة ومعلمه ؛ هرول الى الكنيسة ، ووقف في فنائها ونادى قائلاً : اسمعوا ايها المسيحيون والوثنيون واليهود ، كفرا باليهود ؛ وكفرا بكل من لا يعترف بان

المسيح هو الاله وابن الاله الحق ، وكفرا بكل من يكفر بالمسيح . ولما قال الفتى هذا ، ختم نفسه باسم الآب والابن والروح القدس ، ورسم اشارة الصليب على جبينه وسارع الى الكنيسة وهو ينادي قائلاً : اقبلوني يا معلمي وسادتي لامضي معكم الى المسيح . ثم القى بنفسه في النار واحترق مع الكهنة .

وقالوا ايضاً : ان صبياً في الثامنة من عمره ، خرج من المدينة ، واخذ يتجول بين الاشلاء ، فقبض عليه اليهود وجاؤوا به الى ملكهم . فسأله ما الذي تطلبه بين الاشلاء ؟ فأجابه الصبي : انني اطلب أبي ، لاني اريد ان اموت معه . قال له الملك : بلغني انك عبد ، وان اباك هو من حضرموت وامك من مأرب ، ولست نجرانياً . فأجابه الصبي : يعلم المسيح انني ابن الاشراف وابن بني الاشراف وان ابي وامي هما من نجران ومن عشيرة جو ، وانني لن اخرج من هنا حتى تقتلوني كأبي وأمي ، لئلا يمضيا الى المسيح بدوني . ولما قال الصبي هذا ، امر الملك بجز رأسه.

وقالوا ايضاً .. [1] ان سيدتين نجرانيتين اسم الواحدة حبصة (بنت حيان) والاخرى حية بنت ملك ، ربطوا بأرجلهما حبالاً وربطوهما بجملين . فجرهما الجملان من ايلين الى مكان يسمى ايصله ، يبعد تسعة اميال عن ايلين . وفي الطريق تكللت المغبوطتان بالشهادة من اجل المسيح ، اذ فسخت ارجلهما من الكعب وظلت جثتاهما في الارض .

ان هذا النزر اليسير الذي كتبناه الى محبتكم هو مما نقله لنا الاشراف المؤمنون الذين وفدوا من نجران ، ومن الرسائل التي تليت امامنا وهي باللغة النجرانية والتي من كثرتها لم نتمكن من كتابة كلها لضعف بصرنا . اقول الحق لقداستكم ، انني حين اطيل الكتابة ، يتشوش بصري ، حتى يبدو لي كل شيء اثنين بدلاً من واحد هذا فضلاً عن ان الشيخوخة ترعش اليدين اذا ما اطالتا قليلاً في الكتابة . لذلك اهملنا كتابتها كلها . اما هذا الذي كتبناه فليكن داعياً الى تسبيح الثالوث المسجود له والممجد والمتساوي في الازلية ، والى تشجيع المؤمنين ابان الشدة . فاذا كان البرابرة قد صاروا قريبين الى المسيح ، وزهدوا في ذهبهم وفضتهم وكل مالهم ، واذا كانت

(١) لقد امحت هنا بعض الالفاظ بتأثير الرطوبة ، فأخذنا اسم والد الشهيدة حبصة من الوثيقة الثالثة .

النساء قد نزلن الى حومة النضال بشجاعة منقطعة النظير من اجل المسيح ، فبالاحرى يتوجب علينا نحن ان نترك اكواخاً صغيرة ودوراً فخمة ، ونكون مع المسيح في المخادع السنية التي اعدها عند ابيه . فلا يقولن الشيخ انني قد شخت وضعفت ولا استطيع ان ابرح مكانا الى آخر . بل ليفكر في انه خير له ان يكون مع المسيح من ان يبتعد عن المسيح ويبقى وحده يتمتع بطعمة وهمية .

ونلتمس من محبتكم ان تُنقل هذه الامور الى بلاد المؤمنين (الارثوذكسيين) والى الاديار المقدسة التي ذكرنا اسماءها في رسالتنا الاولى ، وبنوع خاص الى الاسقف القديس مار بطرس متروبوليت افامية ومار توما اسقف جرمانيقي (مرعش) ، اللذين سهونا عن كتابة اسميهما في رسالتنا الاولى . اما الآن فنلتمس بمحبة ربنا ان تنقل لطهرهما هذه والاولى ايضاً ، فيرضيا ان يغفرا لنا هذه الزلة بواسطة فضيلتكم .

نرسل ايضاً طيها الى قداستكم ، صورة الرسائل الخاصة بالايمان ، والتي كتبها الاحباش الى ارثوذكسي الفرس ، مع صورة المعروض والايمان التي قدمناها نحن الضعفاء الى الاسقف اوبروبيوس اسقف الاحباش والى كالب ملكهم المؤمن ، والتي سبقنا فأرسلنا صورة عنها الى طهركم .

ونلتمس ان يقدم طهركم الصلاة في كل آن ، من اجل جميع الذين يسألون صلاتكم ، كما اننا نلتمس ان نكون نحن ايضاً بين اولئك الذين تقدم صلاتكم من اجلهم فنستحق بمؤازرة طلبتكم التي تقدم من اجلنا ، ان نتمتع كعادتنا بجوابكم المفيد.

وقد كتبنا هذه الرسالة الى ابوتكم من حيرة[١] جبلة ملك الغساسنة ، في المكان المسمى « جبينا » ، في شهر تموز سنة ٨٣٥[٢] للاسكندر (٥٢٤م) .

« اسماء رؤساء القسوس الذين احترقوا في بيعة نجران »

القس مرجيس الرومي ، القس كبرئيل النجراني ، القس ايليا من حيرة

---

١) هي ܚܝܪܬܐ « حيرتا » السريانية ومعناها « قصر » .

٢) لقد نقل الناسخ خطأ سنة ٨٣٠ بدلا من ٨٣٥ كما وردت اعلاه ، فاقتضى تصحيحها هنا .

النعمان الذي كان تلميذاً للطوباوي مار نعمان بن ميخائيل الذي رقد في دير مار بس حوريم المقدس ، والقس ابراهيم الفارسي .

« اسماء رؤساء الشمامسة »

الارخدياقون حنانيا الرومي ، الشماس يونان الحبشي ، الشماس شليمون النجراني ، الشماس موسى بن مازن النجراني ، والشماس موسى الذي قتل بالسيف .

« اسماء رؤساء الافوديافونين »

ابراهيم بن معاوية ؛ معاوية بن احوية ؛ وقيوس بن سلمان ؛ مع باقي الكهنة والنذراء والنذيرات والعلمانيين والعلمانيات الذين بلغ عددهم على ما قال الذين وفدوا من نجران ، الفين كما كتب اعلاه . فبصلواتهم وصلوات جميع القديسين رفاقهم ، والقديسة والدة الاله ، ليلق ربنا امنه وسلامه في شعبه وبيعته وفي اقطار العالم الاربعة ، جميع الايام التي ثابت فيها العالم . ومن فم جميعنا يقدم الحمد له ولابيه ولروحه القدوس الآن وكل اوان والى الابد آمين.

(انتهت قصة القديسين بني نجران والحميريين ، لتكن صلاتهم معنا آمين)

الفصل الثالث

الوثيقـــة الاولى

روى الارشمي في هذه الرسالة ، انه في العشرين من كانون الثاني سنة ٥٢٤م غادر والقس ابراهيم بن اوفروس ؛ الحيرة في طلب المنذر ؛ وسلكا طريق الصحراء مسيرة عشرة ايام حتى وجداه في الرملة . وفيما هما داخلان مضربه ؛ عيرهما العرب الوثنيون والمعديون قائلين : « ماذا بامكانكم ان تفعلوا بعد ؟ فهوذا مسيحكم قد طرد من الحميريين والفرس والروم جملة » . فحز الامر في نفسيهما ، ولكن جرحهما

ازداد ألماً حينما وصل بحضورهما الى المنذر ، رسول اوفده ملك الحميريين المضطهد ، وسلم اليه رسالة ملؤها التجبر والمكابرة ، جاء فيها : « ان الملك الذي كان قد نصبه الاحباش في بلادهم مات ؛ وادرك الشتاء ؛ ولم يقدر الاحباش ان يخرجوا الى بلادهم لينصبوا ملكاً مسيحياً كما اعتادوا ؛ فتملك هو على سائر بلاد حمير . وفكر قبل كل شيء في ابادة نصارى تلك البلاد اذا لا يتهودون مثله » . ثم ذكر له حنثه في أيمانه الغليظة لهم ؛ ومراوغته ومخاتلته في القضاء على الحامية الحبشية التي كانت قد تركت لحراسة الكنيسة التي بناها ثم الاحباش ، وكانوا مئتين وثمانين شخصاً ما بين اكليريكي وعلماني ؛ وجعله كنيستهم مجمعاً لليهود ؛ ومجزرته الرهيبة التي روّعت نجران ؛ واحراقه كنيستها وعظام اسقفها الشهيد مار بولس والشهداء الآخرين ؛ وفتكه بجميع الاشراف النجرانيين ، بعد قوله لهم : « ها ان الروم قد ادركوا الآن[1] ان المسيح كان انساناً بحتاً ؛ فما بالكم انتم تضلون وراءه ؟ ألعلكم افضل من الروم » ؟ وفي الختام حرضه على ان لا يترك هو ايضاً مسيحياً في قومه الا وقد كفر وصار من دينه ؛ واوصاه خيراً برعاياه الذين من اخوته اليهود .

ثم روى رسوله بخيلاء وازدراء ؛ كيف قتل المسيحيون وطوردوا من بلاد حمير ؛ ذاكراً التوبيخ الصارم الذي وجهته الشهيدة الشريفة رومي وابنتاها وبعض الشهداء الابطال ؛ الى المضطهد اليهودي الغاشم ؛ ما لم يكتبه هو في هذه الرسالة . فما كان من المنذر ؛ الا ان استدعى اليه ضباطه وجيشه ؛ واشراف المسيحيين رعاياه وتلا الرسالة على مسامعهم ؛ عارضاً عليهم الكفر بالمسيح ؛ « الذي طرد من الحميريين والفرس والروم جملة »[2] . فتصدى له ضابط مسيحي شريف وقال : « اننا لم نتنصر في عهدك لنكفر بالمسيح » فسكت عنه المنذر ؛ اولاً : من اجل عشيرته ، ثانياً : لانه كان شريفاً ومعروفاً وشجاعاً في الحرب .

في غياب الارشمي عن الحيرة ؛ وصل اليها وفد من المسيحيين الحميريين ؛ بينهم رسول الى المنذر المشار اليه ، من قبل الملك المسيحي الذي كان قد نصبه

١) يشير الى الاضطهاد الذي اثاره يوسطينوس الاول البيزنطي سنة ٥١٨ علينا نحن الارثوذكسيين ودام حتى سنة ٥٢٧

٢) يعني بهذا الاضطهادات التي اثارها علينا نحن الارثوذكسيين ذو نواس او مسروق المتهود سنة ٥٢٣ ، وفيروز الفارسي سنة ٤٨٠ ويوسطينوس الاول سنة ٥١٨ .

الاحباش في بلاد حمير . فبلغهم وهم في الحيرة نبأ وفاته . ولما عاد الارشمي الى الحيرة ، اجتمعوا اليه ، فأخبرهم بما جرى في بلادهم . فاستأجروا ساعياً من الحيرة ، وارسلوه الى نجران ليأتيهم بالخبر اليقين . فعاد وفي وطابه الشيء الكثير من اخبار تلك الاحداث المؤلمة ، مما احزن وآلم جميع المسيحيين اهل الحيرة ، وحدا الارشمي الى تحبير هذه الرسالة ، استناداً الى ما سمعه من فحوى رسالة المضطهد اليهودي الى المنذر ، وما رواه رسوله شفويا للمنذر بحضوره ، وما نقله له الساعي الحيري . فيقول مثلًا : « ان الساعي الذي اوفد من الحيرة الى نجران ، نقل لنا ما تحدث به رئيسهم الحارث بن كعب زوج رومي » . او يقول : « وهذه ايضاً لم ترد في رسالة ملك الحميريين الى الملك المنذر ، لكن الذي عاد من نجران قال كذا وكذا » .

وقد ذكر هذا الساعي بالتفصيل جرأة الحارث النبيل وجوابه السديد للملك حين عرض عليه الكفر بالمسيح والصليب بقوله له : ان ما يحز في نفسه هو ان المسيحيين رفاقه لم ينقادوا لكلامه في ما اختطه ضده . ذلك انه تأهب لمنازلته ، وكان واثقاً بأن المسيح سينصره عليه ، فلم يوافقوه في ذلك . فنوى اذ ذاك ان يخرج اليه بأهل عشيرته وعبيده وحدهم ، فاوصدوا في وجهه ابواب المدينة . ولما لم يفسحوا له في الخروج ، نصحهم الا يأمنوا جانبه ولا يصدقوا أيمانه لانه غدار خوان ، وان عليهم ان يحتفظوا بابواب المدينة وثوقاً منه بانها لن تفتح قهراً اذ لم يكن يعوزها شيء ، فلم يسمعوا له . ثم وبخ الطاغية اليهودي قائلًا : انه ليس ملكاً ، لان الملك لا ينكث عهده . وقد رأى ملوكاً كثيرين ولكنه لم ير ملكاً يحنث في يمينه . ثم قال له : انه يطيب له ان يموت من اجل المسيح الذي آمن به منذ نعومة اظفاره . بل هو جد مغتبط به اذ اهّله ان يموت من اجله في شيخوخته ، وبعد ان اكثر له الاولاد والاحفاد واهل العشيرة ، ونصره في حروب كثيرة ، وعاش طويلًا ولم يعزه شيء . وأعرب له عن وطيد امله بتكاثر المسيحيين في نجران وبتجدد الكنيسة التي احرقها بالنار ، وانطفاء اليهودية وزوال ملكه . فأمن الاعيان الحاضرون على قوله ، واعلنوا استعدادهم التام لان يموتوا جميعاً معه من اجل المسيح على ان يكفروا به . ثم اشهد الشيخ الحارث الحاضرين ، من مسيحيين ووثنيين ويهود ، على انه اذا كفرت زوجته او احد اولاده واهله وبني عشيرته ، فانه يتبرأ منه ،

واقفاً كل ما يملك للكنيسة التي ستبنى في نجران . امـــا اذا عاشوا بعده امناء على دينهم ، فكل ما يملك هو لهم ، حاشا ثلاث قرى تختارها الكنيسة لنفسها . وبعد ان كفر بالملك وبرفاقه اليهود ، قال له : « انا كنت اتقدم رفاقي فأشرب الكأس الاولى في الولائم ، فامزج لي الآن ايضاً في المقدمة كأس الموت هـــذه من اجل المسيح » . فأمر ان يساقوا جميعاً الى وادٍ حيث حزت رؤوسهم والقيت اشلاؤهم .

ووصف الساعي ايضاً شهادة نســاء هؤلاء الاشراف قائلاً : لما أتي بهن الى الملك ، اخبرهن بصير ازواجهن لانهم أبوا الكفر بالمسيح والصليب ، وسألهن ان يشفقن هن على انفسهن واولادهن ويكفرن ويتهودن ، والا مُتنَ شر ميتة . اما هن فأبين قائلات : حاشا لهن ان يكفرن او يعشن بعد ازواجهن ، بل انهن مستعدات لان يمتن نظيرهم من اجل المسيح . فأمر ان يذهبوا بهن ايضاً الى الوادي ويقتلوهن جميعاً . فكن والنذيرات والراهبات اللواتي لم يحترقن في الكنيسة يتسابقن في مضمار الشهادة ، ويزحمن بعضهن بعضاً ، وكل تريد الحظوة بشرف الاسبقية . وعلى هذا المنوال تكللن جميعاً بالسيف ، عدا رومي بنت ازمعالتي منع الملك من قتلها ، نظراً الى عظمتها وعشيرتها وجمالها ، ظنا منه انه يستطيع ان يغريها لتكفر وتتهود . فرجعت الى المدينة كئيبة اذ لم يتـــأت لها الفوز باكليل الشهادة . وبعد ثلاثة ايام ارسل الملك يقول لها انها اذا كفرت عاشت والا ماتت . فلما سمعت هذا الكلام ، هرولت الى الشـــارع الذي يتوســـط المدينـة ، ونادت باعلى صوتهـا النســـاء النجرانيات ، من مسيحيات ويهوديات ووثنيات ، وذكرت لهن اصلها وفصلها وعظمة جنسها وعشيرتها ، وما عندهـا من المال والذهب والفضة والحلى والحجارة الكريمة والعبيد والاماء ؛ وما لها من الحسن والجمال ؛ ما هو معروف لديهن جميعاً ؛ ومع ذلك فقد زهدت في كل شيء حباً بالمسيح ليس الا ؛ وستموت هي وبناتها من اجله لتحظي بالحياة المجيدة في السماء . فذرفت عليها النساء الحاضرات ؛ العبرات وصعدت الزفرات ؛ حتى بلغ صوت عويلهن مسامع الملك . وسارعت الشريفة رومي الى الملك ؛ وحلت ضفائرها ولفتها على يديها ؛ ودنت منه واحنت عنقها قائلة : انها وبناتها مسيحيات ، وسألته ان يجز رؤوسهن ليلحقن باخوتهن واخواتهن وبأبي البنات . فقال لها ان تبصق في الصليب وتكفر بالمسيح والا قتلها اشنع قتلة . فلما سمعت هذا بنتها

الصغرى وكانت في التاسعة من عمرها ؛ ملأت فاها بصاقاً وتفلت في وجهه قائلة : البصاق عليك اذ لم تخجل ان تقول لسيدتي ان تكفر بالمسيح وتبصق في الصليب . الكفر بك وبجميع اليهود رفاقك .. يعلم المسيح ان سيدتي اشرف من امك ؛ وان عشيرتي انبل من عشيرتك . الا فليسد فوك ايها اليهودي القاتل ربه » . ولما قالت هذا امر الملك فألقوا بالسيدة رومي الارض ؛ ثم ذبحوا عليها هذه الفتاة واختها فسال دمها في فمها . ثم اقامها عن الارض وسألها : « كيف تذوقت دم بنتيك ؟ فأجابت : انني تذوقته بفمي وبنفسي كقربان طاهر لا عيب فيه » . فأمر فحز راسها للحال .

وذكر الساعي كذلك طفلاً في الثالثة من عمره ، تبع امه عند خروجها من المدينة للشهادة . فلما عاين الملك جالساً على العرش ، ظنه الملك المسيحي الذي اعتاد ان يراه في الكنيسة ، فترك امه وعدا اليه وقبّل ركبتيه . فهش له الملك واخذ يربت على كتفه وسأله مداعباً اذا كان يفضل البقاء عنده ام مرافقة امه الى الموت . فقال مرافقة أمه كي يموتا كلاهما من اجل المسيح ، كما سبقت فقالت له ، لانه لا يكفر بالمسيح . فسأله ومن اين عرف المسيح ؟ فأجاب انه وأمه يريانه كل يوم في الكنيسة ، وسيريه اياه اذا جاء اليها . فسأله ان يبقى عنده ويصير له ابناً . فأبى قائلاً : ان رائحته كريهة وان رائحة امه اذكى منها ، وانه لو عرفه يهوديا لما دنا منه . فعرض عليه احد الوزراء ان يرافقه الى الملكة لتصير له أماً ؛ فقال له ان امه خير له منها ، لانها تأخذه الى الكنيسة . ولما رأى الطفل ان الملك لا يدعه ليمضي الى امه ؛ عضه على فخذه ليتركه . فسلمه اذ ذاك الى احد الوزراء ليحتفظ به حتى يبلغ اشده ، وعندئذ اذا كفر بالمسيح عاش والا مات . فحمله خادمه وهو يبكي ويرفس برجليه وينادي امه لتأخذه الى الكنيسة ، وتنتزعه من ايدي اليهود الذين يحاولون خطفه . وكانت امه تتطلع اليه فقالت له : « لا تبك يا بني . انني استودعك المسيح ؛ فاذهب وانتظرني عنده في الكنيسة حتى آتي اليك » . ولما قالت هذا حُز رأسها . ان هذا الخبر يؤيد قول المضطهد في رسالته الى المنذر « وقد ذهلنا من الاطفال الذين خلناهم لا يعرفون شيئاً ، اذ كانوا يموتون في هذا الضلال نفسه »[1].

١) لقد اكتفينا بهذه الخلاصة ، اولاً : لان الوثيقة نشرت بالسريانية والعربية اكثر من مرة ، ثانياً : لان القصة السابقة اشتملت على معظمها . ثالثاً : لاننا سنعود الى دراستها وتحليلها في الباب الثالث .

وبعد ان يسرد الارشمي هذه الامور يقول : « ولما تليت هذه الرسائل امام الملك المنذر وامام كثيرين ؛ شمل المسيحيين جميعاً حزن عظيم ؛ فكتبنا حالاً صورتها وارسلناها الى محبتكم ؛ ملتمسين ان تنقل هذه الامور عاجلاً وسريعاً بدون امهال ولا اهمال الى الاساقفة القديسين الهاربين مع المسيح الى مصر ؛ وبواسطتهم الى رئيس اساقفة الاسكندرية ؛ ليكتب بدوره الى ملك الحبشة واساقفتها لينجدوا الحميريين فوراً . وان تنقل ايضاً هذه الامور الى مدن المؤمنين أي الى انطاكية وطرسوس قيليقية وقيسرية قبدوقية والرها وباقي مدن المؤمنين ؛ ليعملوا تذكاراً للشهداء والشهيدات القديسات الآنفي الذكر ؛ ويصلوا من اجل أمن وسلام الكنائس المقدسة والمملكة . وليعلم الاساقفة ايضاً ؛ ان اليهود مستترون في ملاجىء كنائس الروم وهياكلهم ، في حين ان رفاقهم يرتكبون جرائم في حق المسيحيين في بلاد الحميريين . ان اساقفة ابرشيات الروم كلها السابقين منهم واللاحقين ، طمعاً بالحصول على قيراط او قيراطين يؤجرون لليهود بيوت الكنائس والهياكل ، ويسترونهم تحت راية الصليب ، في حين ان يهود طبرية ، يوفدون الى بلاد حمير ، كهنة في كل عام ، وفي كل موسم ، ويثيرون الفتن ضد المسيحيين الحميريين . فاذا كان الاساقفة مسيحيين حقاً ويريدون بقاء المسيحية ، وليسوا شركاء لليهود ، ليلتمسوا من الملك (القيصر) وعظمائه لالقاء القبض على رؤساء كهنة طبرية (اليهود) وغيرها من المدن ، وطرحهم في السجن[1] . ولا نقول بان يقابل الشر بالشر ، بل ان يقدموا كفلاء بانهم لن ينفذوا بعد رسائل ولا رسلا الى ملك الحميريين الذي ارتكب كل الجرائم المذكورة اعلاه في حق المسيحيين الحميريين ، وان يهددوهم بانهم اذا اعادوا الكرة ، احرقت مجامعهم وطردوا من تحت راية الصليب ، واستولى عليهم المسيحيون . ولكني اعلم ان ذهب (مال) اليهود سيسارع الى اخفاء الحق ، فيزداد بذلك اليهود والوثنيون تجبرا . ذلك ان محبة الفضة والذهب قد رسخت في الكنيسة رسوخا ، وان المحبة قد بردت لدى الرعاة ، ولذلك حرمت الابرشيات من الرعاة الذين يتألمون عن ابرشياتهم . اما نحن فعلينا ان نقول ، واما هم فليفعلوا ما بدا لهم ، والمسيح الاله والراعي

---

١) ورد في اللؤلؤ المنثور ص٢٥٢ « ان مار شمعون حث على ازالة الشدة عن المسيحيين في اليمن وفي طبرية » والصحيح عن المسيحيين في اليمن (الحميريين) فقط كما ورد اعلاه .

الصالح الذي اسلم نفسه عن رعيته ؛ يعمل ما يراه ملائماً ونافعاً لرعيته المبتاعة بدمه الثمين » .

الفصل الرابع

الوثيقـــة الثانيـــة

لم نجد نسخة مستقلة لهذه الوثيقة التي لا عهد بها لاصحاب البحوث التاريخية حتى اليوم ، والتي اوقعها الاتفاق الطريف بيدنا ، في مخطوطة سريانية ضخمة ، تخص خزانتنا البطريركية ، مندمجة في الوثيقة الاولى بعنوان : « قصة أي شهادة الطوباويين الحميريين الذين تكللوا في مدينة نجران » كما اسلفنا . وبما انها جُعلت والاولى بمثابة قصة ، لم يرد فيها اسم مرسلها ولا اسم المرسلة اليه . وحيث ان للوثيقة الاولى جملة نسخ مختصرة قليلاً او كثيراً كما سيأتي ، لذلك يمكننا فصل هذه الوثيقة عنها بكل سهولة . والى القارىء الكريم ترجمتها ليحيط علماً بما اشتملت عليه من الفوائد العميمة .

« لقد روى الذين وفدوا من نجران ، انه حالما تملك هذا اليهودي المنافق ، كتب الى حضرموت وسبأ وحزبة ودياريدن وتيمنة ونجران وغيرها من البلاد الخاضعة لسلطانه ، ليحضروا الى دياريدن . اما هو فتوجه الى ظفار عاصمة الحميريين ريثما هم يجتمعون ، وحارب الاحباش الذين كانوا في ظفار ، في الكنيسة التي انشأها ثم الاحباش . واذ رأى انه لن يقوى عليهم بالحرب ، أوفد اليهم كاهناً لاوياً من طبرية وشخصاً من نجران اسمه عبدالله بن ملك ، كان مسيحياً اسماً فقط ، وشخصاً آخر من حيرة النعمان اسمه كونب بن موهوبة ، وكان هو الآخر مسيحياً (اسماً) ، وحملهم رسائل الأيمان الى الاحباش ، بانه لن ينالهم اذى اذا هم خرجوا اليه تلقائياً ، وسلموا مدينة ظفار ، واعداً بارساله اياهم احياء الى ملك الاحباش .

فلما تسلموا رسائل الأيمان خرجوا اليه وكانوا ثلاثمئة رجل ؛ مع رئيس قسوس الاحباش واسمه أبا بوت ؛ رحب بهم اليهودي بوجه باش ؛ ثم فرقهم على عظمائه ليقتل كل منهم الحبشي الذي في حوزته . وفي تلك الليلة قتل الجميع . وفي الصباح وجدت اشلاؤهم مكومة بعضها فوق بعض . وللحال ارسل رجالاً الى مدينة ظفار ؛ واحرق الكنيسة التي كان فيها الاحباش ؛ وكل من وجد ثمة من الاحباش وكانوا مئتي رجل . فكان عدد الاحباش الاولين والآخرين جملة ؛ خمسمئة ، ما بين اكليريكي وعلماني . واوفد للحال رسلا صحبة كهنة اليهود ؛ الى البلاد الخاضعة لسلطانه ؛ لقتل المسيحيين حيثما وجدوا ؛ اللهم الا اذا كفروا بالمسيح وتهودوا . وأمر بان يحرق هو وبيته كل من يخفي مسيحياً ؛ وان يصادر كل ماله .

فقتل اولاً في حضرموت القديس القسيس مار ايليا الذي كان قد تهذب في دير مار ابراهيم في تلا المجاورة لمدينة الرقة ؛ وقد رسمه قسيساً مار يوحنا اسقف مدينة تلا ؛ وتكللت معه أمه وأخوها ايضاً . والقسيس مار توما الذي كانت يسراه قد بترت بالاعتراف من اجل المسيح ؛ وكان قد تهذب في دير مار انطيوخينا في مدينة الرها . وتكلل معهم القسيس مار وائل وقسيس آخر اسمه مار توما كان من مدينة نجران ؛ وكان يقيم في حضرموت .

وبعث الملك قواده الثلاثة على رأس جنودهم ؛ الى مدينة نجران ليحاربوا أهلها . فبارزهم النجرانيون بعدد ضئيل وطاردوهم بقوة المسيح وقتلوا منهم عدداً وافراً ؛ وعادوا الى نجران دون ان ينال احداً منهم اذى . فأعاد الكرة ؛ فقتل النجرانيون في هذه المرة ايضاً عدداً كبيراً منهم . واخيراً جاءهم الملك بنفسه بمئة وعشرين الفاً من الجند ؛ وطوق نجران اياماً كثيرة . ولما عجز عن فتحها بالحرب أوفد اليهم كهنة اليهود الذين من طبرية ؛ حاملين توراة موسى وكتاب الايمان مختوماً بختم هذا الملك اليهودي ؛ حالفاً لهم بالتوراة وبلوحي موسى وتابوت العهد واله ابراهيم واسحق واسرائيل ؛ بانه لن ينالهم أذى اذا هم اسلموا المدينة طوعاً وخرجوا اليه . فوثق النجرانيون بالأيمان ؛ وخرج اليه نحو ثلاثمئة شخص من الاشراف . فرحب بهم ببشاشة وتودد ؛ وكرر لهم شفوياً الأيمان المكتوبة بانه لن ينالهم أذى ؛ ولن يكفرهم بمسيحهم ؛ ولن يضيّق على أحد بسبب المسيحية . وتناولوا

الطعام أمامه . وأمرهم ان يخرجوا اليه في اليوم التالي الف شخص ويتناولوا الطعام أمامه . فلما فعلوا ، أمرفقرقوا على عظمائه ، خمسين خمسين لكل منهم ، وأمرهم سرا ان يحتفظ كل منهم بالاشخاص الذين يصلون اليه ، حتى اذا انتهوا من تناول الطعام ، كبلوا بأيديهم وأرجلهم ، وجردوا من سلاحهم . ولما فعلوا هذا واطمأن بالهم من ان اشرافهم قد كبلوا جميعاً ؛ ارسل (الملك) حالاً يهوداً ووثنيين وقبضوا على المسيحيين الذين في المدينة ليروهم عظام الشهداء . فجمعوا عظام الشهداء كلهم ، وعظام الاسقف مار بولس الذي رسم اول اسقف لمدينة نجران من القديس مار اخسنويو المدعو فيلوكسينوس اسقف منبج . وكان مار بولس هـذا قد نال اكليل الشهادة بواسطة يهود طبرية رجماً بالحجارة مثل الشهيد اسطيفانس في ظفار عاصمة المملكة ، والآن احرقوا بالنار ايضاً عظامه . ومع عظام مار بولس[١] ... ايضاً الذي صار اسقفاً ثانياً لمدينة نجران من مار اخسنويو اسقف منبج نفسه . فقد ادخل اليهود الى الكنيسة جميع عظامهم وكوموها بعضها فوق بعض في وسط الكنيسة ، ثم ادخلوا القسوس والشمامسة والافودياقونين والقراء والنذراء والنذيرات والشبان والشابات الذين سنكتب بعضاً من اسمائهم في ختام رسالتنا هذه ، وملأوا الكنيسة كلها من اولها الى آخرها ، وقد بلغ عددهم الالفين على ما نقل لنا الذين وفدوا من نجران . ثم جاؤوا بالحطب ووضعوه حول الكنيسة ، ثم اضرموا فيه النار ، احرقت الكنيسة ومن وجد فيها جميعا .

اما النساء الاخريات اللواتي لم يقبض عليهن مع رفيقاتهن ، فلما شاهدن احتراق الكنيسة والكهنة والنذراء بالنار ، سارعن الى الكنيسة مناديات بعضهن بعضاً قائلات : هيا بنا ايتها الرصيفات لنتمتع برائحة الكهنة . فكن من ثم يدخلن النار ويحترقن . واما اخت القديس مار بولس الاسقف الشهيد ، واسمها اليشبع ، وكانت شماسة ، فكان بعض المسيحيين قد اخفوها قسراً في احد البيوت . فلما علمت باحتراق الكنيسة والنذراء وعظام اخيها بالنار ، سارعت الى الكنيسة مرددة بصوت عال قائلة : ها انني معك يا اخي امضي الى المسيح . وهكذا دواليك حتى

١) لقد امحى اسم اسقف نجران الثاني في المخطوطة التي اكتشفت فيها هـذه الوثيقة ، فأخذناه من عنوان الفصل الرابع من الوثيقة الثالثة ، وهو مار توما . (انظر هنا حاشية ص٢٦) .

دخلت فناءها . فلما عاينها اليهود في الفناء ، ظنوا انها قهرت النار وخرجت من الكنيسة . فقالت لهم كلا ، لم اخرج من الداخل بل جئت من الخارج لادخل واحترق مع عظام أخي ورفاقه الكهنة . كيف لا واني اشتهي ان احترق مع عظام أخي في نفس الكنيسة التي خدمت فيها . وكانت في السابعة والاربعين من عمرها . فقبض عليها اليهود وجاؤوا بحبال رفيعة ، وعكفوا رأسها وركبتيها كالجمل ثم ذراعيها ، ولفوا عليها الحبال ووضعوا تحتها اوتاداً خشبية وفتلوها بشدة قصوى حتى غرزت الحبال في جسمها . وهكذا فعلوا بصدرها وصدغيها ، وعملوا شبه اكليل من الطين ووضعوه على رأسها مستهزئين قائلين : اقبلي اكليلك يا شماسة ابن النجارين . ثم عملوا الطين شبه قصعة ، وغلوا زيتاً في مقلاة ، وسكبوه على رأسها وهو يغلي . ولما احترق رأسها كله قال لها اليهود : قد يمكن ان يكون باردا عليك ، أتريدين ان نغليه ثانية ؟ اما المغبوطة فاذ تعذر عليها الكلام من شدة الضيق ، أومأت اليهم وقالت بصوت خافت اريد المزيد . ثم اخذوها الى خارج المدينة وفيها رمق من الحياة ، وعروها من ثيابها وربطوا حبالاً برجليها ، وجاؤوا بجمل من الابل الصعاب ، واخذوها الى البرية حيث ربطوا الحبال بالجمل ، وعلقوا به اجراساً خشبية ليدق بعضها بعضاً فيثور الجمل . ثم تركوا الجمل في البرية ، فخطفها بجدة . وعلى هذا النمط تكللت الطوباوية اليشبع .

وقد روى لنا الذين وفدوا من نجران ، ان ثلاثة شبان من عشيرة الطوباوية جازفوا بانفسهم وتدلوا من السور بالحبال في الليلة نفسها ، وترسموا خطى سحب الطوباوية ، وساروا الليلة كلها . ونحو الساعة التاسعة من النهار (التوقيت القديم) وجدوا الطوباوية عند جذع شجرة قديمة ، اتفق ان علقت به الحبال المربوطة برجلي الطوباوية فتوقف الجمل من حدته ، بل التفت الحبال حول عنقه ، فوجد مخنوقاً . وهناك اختبأ اثنان منهم . اما الثالث فعاد الى المدينة واستطاع ان يدخلها من المبزل الذي يخرج منه ماء المدينة في الشتاء ، وكشف هذا السر لاهل عشيرته الذين كانوا متخفين في المدينة نفسها . ثم أخذ وشخص آخر كتاناً نقياً وبخوراً وكل ما يلزم للتحنيط ، وخبزاً وخمراً وماءً ومعولاً ، وتدليا بالحبال من السور ومضيا الى رفيقيها ، حيث لفوا المغبوطة بالكتان والبخور ، واحتفروا حفرة علّموا لها

عُلامة يستدل بها عليها ، دفنوا فيها المغبوطة ، بحيث لا يعرف موضعها الا الذين دفنوها . ثم عادوا الى المدينة بفرح عظيم . وقليلون شعروا بهذا السر .

سيدة اخرى اسمها تهنة ، لما سمعت باحتراق الكنيسة ، امسكت بيمينها ابنة لها اسمها أُمة ، وكانت نذيرة ، وشخصتا اليها لتحترقا . فلما شاهدتها أمتها واسمها حذية ، سألتها قائلة : الى اين انت ذاهبة يا سيدتي ؟ فها ان الكنيسة والنذراء يحترقون جميعاً بالنار . فأجابتها سيدتها قائلة : وانا وابنتي هذه النذيرة ايضاً ذاهبتان لنحترق . فقالت لها أمتها أُقسم عليك ياسيدتي بالمسيح لتصطحبيني كي اتمتع انا ايضاً برائحة الكهنة . فأمسكتها هي الاخرى بيدها . وهكذا دخلت ثلاثتهن الكنيسة واحترقن مع الكهنة . اما ابنة هذه المغبوطة الشابة ، واسمها حذية ، فلم تدخل الكنيسة صحبة أمها واختها ، لكنها لبثت في البيت . فلحقها اليهود ، واضرموا ناراً في البيت ، وطرحوها في النار . ولما احترقت قليلًا ، اخرجوها من النار . ثم اضرموا النار ثانية ، وطرحوها فيها ، ثم اخرجوها . ثم اضرموا النار ثالثة وطرحوها فيها . وعلى هذا النمط تكللت المغبوطة .

وقد تم احتراق الكنيسة وعظام الشهداء القديسين والاسقف مار بولس والكهنة وجميع الشعب كما ورد اعلاه ، في ١٥ تشرين الثاني ، وفي نفس اليوم الذي تكللت فيه السيدة الشماسة اليشبع ورفيقاتها اللواتي ذكرن اعلاه .

وفي اليوم نفسه بعد احتراق الكنيسة وكل من فيها ، جاء الملك بجميع الاعيان والاشراف ؛ الذين وقفوا امامه مكبلين . فسألهم لماذا قصدتم ان تتمردوا علي ولم تسلموا الي المدينة ، لكنكم اتكلتم على ذلك الساحر المضل ابن الفجور ؛ وعلى هذا الشيخ الاخرق الحارث بن كعب الذي صيّر لكم رئيساً ؟ وهنا اضاف الذين وفدوا من نجران ؛ الامور التالية التي لم تكتب في رسالتنا الاولى اليكم في خبر الحارث بن كعب . فقد نقلوا ان المنافق (اليهودي) عرّى الشريف الحارث بن كعب ؛ وقال له : تطلع ها انك واقف عريانا امام هؤلاء الذين كانوا يعتبرونك رئيسهم لكي تخجل امامهم في شيخوختك . فأجاب الحارث قائلًا : بالحقيقة لو تراءى لك اللباس الذي انا مرتديه الآن ؛ لما قلت هذا الكلام . فاذ لا يتراءى لك ذلك ؛

فقد خلتني واقفاً عرياناً . اقول لك الحق ، انه الآن قد عظمت نفسي في عيني ؛ ولا اخجل بعري جسمي . ذلك ان المسيح يعرف انني خير منك باطناً وظاهراً ؛ وأطول واوفر صحة منك . كما ان جسمي اقوى من جسمك ، وذراعي من ذراعك ؛ ولا يحمل ظهري اثراً للسهم او للرمح او للسيف ؛ بل انما ذلك في صدري لانني لم أُعط قط في الحرب ظهراً كهارب . وقد انتصرت بقوة المسيح في حروب كثيرة ؛ بل انا قتلت في الحرب أخا الجالس الآن عن يمينك وهو ابن عمك . فقال له الملك : لقد اتكلت اذن على هذا وتمردت علي ؟ فانني أشير عليك ضناً بشيخوختك ان تكفر بالمسيح المضل وبصليبه ؛ فتحيا ؛ والا مت شر ميتة انت ورفاقك وكل من لا يكفر بالمسيح وبالصليب . فقال له : تذكر أيمانك بالله ابراهيم واسحق واسرائيل ؛ وبتوراتك واللوحين وتابوت العهد . فقال له الملك : دع هذه جانباً واكفر بالمسيح والصليب » .

ثم ذكر الكاتب ؛ الطفل الذي كان في الثالثة من عمره والذي ذكره في رسالته الاولى ؛ واستدرك مقتل أمه قائلاً : « وعندما قالت هذا ؛ قبض عليها يهودي بيده وادارها وراءها ؛ والقى بها بين النساء اللواتي كن ثمة واقفات للاستجواب ثم ضربها بكعب الرمح على صدرها بين ثدييها ؛ فسقطت على الارض جثة هامدة . وقد كتبنا هذه الامور استناداً الى الرسائل النجرانية التي كان يحملها جندلة خال الطفل .

ثم دون الكاتب شهادة النساء الشريفات اللائي ذكرهن في رسالته الاولى ؛ مستدركا تاريخ الشهادة قائلا : « هكذا تكللن جميعاً بالسيف يوم الاربعاء كما ورد اعلاه ؛ في تشرين الثاني سنة ٨٣٥ للاسكندر (٥٢٣م) » . كما استدرك وصحح نسب الشريفة رومي[١] قائلا : وكانت احداهن روهوم بنت ازمع من عشيرة تدعى جو ؛ وهي نسيبة الشريف الحارث بن كعب .

واردف قائلا : ثم امر (الملك) فأتوا بالإماء وقال لهن ايضاً : لقد رأيتن ان اسيادكن وسيداتكن وانسباءكن قد ماتوا شر ميتة لانهم ابوا الكفر بالمسيح

١) ورد اسمها في هذه الوثيقة « روهوم » وفي الوثيقة الثالثة « روهم » ورومي .

والصليب فاشفقن انتن الآن على انفسكن واسمعن لي واكفرن بالمسيح وبالصليب ، فتصبحن شريفات (حرات) ، وازوجكن من رجال اشراف . فأجبنه قائلات : حاشا لنا ان نكفر بالمسيح وبالصليب ، وحاشا لنا ان نبقى في الحياة بعد اسيادنا ورفاقنا . اننا لنموتن معهم ومثلهم من اجل المسيح . وحاشا لنا ان نسلم لك او نذعن لكلامك . فلما رأى الملك انهن أبين ان يكفرن ، امر ان يذهبوا بهن الى الوادي وهناك يقتلن . ففعلوا هكذا بهن ، فتكللن جميعاً بالسيف .

وفي نفس اليوم الذي قتلت فيه الاماء ، كانت هنالك أمة للشريف الحارث بن كعب تسمى مانحة ، وكانت شريرة في حياتها ، ووقحة وسبابة ، حتى أنها من جراء شرها كانت منبوذة من الجميع . وكانت جريئة في كل اعمالها ، بحيث خافها اسيادها انفسهم بسبب شرها . كانت هذه مختبئة في احد البيوت . فلما بلغها مقتل اسيادها وعشيرتها ورفاقها ، هرولت الى الشارع ، واتزرت كالرجال ، واخذت تركض في شوارع المدينة منادية قائلة : ايها الرجال والنساء والمسيحيون ، انه لوقت ان توفوا فيه المسيح ما انتم مدينون به له . فاخرجوا وموتوا من اجل المسيح كما مات هو من اجلكم . فمن لا يخرج اليوم الى المسيح ، فليس هو له . ومن لا يستجيب اليوم المسيح ، فلن يستجاب له غدا . انه لأوان الحرب ، فاخرجوا وأنجدوا المسيح ربكم ، فغداً يُغلق الباب ولن تدخلوا اليه . انني اعلم انكم تبغضونني. لا والمسيح ، لن اكون لكم عدوة منذ اليوم . لا والمسيح ، لن اشتمكن بعد . تطلعوا الي وانظروا ، فانه ليس حولي شر ولا خلفي . اخرجوا لئلا امضي وحدي فيهرب مني اليهود كعادتهم ولا يقتلونني . وهذا كان صراخها حتى مثلت امام الملك . فلما رآها اليهود الذين كانوا يعرفونها ، قالوا لمليكهم : هوذا شيطان المسيحيين ، فليس هناك شيطان الا ويسكن في هذه . اما هي فقالت للملك : لك اقول ايها اليهودي الذابح المسيحيين ، قم واذبحني انا ايضاً لاني مسيحية . انني أمة الحارث بن كعب الذي قتلته قبل يوم . لا تظن انك قد غلبت سيدي ، بل سيدي هو الذي غلبك . اجل . انك غُلبت لانك كذبت بالهك . اما سيدي فقد غلب اذ لم يكذب ويكفر بالمسيح . انني اقول لك ، انك لو جئت بجيش على سيدي ، وأمرني ، لخرجت لمبارزتك بالرمح والسيف ، ولركلتك برجلي . نعم ، لو شاء سيدي لمعسك

كالذباب . فأمر الملك فعروها من ثيابها . فقالت للملك : انك فعلت هذا لخزيك ولخزي جميع اليهود رفاقك . أما انا فلا استحي بهذا ، اذ كنت قد أتيت هذا مرات عديدة من تلقاء نفسي ، وكنت قد تعريت امام الرجال والنساء معاً ، ولم أخجل ، لانني امرأة كما خلقني الله . اما انت فان جحشون التاجر من حيرة النعمان كما يعلم جميع الحميريين بالخزي الذي اتاه نحوك ، اذ نجاك من موت الاحباش ابان الحرب .

وجحشون هذا ، اتفق ان وُجد في بلاد الحميريين حين خرج الاحباش ودوخوا البلاد[1] ، وادركوا هذا اليهودي ، فانبرى جحشون يحلف بدلاً منه بالانجيل المقدس بانه مسيحي . وبهذه الوسيلة نجا ذلك اليهودي من الموت . اما الآن فبعد ان تملك وفتك بالمسيحيين ، ارسل الى حيرة النعمان الى جحشون ، من أسلاب المسيحيين مع رسالة شكر . ولاجل هذا فقد كان جميع المسيحيين يكرهون جحشون المشار اليه . وبسببه عيرت هذه الطوباوية الملك كما ورد اعلاه .

وأمر الملك فجاؤوا بثور وحمار ، ثم ربطوا برجليها حبالاً ، وربطوا الرجل الواحدة بالثور والاخرى بالحمار ، ثم تناول بنو اليهود عصياً ، اخذوا يضربون بها الثور والحمار معاً . وعلى هذا النمط طافوا بها ثلاثا شوارع المدينة حتى اسلمت روحها بالشهادة من اجل المسيح . وفي نهاية المطاف جاؤوا بها الى مقابل باب المدينة الشمالي ، تجاه قصر سيدها الحارث ، حيث كانت شجرة ضخمة تدعى « اثالة » وعلقوها بها منكسة الرأس حتى المساء ، كان اليهود يرشقونها بالحجارة والسهام . وفي المساء انزلوها عن الشجرة وسحلوها ثم طرحوها في الوادي .

وبعد ثلاثة ايام من مقتل الشريفات والاماء ، أي يوم الاحد ؛ ارسل الملك الى روهوم بنت ازمع يقول لها انها اذا كفرت بالمسيح عاشت والا ماتت .

وهنا استدرك الكاتب وصحح ما قاله في رسالته الاولى عن ابنتها الصغيرة قائلا : « هنا ايضاً زاد الاشراف الذين وفدوا الآن من نجران قائلين : ان هذه الفتاة التي اهانت الملك لم تكن ابنة الطوباوية روهوم بل ابنة ابنتها ، وقد سموها

---

١) يشير الى الحملة الاولى التي قام بها الاحباش نحو سنة ٥١٩ .

باسم جدتها روهوم . اما امها فقتلت مع السيدات اللواتي قتلن قبل يوم » . كما انه ذكر اسم ابنتها الاخرى التي ذبحت وسال دمها في فم امها كما جاء في رسالته الاولى ؛ وقال : « اسمها أُمة » . واستطرد يقول عن الشهيدة رومي : « هنا ايضاً زاد الذين وفدوا من نجران قائلين : انه بعد مقتل الطوباوية روهوم ، تقدم العظماء الى الملك وقالوا له : ان هذه المرأة قد أسدت أيادي بيضاء الى كل احد ، أي الى الملك والى العظماء والى الفقراء . وهكذا فعلت حينا مع معدوكرم الذي كان ملكا قبلكم على هذا البلد ، اذ احتاج واستقرض منها اثني عشر الف دينار . واخيراً لما رأته وقد احتاج ، تركتها له مع رباها . وقد اغنت كثيرين في كل شيء . لذلك نلتمس منك ان تتفضل وتمنحنا هذه النعمة فقط ، وهي ان تُدفن هذه المرأة اعترافاً بأياديها البيضاء على كل احد ، لانها كانت في كل شيء تصنع الخير ، سوى انها كانت مسيحية . فأمر بدفنها . فلفوها بكتان بال ودفنوها على ضفة الوادي الذي قتلت فيه رفيقاتها .

واردف الذين وفدوا من نجران ، ان الشريف الحارث بن كعب ايضاً ، دفن بناء على التماس العظماء ، عند سور المدينة ازاء قصره .

وقد تكللت الطوباوية روهوم بنت ازمع ، وابنتها التي تدعى أُمة ، وابنة ابنتها واسمها روهوم ، يوم الاحد الواقع في ٢٠ تشرين الثاني .

وفي اليوم نفسه حفروا حفرة في الارض ، اقاموا فيها رجلًا اسمه عربي بن دويل من عشيرة جو ، وطمروه بالتراب حتى صدره ، ثم قام اليهود يرشقونه بالسهام حتى ملأوا صدره ووجهه ، من قدامه ومن خلفه . وبهذا تكلل عربي .

واستطرد ايضاً هؤلاء المؤمنون ، ان احد المؤمنين واسمه ملك بن معاوية من عشيرة يقبول ؛ والذي دعي ابراهيم لما نُذر ، حين رأى احتراق الكنيسة والكهنة ومعلمه ؛ هرول الى الكنيسة ، ووقف في فنائها ونادى قائلًا : اسمعوا ايها المسيحيون والوثنيون واليهود ، كفرا باليهود ؛ وكفرا بكل من لا يعترف بان المسيح هو الاله وابن الاله الحق ، وكفرا بكل من يكفر بالمسيح . ولما قال الفتى هذا ، ختم نفسه باسم الآب والابن والروح القدس ، ورسم اشارة الصليب على جبينه

وسارع الى الكنيسة وهو ينادي قائلاً : اقبلوني يا معلمي وسادتي لامضي معكم الى المسيح . ثم القى بنفسه في النار واحترق مع الكهنة .

وقالوا ايضاً : ان صبياً في الثامنة من عمره ، خرج من المدينة ، واخذ يتجول بين الاشلاء ، فقبض عليه اليهود وجاؤوا به الى ملكهم . فسأله ما الذي تطلبه بين الاشلاء ؟ فأجابه الصبي : انني اطلب أبي ، لاني اريد ان اموت معه . قال له الملك : بلغني انك عبد ، وان اباك هو من حضرموت وامك من مأرب ، ولست نجرانياً . فأجابه الصبي : يعلم المسيح انني ابن الاشراف وابن بني الاشراف وان ابي وامي هما من نجران ومن عشيرة جو ، وانني لن اخرج من هنا حتى تقتلوني كأبي وأمي ، لئلا يمضيا الى المسيح بدوني . ولما قال الصبي هذا ، امر الملك بجز رأسه.

وقالوا ايضاً .. [1] ان سيدتين نجرانيتين اسم الواحدة حبصة (بنت حيان) والاخرى حية بنت ملك ، ربطوا بأرجلها حبالاً وربطوهما بجملين . فجرهما الجملان من ايلين الى مكان يسمى ايصله ، يبعد تسعة اميال عن ايلين . وفي الطريق تكللت المغبوطتان بالشهادة من اجل المسيح ، اذ فسخت ارجلها من الكعب وظلت جثتاهما في الارض .

ان هذا النزر اليسير الذي كتبناه الى محبتكم هو مما نقله لنا الاشراف المؤمنون الذين وفدوا من نجران ، ومن الرسائل التي تليت امامنا وهي باللغة النجرانية والتي من كثرتها لم نتمكن من كتابة كلها لضعف بصرنا . اقول الحق لقداستكم ، انني حين اطيل الكتابة ، يتشوش بصري ، حتى يبدو لي كل شيء اثنين بدلاً من واحد هذا فضلاً عن ان الشيخوخة ترعش اليدين اذا ما اطالتا قليلاً في الكتابة . لذلك اهملنا كتابتها كلها . اما هذا الذي كتبناه فليكن داعياً الى تسبيح الثالوث المسجود له والممجد والمتساوي في الازلية ، والى تشجيع المؤمنين ابان الشدة . فاذا كان البرابرة قد صاروا قريبين الى المسيح ، وزهدوا في ذهبهم وفضتهم وكل مالهم ، واذا كانت النساء قد نزلن الى حومة النضال بشجاعة منقطعة النظير من اجل المسيح ، فبالاحرى يتوجب علينا نحن ان نترك اكواخاً صغيرة ودوراً فخمة ، ونكون مع المسيح

(١) لقد امحت هنا بعض الالفاظ بتأثير الرطوبة ، فأخذنا اسم والد الشهيدة حبصة من الوثيقة الثالثة .

في المخادع السنية التي اعدها عند ابيه . فلا يقولن الشيخ انني قد شخت وضعفت ولا استطيع ان ابرح مكانا الى آخر . بل ليفكر في انه خير له ان يكون مع المسيح من ان يبتعد عن المسيح ويبقى وحده يتمتع بطعمة وهمية .

ونلتمس من محبتكم ان تُنقل هذه الامور الى بلاد المؤمنين (الارثوذكسيين) والى الاديار المقدسة التي ذكرنا اسماءها في رسالتنا الاولى ، وبنوع خاص الى الاسقف القديس مار بطرس متروبوليت افامية ومار توما اسقف جرمانيقي (مرعش) ، اللذين سهونا عن كتابة اسميها في رسالتنا الاولى . اما الآن فنلتمس بمحبة ربنا ان تنقل لطهرهما هذه والاولى ايضاً ، فيرضيا ان يغفرا لنا هذه الزلة بواسطة فضيلتكم .

نرسل ايضاً طيها الى قداستكم ، صورة الرسائل الخاصة بالايمان ، والتي كتبها الاحباش الى ارثوذكسيي الفرس ، مع صورة المعروض والايمان التي قدمناها نحن الضعفاء الى الاسقف اوبروبيوس اسقف الاحباش والى كالب ملكهم المؤمن ، والتي سبقنا فأرسلنا صورة عنها الى طهركم .

ونلتمس ان يقدم طهركم الصلاة في كل آن ، من اجل جميع الذين يسألون صلاتكم ، كما اننا نلتمس ان نكون نحن ايضاً بين اولئك الذين تقدم صلاتكم من اجلهم فنستحق بمؤازرة طلبتكم التي تقدم من اجلنا ، ان نتمتع كعادتنا بجوابكم المفيد.

وقد كتبنا هـذه الرسالة الى ابوتكم من حيرة جبلة ملك الغساسنة ، في المكان المسمى « جبيثا » ، في شهر تموز سنة ٨٣٥[١] للاسكندر (٥٢٤م) .

« اسماء رؤساء القسوس الذين احترقوا في بيعة نجران »

القس مرجيس الرومي ، القس كبرئيل النجراني ، القس ايليا من حيرة النعمان الذي كان تلميذاً للطوباوي مار نعمان بن ميخائيل الذي رقد في دير مار بس حوريم المقدس ، والقس ابراهيم الفارسي .

---

٢) لقد نقل الناسخ خطأ سنة ٨٣٠ بدلا من ٨٣٥ كما وردت اعلاه ، فاقتضى تصحيحها هنا .

« اسماء رؤساء الشمامسة »

الارخدياقون حنانيا الرومي ، الشماس يونان الحبشي ، الشماس شليمون النجراني ، الشماس موسى بن مازن النجراني ، والشماس موسى الذي قتل بالسيف .

« اسماء رؤساء الافوذياقونين »

ابراهيم بن معاوية ؛ معاوية بن احوية ؛ وقيوس بن سلمان ؛ مع باقي الكهنة والنذراء والنذيرات والعلمانيين والعلمانيات الذين بلغ عددهم على ما قال الذين وفدوا من نجران ، الفين كما كتب اعلاه . فبصلواتهم وصلوات جميع القديسين رفاقهم ، والقديسة والدة الاله ، ليلق ربنا امنه وسلامه في شعبه وبيعته وفي اقطار العالم الاربعة ، جميع الايام التي ثابت فيها العالم . ومن فم جميعنا يقدم الحمد له ولابيه ولروحه القدوس الآن وكل اوان والى الابد آمين .

الفصل الخامس

الوثيقة الثالثة

في ما يلي خلاصة مضمون بقايا هذه الوثيقة التاريخية الهامة :

المقدمة مبتورة ، وقد ورد فيها : لكي ببحر نعمته يؤمن كنيسته التي في كل مكان ، ويقرب بعيديها ، ويجمع مشتتيها ، ويرد رعاتها ، ويجمع قطعانها الروحيين داخلها ، ويرأف بكل من صار او يصير مؤمناً .

تعقب المقدمة عناوين الفصول التي انطوى عليها الكتاب (الوثيقة الثالثة) وهي تسعة واربعون . امــا الفصول الستة الاولى فمبتورة كلها حتى اول الفصل السابع وعنوانه : « بيان في نزوح الحبشة الاول عن بلاد الحميريين » . وكان يشتمل ايضاً على خبر شخوص مسروق (الملك اليهودي المضطهد) الى ظفار ومحاربته

الاحباش الذين فيها . ولم يبق منه سوى النبذة التالية ؛ التي تخللتها هي الاخرى نقصان كثير وهي : « ولما رأى[1] انه لن يقوى عليهم بالحرب ؛ اوفد اليهم كهنة يهوداً من طبرية وشخصاً من[2] ... مدينة ... وشخصاً آخر كان اسمه ... موهبة كان من حيرة النعمان ؛ وكانا مسيحيين اسماً . وحملهم كتاباً يشتمل على اغلظ الأيمان بأدوناي وتابوت العهد والتوراة قائلا : لن ينالكم اذى اذا انتم خرجتم الي تلقائياً وسلمتم مدينة ظفار ؛ بل سأرسلكم الى بلادكم وملككم سالمين » .

ويأتي الفصل الثامن وعنوانه « في الشدة الاولى التي اثارها مسروق الصالب وفي حرق بيعة ظفار واحراق جميع الذين فيها » . وقد تخلله نقصان كثير . وهو كما يلي : « فلما تسلم الاحباش منه هذا الكتاب بواسطة الذين اوفدوا ، وكانت اقوال رسله ايضاً تؤكد أيمانه ، وثقوا بأيمانه ببساطة قلبهم ، وخرجوا اليه ابا بوت ... مع ثلاثمئة رجل ... فقبلهم مسروق ... واظهر لهم ... قائلاً بان يقتل كل من ... الاحباش ... وفي الصباح توجد ... في مكان واحد . فعمل اولئك ... الاثم ... وفي الصباح وجدت اشلاء عبيد الله مكومة بعضها فوق بعض ... رجالاً الى مدينة ظفار ... الكنيسة التي كان فيها الاحباش ، ومئتي ... الذين بقوا من الاحباش ... داخل الكنيسة ... رسلا صحبة كهنة ... بأيديهم الى البلاد ... يأمر فيها ... المسيحيين الا اذا ... وامر بان يحرق بيته كل من يخفي مسيحياً وكل ماله ... وحالا ُسل ... جميع الحميريين ... امات بالسيف ، واحرق تلك الكنيسة . حينئذ انقلب الى شبه وحش وفكر في كيفية اهلاك المسيحيين الموجودين في بلاد حمير كلها . فكتب اولا ... وارسل الى احد اشراف مدينة نجران اسمه الحارث قائلاً : حالما تتسلم رسائلنا هذه ، اسعَ عاجلا واجمع كل رجال الحرب من المسيحيين الذين في مدينة نجران بدون استثناء ، وأرسلهم الي لاننا سنخرج للحرب ... فلما تسلم هذا من مسروق ، سعى باجتهاد وجمع كل رجال الحرب من المسيحيين الذين كانوا في مدينة نجران ... فكان اولئك المؤمنون يسيرون في الطريق بوداعة قلبهم ، اذ لم يكونوا ـ لبعد مدينتهم ـ قد سمعوا بعد

---

١) يعني مسروق الطاغية الذي شخص الى ظفار وحارب الاحباش الذين فيها . والخبر مبتور من اوله .

٢) كلما وردت هذه العلامة دلت على نقصان كثير او يسير في النسخة .

بما أتاه ملك الاثم ذاك . كما ان رسائله النفاقية لم تكن قد وصلت بعد الى مدينتهم بل لم يحسوا بالمؤامرة التي كان يحيكها مسروق المنافق ضدهم . ولما دنوا من المكان الذي كان فيه مسروق السفاح ، وعلموا بالتأكيد بما بيته لهم عدو العدالة من الشر أي انه انما ارسل في طلبهم بغية الايقاع بهم ، ونما اليهم ايضاً خبر ما فعله بالاحباش الذين كانوا في مدينة ظفار وفي كنيستها ، اذ قتلهم وافناهم ، عادوا حالاً ادراجهم الى مدينة نجران ...

وتلي هذا ، النبذة الباقية من الفصل الحادي عشر المعنون في جدول الفصول ب « شهادة المؤمن ... وهو باكورة شهداء نجران حين قدومه في الطريق » . وقد سبقها الناشر على الفصلين التاليين . ومنها يتبين ان اليهود المضطهدين قطعوا يمناه فيسراه فساقيه ، وهو يجاهر بنصرانيته ويقول : انه مسيحي في حياته وفي مماته .

وتعقبها النبذة الباقية من الفصلين التاسع والعاشر في « قدوم مسروق الصالب الى مدينة نجران ومحاربتها » وفي « فتح مدينة نجران » وهي كما يلي : « لما رأى اعداء الله الذين كانوا مطوقين المدينة ، ان كثيرين منهم يموتون كل يوم في مناوشتهم اياهم القتال ، وانهم لن يستطيعوا فتحها بالقوة ، كتبوا الى ملكهم المنافق قائلين : اننا لن نقوى على نجران ما لم تأت انت بنفسك اذ كلما حاربناها كلما منينا بالخذلان . انهم يخافونك ولن يعصوك . فلما تناول مسروق النجس هذه الرسالة ، اضطرب في نفسه ، وأمر بغضب شديد ان يتوجه اليه كل قواد جيشه بدون استثناء ... وحاربهم هو ايضاً ولكنه باء بالفشل الذريع ، اكثر من قواده . ثم فكر في فتح المدينة المؤمنة بوسائل المخاتلة كعادته ، فكتب الى النجرانيين رسالة انفذها بواسطة ... حالفاً بالاله العظيم الرحمن ، وبناموس موسى قائلاً : انكم اذا خرجتم الي من المدينة ... لن احاسبكم على عصيانكم ، ولن اقتص منكم اذا دانكم الحكام الذين سيقضون بيننا باستقامة . واذا كنتم لا تسمعون لي ولا تخرجون الي لتقديم الولاء بوصفي ملككم ، لن انزح عن هذه المدينة حتى ادك سورها دكا واذريه مع كل ريح وادفن سكانها فيها ، محيلا اياها تلا فوقهم . فلما تسلم النجرانيون المؤمنون هذه الرسالة ، اخذوا يتداولون معاً قائلين : ما العمل ؟ انه لضيق عظيم وشديد من

جميع الجهات . فاذا اذعنا لهذا النجس وخرجنا اليه ، ربما اهلكنا . واذا احجمنا فنيت المدينة لقلة الزاد ، مع العلم ان هذا المنافق لن يقوى عليها حتى ... فالأولى ان نبين لذلك النجس اننا وثقنا بأيمانه وخرجنا . فان ثبت على ما حلف به قائلا : انه سيقاضينا ، فاذا شجبنا ، اعطيناه ذهبنا ، فالأفضل ان نخسر مالنا من ان تفنى المدينة . فلما اتفق النجرانيون على هذا الرأي ، خرج منهم الى مسروق سافك الدم الزكي ، نحو مئة وخمسين رجلاً معروفاً . فقبلهم ببساطة ، دون ان يكشف لهم النقاب عن وجهه الغاش في اليوم الاول ، بل خاطبهم بما سبق فكتب به اليهم قائلا : لماذا عصيتموني ؟ فقد كان عليكم ان تعلموا انني ملككم ، وانه ليس في وسعكم ان تعملوا ما تنوون عمله . ومع هذا فلأنني حلفت لكم ، فلن احنث في أيماني ...

« واخذ يخاطبهم بتجبر عظيم كمن يأمر امراً ... انكم عصيتموني . ولما أمرت ان تأتوا الي لماذا عدتم ادراجكم من الطريق وازدريتموني ؟ ترى على من اتكلتم فتواقحتم واغلقتم مدينتكم في وجه أمري وفي وجه قوادي الذين سيّرتهم اليكم ؟ ألا تعلمون انكم عبيدي وليس في وسع احد ان يخلصكم من يدي ؟ والآن ولئن كنتم تستحقون الموت فلا اقتلكم ، اللهم الا اذا اتضح لي كذبكم . فليرسلن كل منكم ويأتي حالاً بكل فضته وذهبه ، ولتبق لكم بقية قنيتكم كلها . وحذار ان تكذبوا علي ، وتنقصوا من فضتكم وذهبكم ، فانكم بذلك موتاً تموتون . فقال له الاشراف : ليتها كانت فضتنا وذهبنا ولا هذه الاهانة . فلو طلبت ذلك منا منذ اليوم الاول لاعطيناه لك . واذ كانوا يفكرون في تنفيذ امره ... أمر فقدموا اليه (صليباً) فألقاه الى الارض قدامه . وقال مسروق الشيطان المجسم للطوباويين : كفي انكم حاولتم ان تعصوني ولم تفلحوا ، ففكروا ولو الآن في شرفكم واسمعوا لاقوالي واكفروا بيسوع بن مريم ، لانه انسان ومائت كسائر الناس ، وابصقوا في هذا الصليب وتهودوا فتحيون . فاذا كنتم لا تسمعون لاقوالي ، يشهد الله ادوناي بأنني سأعذبكم بالنار ، وبها ستفني حياتكم . لانكم تسجدون لشخص مائت ، ادعى انه ابن الله الرحمن في حين انه انسان بحت . وها ان تعليمه المضل قد افتضح الآن . فأدركت كل البلاد انه انسان بحت لا اله ، ولا سيا بلد الروم الذين كانوا اول من أُغوي به ، فهم الآن اكثر من جميع الناس ...

يعقب هذا نقصان كثير ، تليه النبذتان الباقيتان من الفصلين الثاني عشر والثالث عشر ، المعنونين ب « تقدم النذراء الاعفة (الاكليروس) الى مسروق » و « حرق الكنيسة ونذراء مدينة نجران وسائر الذين احترقوا هناك » وهما : اما عدو الحق مسروق ، فاذ نما اليه سراً ، ان بين الطوباويين خلقاً من بلاد اخرى ، جلس يتبين كلا منهم ، ويسأله عن اسمه وهويته ومسقط رأسه وجنسه . فعلم ان القسيسين موسى وايليا هما من حيرة النعمان ، والقس مرجيس والشماس حنانيا هما من بلاد الروم ؛ والقس ابراهيم هو فارسي ؛ والشماس يونان هو حبشي . فقال لعبيد الله : اما كفاكم الضلال ؟... وبه حلفت لنا قائلا : اذا كنتم لا تكفرون بالمسيح ولا تقولون انه ليس الهاً لكنه انسان ، بالنار (ستفنى حياتكم)... ولن اكفر بل اعترف بانه الاله وابن الاله حقاً . فان كنت تخاف عشيرتي لئلا تثأر لي اذا ما قضيت فلا تفكر في هـــذا وتفصلني عن اخوتي . والا فقد افتضح كذبك للجميع . فلما سمع هذا ، مسروق سافك الدم الزكي ، من القس موسى ، تميز غيظاً وأمر فقدموه اليه . فقال له : لقد ظننت ايها الضال ، ان موتك محسوب عندي كشيء . ولانني نويت ان ارحمك فتحيا ؛ ظننت اني احسب حساباً لعشيرتك ؛ ولذا لم أقض عليك مع رفاقك ؛ فاستعليت وأهنتنا . فاعلم انني لن اكون كاذباً من اجلك ؛ فها ان حياتك ستطير من جسدك باللهيب المتأجج شروى رفاقك الوقحين ...

يلي هذا نقصان كثير ؛ ثم تأتي بقية الفصل الرابع عشر المعنون ب « شهادة ظريبة العفيفة حرقا بالنار » . ورد فيها ان عظام شهداء الله المقدسة ، اخرجها النجسون من مختلف الاماكن واحضروها امام القاتل مسروق ، فاحترق فوقها وتكلل جمع النذراء (رجال الاكليروس) مع النســاء اللاتي تبعنهم من تلقاء انفسهن . فلما انبئت ظريبة بهذا وكانت مستخفية ؛ لم تعد تصبر ؛ بل خرجت من مخبئها ومضت الى الكنيسة باكية مصلية الى الله لئلا يفصلها عن عبيده الذين استشهدوا من اجل اسمه القدوس . وفي الكنيسة ارتمت على وجهها خارج النار وقالت : اسجد لكم يا اسيادي وآبائي ويا اصفياء الله ؛ والتمس منكم ان تضرعوا من اجلي لألحق بكم بالشهادة من اجل ربنا . فأنهى اليهود أمرها الى مسروق المنافق الصالب ؛ الذي امر بأخذها اليه ... فقال لها : ان المسيح انسان لا اله ؛ وسألها ان تكفر به

وتبصق في صليبه . فأجابت : حاشا لها ان تفعل ذلك . ثم قالت : اكفر بك ايها اليهودي الصالب . وبعد حوار بينهما ، امر مسروق بحرقها في الكنيسة مع الآخرين فوق عظام الذين احترقوا هناك . فجثت وسجدت ثم انتصبت ورسمت على وجهها علامة الصليب وقالت : « ربنا لا تهمل عبيدك الذين يعترفون بك ، بل اخفض جناح صالبيك ، وأمن بيعتك وثبت هذه المدينة في الايمان الحق » ، ثم القوها في لهيب النار المتأججة .

ويعقب هذا نقصان كثير يتناول الفصل الخامس عشر برمته ، وكان يشتمل على شهادة الشريفة تهنة وابنتها أُمة وامتها حذية . ثم تأتي بقية الفصل السادس عشر وعنوانه « شهادة الشريفة حذية ابنة الشهيدة تهنة التي استشهدت بالنار في دارها » . وقد ورد فيها قول الشهيدة : « كفرا بملككم وبكل الذين يذعنون لكم ايها اليهود الصالبون ربهم » . فلما سمع المنافقون هذا ، تميزوا غيظاً وجاؤوا ايضاً بالحطب واججوا النار ثانية والقوا فيها حذية » .

والاظهر ان المؤلف سجل في هذا الفصل عدد الذين استشهدوا اذ يقول : « فما عدا هذه الطوباوية حذية التي تكللت بالنار في دارها ، والاحباش الذين احترقوا في بيعة مدينة ظفار ، فان جميع الذين كتبنا عنهم اعلاه ، قد احترقوا بعدئذ بحرق بيعة مدينة نجران المقدسة ، وقد احترقوا خلال يومين اي في الثلاثاء والاربعاء ، في التاريخ الذي سبق ان ذكرناه ، وذلك فوق عظام شهداء الله المقدسة ، التي جمعوها وجاؤوا بها الى الكنيسة » .

ويعقب هذا نقصان كثير ، يليه خبر شهادة خمسة قسوس ، لم يبق منه سوى بضع كلمات من اوائل السطور ، ورد فيها اسماء كبرئيل وايليا واشعيا واسحق ، والارجح ان الناشر اقحم خبرهم في هذا الفصل ، في حين انه يخص الفصل الثاني عشر او الثالث عشر .

ويلي هذا نقصان كثير ، يعقبه خبر اعجوبة ظهرت في مكان استشهاد الطوباويين ، وقد بتر اوله والباقي منه هو كالتالي «... لم يروا شيئاً . وحين كانوا

يتطلعون من بعيد ، كانوا يرون ذلك النور كالسابق . وايضاً نقلوا لنا باقسامهم ، ان اولئك القديسين كانوا يصلون في اوقات الصلوات كلها ليلاً ونهاراً ، كما اعتادوا ان يفعلوا وهم في الحياة الجسدية . فقد كانوا يسمعون كالسابق صوت الناقوس الذي كان يسمع كذلك في جميع ارجاء المدينة . وفي اعقاب صوت الناقوس ، كانوا يسمعون صوت العبادة عالياً جداً . وصوتاً آخر قائلاً : لنجثُ ونصلّ . وفي اثره صوتاً آخر قائلاً : لنقف بقوة الله ... وقد نقلوا لنا ايضاً ، انه انبعثت في المكان الذي تكلل فيه اولئك الشهداء المظفرون في الكنيسة ، رائحة اذكى من جميع العطور . وقد اخذ المؤمنون من تلك البركة ، أي بركة الماء والزيت اللذين نبعا في نفس المكان الذي تكلل فيه شهداء الله القديسون .

بعد ان حرق خدام الخطيئة ، الطوباوية حذية ، واخذوا ينزحون عن المدينة ، انبأهم بعض اليهود اصحابهم بنذيرتين مستخفيتين في المدينة . ولما مضوا الى مسروق المنافق ، قصوا عليه كل ما فعلوه وعاينوه . واخبروه كيف ان ظربية رضيت ان تحترق بفرح عظيم ، وكيف ان الفتى النذير ابراهيم ارتمى في اللهيب من تلقاء نفسه وهو يصيح بجرأة نادرة قائلاً : انني مسيحي وسأموت من اجل المسيح ، وكيف ان الطوباويات الثلاث : تهنة وأُمة وحذية ايضاً ، كن يرددن صارخات قائلات : انهن مسيحيات ...

ثم تأتي الفصول السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ؛ في شهادة الشماسة اليشبع والنذيرة عمي ، واشراف نجران ، والحارث وعربي ، ولم يبق من الاول سوى نزر يسير ، ومن الاخيرين سوى بعض عبارات عن شهادة احدهم ، منها صلاته التالية : « ربنا أمن بيعتك التي في كل مكان ، واختم اولادها بصليبك القاهر ، واخفض شأن اليهودية التي صلبتك ؛ وعاقب مسروق الصالب عن كل ما فعله بهياكلك وبعبيدك الخ »... ثم رسم علامة الصليب على وجهه . وفيما هو جاث وساجد الى الشرق قال السلام معكم يا اخوتي الاحباء ؛ مبارك الرب مكللكم ... فضربه السياف وحز رأسه ؛ فتكلل في هذا يوم الاحد ٢٥ تشرين الثاني » .

ان عبدالله المؤمن ابن افعو ؛ احد الذين ذكرناهم اعلاه ؛ وقلنا انهم نقلوا

لنا شهادة هؤلاء المظفرين ، كان قريباً من كل الامور ومن كل ما جرى في نجران ، وكل من استشهد منها لان افعو اباه كان من الزعماء المعروفين. واذ كان وثنياً آنذاك ، وبعد ذلك بعون الله الذي اهّله ، عمدناه نحن باحتفال مهيب في بيعة المؤمنين الارثوذكسيين التي في حيرة النعمان ، اذ كنا لا نزال هناك . هذا الشيخ الوقور والشريف المعروف افعو بالذات ، الذي كان سفيراً بين الملوك ايضاً ...

وهذا الفتى عبدالله اذ كان مؤمناً ، طلب في اليوم التالي (الاثنين) من بعض زعماء عشيرته ان يلتمسوا من مسروق ليأمر برفع اجساد الاشراف الذين قتلوا ، ودفنها . فاذ خافوا من مسروق لم يجرأوا ان يشافهوه بالامر . فتحمس الفتى عبدالله بغيرة ايمانه الوقادة ، وتقدم الى مسروق الصالب والتمس منه ان يأذن له في جمعها ودفنها . ومن حسن عناية ربنا ، ليس انه لم يؤذه او ينتهره وحسب ، بل قال له ايضاً : اكراماً لافعو ابيك ، امض وادفنها . فلما حظي عبدالله بهذا الامر ، خرج بفرح عظيم . ولما ابتعد عنه قليلا ، دعاه وكرر عليه الامر ... اما الفتى عبدالله فاستدعى اربعين شخصاً من اهل عشيرته واصحابه ، ومضوا ليلاً واحتفروا حفائر دفنوا فيها اجساد عبيد الله الشهداء المظفرين جميعاً . وعلّم عبدالله في موضع اضرحتهم عُلامة لتعرف بعدئذ . وقد كتب لنا عبدالله والذين معه ، حين نقلوا لنا عن الطوباويين ، بعض ما تذكروه من اسماء المظفرين .

هنا ذكر المؤلف تلك الاسماء ، منها : الحارث ، عمر ، تميم ، جبر ، ثعلبة ، غنم ، عبدالله ، ضب الذي كان قاضياً مضطهداً للمسيحيين ثم صار مسيحياً حقيقياً واستشهد ، ابو عفر ، نعمان بن روهوم بنت أزمع ، ابن حزيقة ، سعد ، عوف ، معاوية ، عربي ، ملك ، يزيد ، جرير ، قيس ، حبيب ، عامر ، خليل ، هاني ، وائل ، ربيعة .

يلي هذا ، الفصل العشرون في شهادة نساء نجران وهو : « بعد مقتل الاشراف ، وفي يوم الاثنين بالذات ، دعا مسروق الصالب احد قواده واسمه ذو يزن وكان ... مع اخوته ، قد سيرهم مسروق الى نجران قبل مجيئه اليها ، ليحاربوها ويفتحوها . وقال له : ان ادخل نجران واجمع نساء اولئك العصاة الذين قتلوا يوم

الجمعة ، واعرض عليهن الكفر بيسوع بن مريم الذي يسميه المسيحيون مسيحاً . فمن كفرت منهن تهودت وعاشت ، ومن أبت ماتت شر ميتة كأزواجهن . ففعلَ وجمع بواسطة اعوانه نحوا من مئة وسبع وسبعين امرأة من شريفات نجران المؤمنات . فجئن كثير منهن يحملن اطفالهن . وكان معهن روهم بنت ازمع ، السيدة العظيمة التي كانت اغنى من جميع نساء بلدها . فلما رآها ذو يزن ، كتب الى مسروق الغاشم قائلاً : لقد جمعت النساء اللواتي وجدن من شريفات نجران المسيحيات ، ومنهن روهم بنت ازمع ايضاً ، فأخبرني بما ترتأي في امرهن . فأجاب الصالب ان خل سبيل روهم بنت ازمع ريثما افكر في امرها ملياً . اما بقية النساء فاعرض عليهن ما عرض على ازواجهن ، ومن كفرت منهن بيسوع المسيح تهودت وعاشت ، ومن ابت عوقبت بمثل ما عوقب به ازواجهن . فميز اللواتي لا يكفرن عن اللواتي يكفرن واخبرني بأمرهن . وحالما تسلم الاثيم ذو يزن هذا الامر ، خلى سبيل روهم ... وامر بحبس بقية النساء في دارة احد العظماء الذين استشهدوا . ودخل اليهن ذو يزن وخاطبهن قائلاً : ماذا انتفع ازواجكن الذين ثبتوا في هذا العصيان ، ولم يسمعوا للملك ويذعنوا لامره ويحيوا ؟ فانهم اذ لم يذعنوا ماتوا كأشرار بحد السيف لا بالحرب . فلا تقتدين انتن بجهل اولئك لئلا تهلكن كما هلكوا هم . فتدبرن اذن حياتكن كحكيمات واخترن لكن الحياة وانبذن الموت الذي اختاره لهم ازواجكن بجنونهم ، واكفرن بيسوع بن مريم الذي تقولون عنه انه المسيح ، لانه انسان مائت مثل جميع الناس ، ولا ينفعكن شيئاً كما لم ينفع ازواجكن . وابصقن في صليبه وتهودن واحين وامضين الى بيوتكن بالسلام ، وهناك من يتزوجكن من الاشراف . فأجبنه بصوت واحد قائلات : حاشا لنا ان نكفر بربنا والهنا يسوع المسيح ، لانه الاله والخالق الكل ، وقد خلصنا من الموت الابدي . وحاشا لنا ان نبصق في صليبه او ان نزدريه ، لانه به خلصنا من كل ضلال . لكننا نكفر بملكك وبك وبكل الذين يذعنون لكم ايها اليهود الصالبون ربهم ، ونصلي كي نستحق ان نموت نحن ايضاً من اجل المسيح الاله ، كما مات ازواجنا . فلم يكتفِ الصالب ذو يزن بهذا الجواب الموحد ، لكنه كالباشق الضاري الذي اذا جاع ، جلس عند مدخل عش الحمام الوديعة لينقض على التي تخرج منه ، كذلك جلس هو خارج باب الدارة ، والقى بالصليب قدامه وامر ان تخرج الشريفات واحدة فواحدة ويتقدمن اليه .

وفيما كانت كل منهن ... كان هو بدون ملل يدعوهن الى الكفر . اما اولئك المؤمنات فليس انهن لم يكفرن وحسب ، بل بعون المسيح الاله الذي رافقهن ، ازدرينه ايضاً بجوابهن السديد من اجل الحق ، وباعترافهن بان المسيح هو الاله ، وبكفرهن به (ذي يزن) وبملكه وبجميع الذين يذعنون لهما . فكتب من ثم الى مسروق قائلاً : انهن في هذا العصيان اكثر من ازواجهن ، ويقلن ان المسيح هو الاله الخالق ابن الرحمن ، ويكفرن بك وبكل الذين يذعنون لك . فأجابه الصالب قائلاً : بما ان النساء ايضاً هن في هذا العصيان كأزواجهن ، فليخرجن الي ليمتن شر ميتة نظير ازواجهن . فأمر ذو يزن ان يخرجن جميعاً كما امر ملكه المنافق ، واحاطهن برجال لئلا تتخلف واحدة عن رفيقاتها . ولما وصلن الى المكان الذي اعتاد ان يجتمع فيه الاشراف للتداول في امورهم ، وصل بعض الفرسان الذين ارسلهم مسروق حاملين رسالة منه الى ذي يزن ، يأمره فيها ان يميتهن في مكانهن ميتات مرة شراً من ازواجهن ، فيرى باقي سكان نجران ويرتعبون . فأحاطهن بحلقة من رجال اليهود الصالبين لئلا تهرب واحدة منهن ، وامر فأغلقت في وجههن ابواب المدينة ايضاً ، اذ كان قريباً منها ذلك المكان . ثم اوعز الى اليهود الذين معه ان يرشقوهن اولاً بالسهام . فأخذوا يرشقونهن واطفالهن بدون شفقة ، كمن يرشق الارض . وكانت سهام كثيرة تتطاير من كل صوب وتنصب عليهن بدون انقطاع ، كما تمطر السحابة برداً على الكرم . اما هن فرفعن اذرعتهن الى السماء واستنجدن عون المسيح الاله على اتمام شهادتهن . واما اللواتي كن يحملن اطفالهن ، فوضعنهم على الارض وغطينهم بثيابهن ووقفن هن ايضاً يرفعن اذرعتهن الى السماء ، حتى سقطت كل منهن على الارض كالشجرة التي تقطع اصولها بالاطبار . واذ لم يرتو غليل ذي يزن بهذا ، وهو يراهن وقد انطرحن على الارض متضرجات بدمائهن ودماء اطفالهن ، ويسمع انينهن واطفالهن الذي كان يسمع من بعيد ، امر الذين معه ليدخلوا ويجزوا رؤوسهن واطفالهن بحد السيف لئلا تفلت من الموت أي منهن . فنفذوا امره كالحصادين الذين يحصدون السنابل . ثم امر بفتح ابواب المدينة ، فدخل الرجال الذين معه وجمعوا من وجدوه من الفتيان والرجال وجاؤوا بهم الى ذي يزن فأمرهم الصالب ان يسحلوا جميع الاشلاء الى ظاهر المدينة لئلا تنتن . فسحلوها وألقوها في الخندق الذي خارج سور المدينة . ثم امر فحفروا وطمروها جميعاً

بالتراب . وكان ذلك يوم الثلاثاء ٢٦ تشرين الثـاني . وقد ذكر الذين نقلوا لنا عن شهادتهن العجيبة ، بعضاً من اسمائهن الكثيرة .

هنا سرد المؤلف اسماء ست واربعين شهيدة ، منها : همامة ، روهم ، أمة ، حية ، سـلمى ، حمدة ، أم بسر ، حبيبة ، عوصة ، درة ، هنـد ، أسما ، أم عمر ، ماوية ، حسـنة ، محمدة ، ضبة ، أم جبلة ، فاطمة ، حبصة ، أم اقطم ، سـليمة ، حذية ، ظريبة ، دببة ، تهنة .

ويأتي الفصل الحادي والعشرون في شـهادة الشريفات حبصة وحية وحية . يقول المؤلف : ان حبصة هي من نسل حيان بن حيان الكبير الوارد ذكره في اول هذا الكتاب ، بان المسيحية نشرت بهمته في مدينة نجران وفي بلاد الحميريين كلها . لما نما الى هذه الفاضلة كل ما جرى للنساء الشريفات بواسطة اليهود الصالبين من اجل الايمان بالمسيح رجائنا ، حزنت جداً لانها حرمت صحبتهن ، وتضرعت الى ربنـا يسوع المسيح ليجعلها اهلاً للانخراط في سـلك اولئك الذين أحبوه وقتلوا من اجل اسمه المسجود له . وفي اليوم الذي عقب شـهادة الشريفات النجرانيات التي تمت يوم الاثنين ، قامت المؤمنـة حبصـة واخذت صليبها النحاسي الصغير وخاطته في قبعتها فوق مفرقها ، وهرعت الى الشـارع واخذت تصيح مرددة انهـا مسيحية . وتبعتها امرأتان شريفتان ، عجوز وشابة ، اسماهما حية . واجتمع حولهن كثيرون من اهل نجران ، رجالاً ونساءً . فتطلعت فيهم حبصة ، فرأت بينهم جارها اليهودي فقالت له : ايها اليهودي الصالب ، كفرا بكم وبكل الذين يذعنون لكم ، اذ تكفرون بالمسيح وتقولون انه ليس الهاً ، وكفرا بملكك الصالب ربه . فامض واخبره بهذا . فأخبر بها احـــد اعيـان مسروق ، وهو بدوره اخبر مسروق الصالب الذي امر باحضارهن اليه . ولما سأل حبصة ، ابنـة من هي ، اجابت : « اني ابنة حيان من عشيرة حيان الكبير الذي بواسطته نشر ربنا المسيحية في بلادنا . اما حيان ابي فقد حرق مرة مجمعكم . فقال لها الصالب : أأنت اذن متمسكة برأي ابيك بالذات ، وتريدين انت ايضاً ان تحرقي مجمعنا كما احرقه ابوك ؟ فأجابت حبصة : لن احرقه انا بيدي ، لاني على أهبة الرحيل لالحق اخوتي في المسـيح في طريق الشـهادة هذه ،

ولكن لنا وطيد الامل بعدل يسوع المسيح ربنا والهنا ، بانه سيقضي عاجلا على سلطانك ويخفض جناح عجبك وحياتك ، ويستأصل مجامعكم من بلادنا ، ويبني فيها كنائس مقدسة ، فتزدهر المسيحية وتتملك فيها . فتميز الملك غيظاً وامر فألقوا صليباً قدامه ؛ ووضعوا الى جانبه طستا فيه دم ؛ كما فعل مع الذين استشهدوا قبلها وتهددها قائلًا : اكفري بالمسيح وابصقي في هذا الصليب ؛ وخذي من هذا الدم ؛ وقولي بما نقول به نحن ؛ ان المسيح هو انسان مائت مثل جميع الناس ؛ وتهودي مثلنا واحيي ؛ فأزوجك رجلا شريفاً ؛ واصفح عن كل ما تفوهت به . فقالت له حبصة : ليسد فوك عاجلًا من الحياة الدنيا يا من جدف على خالقه ؛ ولا يترك لك عقب ليشتم خالقه ؛ ايها الصالب ؛ الصالب ربه . يا من اخذت على عاتقك ؛ في ما ظننت ، لتفني جميع المسيحيين الذين في بلادنا . واعلم هذا ، انه ليس فقط انني لا اقول ان المسيح ليس انسانا ، ولكني اذ اسجد له واشكره على كل الافضال التي اسداها الي ، أؤمن بانه الاله الخالق البرايا ، واحتمي بصليبه . واعلم ايضاً انني لن استنكف عن أي من عذاباتك ، فاجتهد ان تصب علي مهما اردت من الشدات . ولما سأل رفيقتيها ، اجابتا هما ايضاً بمثل ما اجابت به هي . فأمر اذ ذاك ، فربطت سيقانهن بافخاذهن ، وخطمن بالركاس كالجمال ، ووضعت عصي ولفت بشدة قصوى حتى سمع صوت عظامهن التي كانت تتخلع ، ومفاصلهن التي كانت تنفصل بعضها من بعض . ثم رفعوا الصليب الذي كان على رأس حبصة وقال لها الاثيم : فلانك ظننت ان هذا الصليب سيساعدك ، فها انني آمر بان تتعذبي انت ورفيقتاك ، في نفس المكان الذي خيط فيه . فأمر وخطمن بلا شفقة في وجوههن حتى ضقن ذرعا عن الكلام . ثم امر فجلدن على ظهورهن . وكان الصالبون يقولون لهن ساخرين : اتذعن ولو الآن ؛ لامر الملك ام تطيب لكن هذه الميتات ؟ فكن وقد تعذر عليهن الكلام ، يشرن بايديهن ، ان الموت احب اليهن . فقضت حية العجوز فوراً . فلما رآها الصالبون وقد ماتت ، اخذوا يسخرون قائلين : لقد نفعها المسيح كثيراً . اما حبصة وحية الاخرى فكانتا في شدة عظيمة . فأمر الصالب مسروق ان يأتوا بجملين من الابل الصعاب ، ويربطوا كلا منهما بجمل ويطلقوهما في البرية ، ففعلوا . وبهذا اسلمتا روحيهما .

لقد نقل لنا افعو احد الاشراف الذين سبق لنـا ان قلنا عنهم ، انهم كتبوا لنا هذه الشهادة ـ وكان صهر الطوباوية حبصة اي زوج اختها التي شـاهدناها نحن ايضاً وحادثناها ـ انه خرج يرافقه شخصان آخران ؛ وراء الجملين ؛ مترسمين خطى الطوباويتين . ولما ساروا نحو اثني عشر ميلاً ؛ وجدوا جثمان الفاضلة الطوباوية حية ؛ وقد انقطعت الحبال التي كانت مربوطة بالجمل ، والجمل قد مضى ؛ فجز شعر الطوباوية بالايمان للبركة ؛ ثم حفروا وطمروا جثمانها في مكانه . وساروا في طريق الجمل الآخر نحو خمسة عشر ميلاً ؛ فوجدوا جثمان حبصة الشريفة ؛ وقد برك الجمل في الارض . فسارع افعو بهدوء وقطع بالسـيف تلك الحبال ؛ فقام الجمل ومضى لحاله تاركا جثمان امـة الله ؛ فأخذه افعو واللذان معه ؛ ودفنوا الطوباوية حبصة الى جانب الطوباوية حية . وجز افعو شـعر الشريفة حبصة ايضاً بالايمان للبركة . وعلّموا ُعلامة على على ضريحيها وعادوا خوفاً من اليهود ؛ اذ كانوا لا يزالون متسلطين على تلك البلاد . فقد اعطانا افعو بركة من شعر كلتيهما . ولما سألناه ان يعطينا من عظامها ايضاً ؛ قال : اننا خوفاً من اليهود لم نأت بعـد بشيء منها حتى الى مدينتنا ؛ بل لم نأخذ شـيئاً من عظامها . ذلك ان اليهود كانوا يقتلون كل من يجدونه من المؤمنين حاملاً من عظام الشهداء المظفرين . وقد تمت شـهادتها يوم الثلاثاء في ٢٧ تشرين الثاني .

ويأتي الفصل الثاني والعشرون في استشهاد الشريفات روهم (رهومي) بنت ازمع وابنتها أُمّة وحفيدتها روهم (رومي) . يقول المؤلف : وبعد شهادة حبصة وحية وحية ؛ ارســـل الطاغية مسروق رجاله الى روهم بنت ازمع النجرانية الغنية التي ذكرناها اعلاه ، وهي من عشـيرة جو ؛ ونسـيبة الطوباوي الشـيخ النبيل الحارث رئيس الذين تكللوا قبل قليل ؛ وامرهم ان يدعوها الى الكفر بالمسـيح والتهود ؛ لتحيا وتظل في كرامتها السابقة ؛ فيزوجها رجلا عظيما معروفاً من اعيان اصحابه . فقالت لهم : حاشا لي ان اكفر بالمسيح لانه الاله وابن الاله وخالق العالم ، وحاشا لي ان اتهود . كفرا بملككم الصالب ربه ؛ وبكم وبجميـع اصحابكم اليهود الصالبين . وحاشا لي ان اشتاق بعد الى الحياة الدنيا وابتعد عن صحبة شهداء الله الذين قتلتموهم . وانه عار علي ان اظل في كرامتي السابقة ... اما كرامتي الحقيقية فهي في اعترافي بالمسيح قلباً ولساناً بانه الاله والخالق الكل ؛ وفي موتي من اجل اسمه القدوس .

وحاشا لي بعد هذا ان اتزوج انساناً مائتا ؛ واترك المسيح العريس السموي ، الذي خطبَت له بقداسة نفوس عباده كافة . وليس بين اعيانه مهما كان عظيما كما تعلمون ؛ من هو اهل لان يتزوجني ولو كان ملككم بالذات . ثم رسمت علامة الصليب الظافر على وجهها ووجهي ابنتها أُمّة وحفيدتها روهم ، التي كانت قد ناهزت التاسعة من عمرها ، وكانت امها ، أي ابنة الشريفة روهم واسمها عما ، قد قتلت قبل ثلاثة ايام مع الشريفات اللواتي استشهدن ، فأخذتها اليها منذئذ جدتها روهم ولم تفارقها . ورسمت روهم الفاضلة كذلك علامة الصليب على بيتها وكل ما فيه ، واخذت ابنتها أُمّة وابنة ابنتها روهم وخرجن الى الشارع . وبسبب عويل الاماء والعبيد الذين كانوا يصحبونهن ، تجمهرت حولهن نساء نجرانيات كثيرات كن يذعن ما اسدت اليهن روهم الشريفة من الافضال الجزيلة . فقالت لهن لا تبكين علينا ، فاننا قد أهّلنا ربنا ان نموت في سبيل اسمه ، ولكن ابكين على كل من انكر او ينكر المسيح الاله ، وعلى كل من لا يعترف بانه الاله الحق وابن الاله . وما احسنت اليكن والى الآخرين من مالي لكن من مال الله الذي عظمني في هذا العالم ، واغدق علي الذهب والفضة والحلى ، واحاطني بالعبيد والاماء والقدر العظيم . فكل ما اسديته انا وبعلي من الافضال فهو من مال الله . فاحمدن الله وآزرننا بدعواتكن واثبتن في الايمان المسيحي . وبلغ صوت عويلهن مسامع الطاغية مسروق ، فغضب على الذين كانوا يقودونهن وهمّ بقتلهم ، لانهم اذنوا لروهم ان تتكلم في الشارع وتسبب ذلك العويل . فشفع فيهم بعضهم . وبعد جدال عنيف قام بين روهم ومسروق الذي دعاها الى الكفر بالمسيح ، قالت له روهم : كفرا بك ايها اليهودي الصالب ربه . فصرخت ابنتها وحفيدتها قائلتين : كفرا بك ايها اليهودي الصالب وبكل الذين يذعنون لك . فنظر اليها الطاغية شزرا . وبينما كان يريد ان يقول شيئاً ؛ سبقته روهم الفتاة وملأت فاها بصاقاً وبصقت عليه وقالت له : هذا البصاق في وجهك ايها اليهودي النجس لانك تجاسرت ان تدعو سيدتي الى الكفر بالمسيح ، في حين انها افضل منك . وجنسها افضل من جنسك يا ايها المارد على الله والناس . فأمر الاثيم مسروق الخالي من الشفقة ـ لاجل تخويف المسيحيين ـ ان يلقوا روهم الفاضلة على ظهرها ؛ ويذبحوا الفتاة حفيدتها ؛ ويسكبوا من دمها في حنجرة جدتها . ولما تم ذلك واوقفوا المؤمنة روهم على قدميها ؛ سألها الطاغية ؛ كيف تذوقت دم هذه

الوقحة ؟ فقالت ؛ كدم ذبيحة مقبولة امـام الله . فقـالت له امّة ابنة الطوباوية : الا حرمت رحمة الله ايها الصالب القاتل ربه ، كما حرمت نفسك طوعاً رحمة الطبـع البشري . فقال مسروق السفاح لاعوانه : نفذوا في هذه الوقحة ايضاً ما نفذتموه في رفيقتها . فسـارع خدام الاثم والقوا الطوباوية على ظهرها وذبحوا ابنتها وسـكبوا من دمها في حنجرتها . ولما انتصبت على قدميها ، سـألها ايضاً السفاح قائلا : ألذت لك ذبيحة هذه الاخرى ايضاً كما قلت ؟ فأجابت حقاً لقد لذّت لله ولي ايضاً ، ولئن جردت انت نفسك من الانسانية ، وفقت بشرك جميع الناس ، وتشبهت بالوحوش التي تلحس دم البشر ، اذ ذبحت انت ايضاً مثلها بشرا ، حفظ لك ثأرهم ليوم الدين الرهيب . اما انا فقد اولاني المسيح ربي نعمة لا توصف ، اذ اهّل هاتين الحمامتين الوديعتين ان تسبقاني ، لئلا تصيدهما بالكفر كالشيطان ابيك . فقد ارسلتها امامي قربانا مقبولاً للمسيح ربي ، وها انا ذاهبة في اعقابها لكي اقف امـامه براحة النفس واسـفرار الوجه . وبعد ان صلت ، رسمت علامة الصليب على وجهها ، وحلت ضفائرها وامسكت شعرها بيدها وقالت للذئب المفترس مسروق : ايها الصالب ربه والذابح المسيحيين ، لقد كفرت بك وبجميع الذين يذعنون لك ، مُر ان يقتلوني لامضي عاجلا وأدرك احبائي . اما هو فأراد ان يتأنى في الامر ، اولاً : علها تذعن له . ثانياً : اجابة الى ملتمس الذين كانت قد اسدت اليهم افضالاً . ولكنه لما رأى تحمسها لاقتبال الموت ، امر خدام الاثم ان يأخذوها ويجزوا رأسـها . فأخذها اولئك الصالبون الى خارج دارة الخشب التي كان فيها ، فجثت وسجدت الى الشرق ورسمت علامة الصليب على وجهها وقالت ربنا . فتقدم السياف واقامها ، فمدت له عنقها بسرور عظيم ، فضربه وحزه . كان ذلك يوم الاربعاء في ٢٨ تشرين الثاني . فأمر مسروق النجس بان تطرح جثتا بنتيها ايضاً فوق جثتها للاهانة ، ففعلوا . فتقدم اليه بعض العظماء الذين معه وقالوا له : ان هذه المرأة العظيمة ، كانت قد اسدت أيادي بيضـاء الى كثيرين ، أي الى الملك الذي قبلك والى العظماء والفقراء . هكذا قرضت حينا للملك معدي كرم الذي قبلك ، اذ احتاج واستقرض منها اثني عشر الف دينار . وبعد مدة اذ بلغها انه محتاج ، اكرمته ... وكثيرون يشكرون فضلها . لذلك نلتمس منك ان تأمر بدفنها . فأمر بذلك . فسارع بعض المسيحيين وجاؤوا

بكتان لفوا به اماء الله ودفنوهن ازاء المكان الذي دفنت فيه الشريفات قبلهن ، أي فوق الوادي (فسطون) الذي طمرن فيه .

ويأتي الفصل الثالث والعشرون ، في استشهاد نساء شريفات شتى من مدينة نجران . ولم يبق منه في النسخة سوى اوله وهو : ان مسروق عدو الحق ، صمم بعد هذا على ان لا يترك في نجران امرأة مسيحية الا وقد قتلها . فأمر قائده ذا يزن ان يدخل نجران ويجمعهن ويخرجهن اليه . فأخذ ذو يزن الصالب رجاله ودخل نجران ، وتمكن بعد جهد جهيد من جمع نحو مئة واثنتين وعشرين منهن . ذلك ان المؤمنين ، رجالاً ونساءً ، كانوا مستخفين في مختلف الاماكن . وكانت كثير منهن يحملن اطفالهن . فأخرجهن الى مسروق عدو العدالة ...

يعقب هذا سقوط سبعة عشر فصلا من النسخة ، ثم يأتي الفصل الثاني والاربعون ، في ما خاطب به زاونس القائد الحبشي جيشه حين بلوغه بلاد الحميريين بحراً. وقد سقط هذا الخطاب من النسخة . والباقي من الفصل يخبرنا بان الاحباش قتلوا من الحميريين خلقاً كثيراً بلا عد . وكانت فرقة مسروق تتقلص وتتضاءل شيئاً فشيئاً ، بسقوط الكثيرين منها في البحر ، الامر الذي مكن الاحباش من مهاجمة الصف الاول الذي كان فيه مسروق السفاح . فتطلع احد الاحباش المؤمنين ليرى من هو ملك الحميريين ، واذ هرب الحميريون الذين كانوا يحتاطون الملك ، فهم الحبشي الشجاع ان الذي قتله هو ملكهم المنافق بالذات . فجر جثته الى ساحل البحر حيث كان الماء رقيقاً ، ثم استل سيفه وحز رأسه بضربة واحدة . فسارع كثيرون من الحميريين بعد ان خرجوا من البحر لركوب خيلهم والهرب ، فطاردهم الاحباش وحصدوهم كالحصادين للسنابل ، كما انهم قبضوا على كثيرين ممن لم يستطيعوا الهرب . وهكذا ضرب الرب الحميريين الضربة القاضية بواسطة الاحباش .

يعقب هذا الفصل الثالث والاربعون في الخطبة التي القاها الملك كالب الحبشي شكراً لله بعد النصر . وقد تخلله نقصان كثير . وفي هذه الخطبة ، شجع جنوده ، ونسب الغلبة الى الرب قائلا : « ان الله قد اعطانا القوة والنصر على اعدائنا . ولا بد انكم تذكرون ما قلته لكم انه ما من ملك لنا . ولست انا بالذات سوى بالاسم

فقط . وانا متأكد من انكم وعيتم كل ما سمعتموه مني يومذاك في بلادنا ، ووثقتم باقوالنا بانها حق . وها انكم ترون اليوم ان الرب قد حقق بالعمل كل ما قلته آنذاك وبالازيد . بل انه سلطنا على ارض اعدائنا بدون تعب جزيل . فقد سار امامنا وترأس صفوفنا ، وقاتل عنا اعداءنا صالبيه ، واعطانا من ثم بنعمته نصره عليهم . فالنصر اذن هو للرب لا لنا . هو لصليبه الذي نسمه على وجوهنا لا لسلاحنا . وقد استشهد على ذلك باحداث كثيرة ذكرت في الكتاب العزيز .

ويأتي الفصل الرابع والاربعون ، في المعترفين بالايمان الذين اطلق سبيلهم بعلامة الصليب التي كانوا يسمون بها ايديهم . وقد تخلله نقصان كثير . وخلاصته : ان الاحباش اجتازوا بالمدن الحميرية كلها وتناولوها قتلا ونهباً . وفي نجران اطلقوا سبيل المعترفين الذين كان مسروق قد سجنهم ثمة عند نزوحه عن نجران ، منهم الشريفان ضب وعمر والشريفتان هنط وعما . وفتكوا باليهود فتكاً ذريعاً حتى مادت ارض الحميريين من هيبتهم وكادت تسقط ، اذ ضربوها ضربات قاسيات . فلما رأى المسيحيون الحميريون انهم يقتلون ، اذ لا يستطيعون ان يقولوا للاحباش انهم مسيحيون ، لجهلهم لغتهم ، اخذوا يسمون علامة الصليب على ايديهم ، حتى اذا رآها الاحباش افرجوا عنهم . فدهش محب المسيح الملك كالب من لجوئهم الى الصليب المظفر ولو بهذه الوسيلة ، وحذر جنوده من قتل من يجدون علامة الصليب على يده ، حتى ذاع الخبر في جميع انحاء البلاد الحميرية ، فرسمها اليهود ايضاً على ايديهم ونجوا من سيوف الاحباش . فلما نما الخبر الى محب الله كالب ، ذهل من شرهم ، وقال : لا بأس من ذلك ، ولو انهم لا يستحقون الرحمة ، لانهم صلبوا ربهم وقتلوا عبيده ، لكي لا يظنوا ان الصليب المظفر ليس ملاذاً عظيما ، ومنجيا من الشرور ، جميع الذين يلوذون به ويسِمونه على ايديهم ، سواء اكان ذلك عن ايمان ام رغبة في النجاة .

اما المسيحيون الذين كانوا قد كفروا ، فندموا وتابوا وكتبوا معروضاً في ذلك للملك كالب كي يقبلهم كمسيحيين ، ويأمر بالغفران لهم . فشفع فيهم بعض الاحباش . فمثلوا بين يدي الملك وقدموا له المعروض .

يعقب هذا ، الفصل الخامس والاربعون ، في المعروض الذي قدمة الى الملك

كالب قوم من النصارى الذين كفروا ثم ندموا وتابوا . ولم يبق منه في النسخة سوى نبذة يسيرة من اوله ، وفيها يظهرون اسفهم الشديد على كفرهم .

ويأتي الفصل السادس والاربعون ؛ في خطاب الملك لهؤلاء التائبين . وهو مبتور من اوله ، وقد تخلله نقصان . وفي هذا الخطاب شجعهم الملك كالب على توبتهم وقال : انهم بعملهم هذا اقتدوا بكيفا رئيس زمرة الرسل ، الذي انكر سيده ثم تاب ببكاء مر . ذلك ان باب التوبة مفتوح للتائبين . ثم اطلق سبيلهم ليسعوا في جمع الذين كانوا قد كفروا ، ريثما يزور هو مدن البلاد ويتفقد كل شيء بنفسه . وقد قصد بهذا ان يختبرهم ، حتى اذا رآهم ثابتين في توبتهم ، اوعز الى الكهنة الذين معه ان يغفروا لهم . فمضوا وثبتوا في توبتهم وجمعوا رفاقهم ومثلوا بين يدي الملك . وفي تلك الاثناء ظهر ايضاً الذين كانوا مستخفين ولم يكفروا .

ويأتي الفصل السابع والاربعون ، في اقامة ملك الحبشة ملكا في بلاد الحميريين تحت ولايتهم . يقول المؤلف : ان محب المسيح الملك كالب ؛ اختار رجلا من اعيان الحميريين ومن سلالة مملكتهم ، ليقيمه ملكاً . ولما لمس فيه استعداداً للايمان ، وقد كان من مدة بعيدة يتوق الى العماد والتنصر ؛ امر الكهنة الذين معه فعمدوه ، فاقتبله هو من المعمودية وجعله ابنه الروحي ، ثم نصبه ملكاً على بلاد حمير كلها . ثم استدعى الذين تابوا وخاطبهم بالمناسبة ؛ وامر الكهنة الذين معه ليغفروا لهم . فاقام هؤلاء صلاة من اجلهم وغفروا لهم .

يعقب هذا ؛ الفصل الثامن والاربعون ؛ في خطاب ثان فاه به كالب للتائبين بعد الكفر . جاء فيه قوله : انني لما تأهبت لمغادرة بلادنا الى هذه البلاد للحرب ؛ سألت ابانا واسقفنا الطوباوي اوبروبيوس ؛ اذا كان يجوز قبول بعض الذين كفروا منكم ان رغبوا في التوبة ام لا . فأجابني ابونا الطوباوي قائلا : ولو ان ما أتوه هو خطيئة كبرى ؛ الا ان قبولهم واجب ؛ وفقاً لآيات كثيرة في الكتاب المقدس ؛ واقتداء بكيفا . واردف ؛ ولو ان في البلاد الاخرى تفرض قوانين ؛ يمنع بموجبها التائبون من هذا القبيل ؛ من تناول الاسرار المقدسة اعواماً عديدة ؛ الا انه من حيث ان الحميريين هم برابرة وشعب تصعب عليه هذه الامور ؛فلتكن مدة توبتهم سنة ؛

يؤذن لهم في نهايتها في تناول الاسرار المقدسة . هذا ما افتى به اسقفنا اوبروب بهذا الصدد . فلا تقربوا اذن من الاسرار المقدسة منذ اليوم حتى تمام السنة لكي تقبل توبتكم .

وبعد ان اقام الملك وعساكره في بلاد الحميريين زهاء سبعة اشهر ، وبنى فيها عدة كنائس ، عين لها كهنة ممن كان معه ، ونصب ملكاً ، واخضع البلاد للجزية ، وترك هناك خلقاً من الاحباش لحراسة الملك من الاعداء ولصيانة الكنائس التي انشأها ثمة ، انقلب مع عساكره الى بلاده بالسلام ، مصطحباً معه جالية كبرى من الحميريين الضالين ، وخمسين رجلا من اكابر بيت الملك .

يأتي بعد هذا ، الفصل التاسع والاربعون ، في خاتمة هذا الكتاب بعد انطلاق كالب من بلاد الحميريين . يقول المؤلف : لقد اهتممنا بوضع هذا التاريخ المزين باخبار شتى ، والمتحدث عن الاحداث التي جرت في بلاد الحميريين منذ عدة قرون حتى شهادة اولئك المظفرين الذين استشهدوا الآن هناك . وقد علمنا عما جرى في بلاد الحميريين ، على قدر الامكان ، من بعض المؤمنين الحميريين الذين رأوا عن كثب الاحداث التي نقلوها لنا . وعن حملة الاحباش الاولى على بلاد الحميريين ، من بعض الصلحاء الذين كانوا معهم . وعن حملتهم الثانية ايضاً من اناس فضلاء آخرين كانوا قد صحبوهم الى الحرب ، باذن الله مع الصالين وقد رأوا بأم عينهم ما نقلوه لنا .

وفي هذه الخاتمة ، اكبر المؤلف جهاد الملك كالب المؤمن ومحب المسيح قائلا : « ولئن دوّنا اخبار مجيئه ، الا اننا لم نستطع ان نحصر بالقلم الاهوال التي اتاها في بلاد الحميريين » .

الفصل السادس

تعقيب مار يوحنا الآمدي ومعنيث مار يوحنا بسلطوس

لقد عقب المؤرخ مار يوحنا الآمدي (+٥٨٧) اسقف افسس الشهير ، على خبر الطفل الذي كان في الثالثة من عمره عند استشهاد امه[1] فقال : انه اذ ظل

---

١) انظر هنا ص٣٢ .

في الحياة وترعرع ، وانتهى امره الى الملك المسيحي الذي نصب هناك (اي في بلاد حمـــير) ، اخذه اليه . فلما بلغ اشده ، بالغ في اكرامه كشهيد للمسيح ، وجعله رئيساً على بطارقته وكاتماً لامراره ومستشاراً له . امـا اسمه فهو بصر . وقد اوفد اخيراً في سفارة الى الملك يوسطينيان ، حيث اجتمعنا اليه مـدة طويلة ، واعجبنا بقوة ارادته ووداعته وتواضعه ، وبالنبل الذي كان منسكباً على وجهه ، وبالكآبة الدائمة التي كانت تلازمه والصلاة المتواصلة التي لم تكن تبرح ذهنـه . ذلك انه كان يطوف كنائس العاصمة من الصباح حتى المساء ويصلي ويتصدق بما خصصه له الملك . ويمارس الصوم حتى المساء جميع الايام . واذ كان جميـع الذين يرونه معجبين به ويتحدثون عنه بانذهال ، اتضـح لهم اخيراً انه نفس ذلك الطفل الذي كفر بذلك اليهودي واهانه بوجهه وعضه على فخذه . ومع هذا فقد كان يتأبى ان تذاع عنه هذه الامور . هذا ما بلغنا عن شهيد الله هذا .

اما مار يوحنا بسـلطوس رئيس دير قنسرين (٦٠٠+) فقد نظم معنيثاً (نشيداً كنسياً) عنوانه « في الشهداء الحميريين القديسين الذين استشهدوا في نجران في جنوبي بلاد العرب ، في عهد يوسطينوس ملك الروم ، حين كان مسـروق اليهودي ملك العرب يضطهد مسيحيي تلك البلاد ويضيق عليهم ليكفروا بالمسيح » واليك ترجمة المعنيث : « ليقل مخلَّصو الرب ، لانك عظيم وصـانع العجائب »[١] من يطيق ان يصف عجائبك ايها المسيح الاله ! فها ان بلد الحميريين الخارجي والبربري ايضاً ، اذ اتقد بمخافتك ، تطلع فاقتدى بايمان القبدوقيين . لان سبسطية في جهاد واحد فقط في بحيرة الماء ابان البرد القارس ، كملت بالشهادة اربعين شـخصاً . ونجران اقتدت بها وفاقتها خمسـة اضعاف ، وانجبت لنا اكثر من مئتي مجاهد تشرفوا في الجهاد ، كان اولهم المعلم الحارث . وقد جاهدوا في مضمار الجهاد في زماننا القريب . فبجاه صلواتهم ، اصرف الشكوك والعثرات عن البيـع واشجب وادحض جميـع الهرطقات وثبتنا في الايمان بك ، واحصنا بين مختاريك ، ونجنا ربنا يا لطيفاً بالعباد[٢] .

١) مز

٢) راجعه بين معانيث مار سويريوس الانطاكي طبعة بروكس ص٦١٣ و٦١٤ . هذا وقد اثبته صاحب اللؤلؤ المنثور ص٢٤٢ طبعة اولى ، لمار سويريوس ، وص٢٥١ لمار يوحنا بن افتونيا ، ولم يذكره ص٢٧١ ليوحنا بسلطوس . ولكنه ما عتم ان اثبته لبسلطوس في المقالة التي وصف بها كتاب الشهداء الحميريين ص١٦ .

الباب الثالث

الوثيقة الاولى ـ دراسة وتحليل

الفصل الاول

تاريخها وغاية الكاتب منها

لقد انفذهـا الارشمي من حيرة النعمان في ربيـع سنة ٥٢٤ الى شمعون السرياني رئيس دير الجبول في سورية الشمالية . ويستدل بها على انها لم تكن فاتحة مراسلته له : ذلك انه عند ذكره « الفاضل القس مار ابراهيم بن اوفروس رسـول القيصر يوسطينوس (الاول) والقديس مار سرجيس اسـقف الرصافة الى المنذر ملك الحيرة ليعقد صلحاً مـا بين عرب بلاد الفرس والروم » ، يقول : وقد كتبنا عنه في رسالتنا الاولى ، واننا نشكره ، ويشاركنا في هـذا جميـع المؤمنين ، لانه عضد جانبنا نحن الارثوذكسيين في كل شيء ، وهو مطلع على ما سبقنا فوصفناه من الامور السالفة ، كما انه عارف ايضاً بما سنكتبه الآن » . بيد ان هذه الرسالة هي الاولى فيما يخص الشهداء الحميريين . وقد كنا كغيرنا نعدها الرسالة الفريدة للارشمي بهذا الصدد ، حتى وفقنا مؤخراً الى اكتشاف رسالة ثانية له بهذا الموضوع .

ولهذه الرسالة عدة نسـخ مختصرة قليلا او كثيراً ، منها المطولة التي نشرها الاب بيجان بعنوان : « قصة الشهداء الحميريين ، من الرسـالة التي انفذها من حيرة النعمان ، شمعون اسـقف بيث ارشم ورئيس المؤمنين في بلاد الفرس ، الى شمعون رئيس دير الجبول »[١] . ومنهـا التي اجملها زكريا الفصيح في حياة الارشمي[٢] والتي اختصرها البطريرك مار ميخائيل الكبير (١١٩٩+)[٣] .

---

١) اخبار الشهداء والقديسين مج١ ص٣٧٢ — ٣٩٧ .

٢) تاريخه مج٢ ص٦٣ - ٧٤ وقد ترجمت الى العربية ونشرت في المجلة البطريركية - دمشق عدد ١٥ .

٣) تاريخه ص٢٧٣ - ٢٧٦ .

وبما ان غايته كانت توليد صرخة مدوية ضد المضطهدين ، واستنجاد من بامكانه ان يثأر بالسرعة الممكنة لابنـاء مذهبه الحميريين ، لم يفكر في عجالته هذه ان يدقق في عدد الشهداء ؛ وفي مبلغ الخسائر التي منيت بها الكنيسة في تلك الديار ولا ان يضبط اسماء الاشخاص والمدن والانساب وما اليها ، ولذلك جاء بعضها مشوشاً مشوهاً كما سيأتي .

الفصل الثاني

طلب النجدة للحميريين

لم ير الارشمي من يستنجده في هذه البلوى سوى ملك الحبشة كما مر معنا ؛ وذلك بنقل الخبر « الى الاساقفة القديسين الهاربين مع المسيح الى مصر[١] وبواسطتهم الى رئيس اساقفة الاسكندرية ؛ ليكتب بدوره الى ملك الحبشة واساقفتها لينجدوا الحميريين فوراً » . وقد وهم بعض المؤرخين ؛ ان الحميريين اسـتنجدوا يوسطينوس البيزنطي[٢] . وهل يعقل ان يستنجدوا من كان يضطهد في بلاده اخوانهم الارثوذكسيين بضراوة لا هوادة فيها ؟ الم يكن اضطهاد يوسـطينوس بالذات مدعاة لتلك الجرائم الشنعاء التي ارتكبهـا اليهود في حق الارثوذكسيين الحميريين[٣] ؟ على ان الارشمي لم يتردد في كشف النقاب عن وجه الاساقفة الخلقيدونيين في بلاد الروم ؛ واتهامهم بالاشتراك مع اليهود في هذه الجرائم كما ينجلي من قوله في هـــذه الوثيقة « ليعلم الاسـاقفة ؛ ان اليهود مستترون في ملاجىء كنائس الروم وهيا كلهم ، في حين ان رفاقهم يرتكبون جرائم في حق المسيحيين في بلاد الحميريين . ان اسـاقفة ابرشيات

١) لقد عني بهذا ، القديس البطاريرك مار سويريوس الانطاكي وصحبه الذين تنمر لهم القيصر يوسطينوس الاول واضطهدهم سنة ٥١٨ .

٢) ذكر الطبري ، ان دوس ذا ثعبان افلت على فرس له ، ولجأ الى قيصر الروم يستنصره على ذي نواس (مسروق) ، وان القيصر قال له « نأت بلادك عنا فلا نقدر ان نتناولها بالجنود ولكني سأكتب الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين ، وهو اقرب الى بلادك منا فينصرك » (تاريخه مج٢ ص١٠٥ و١٠٦) .

٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص٢٧٣ .

الروم كلها السابقين منهم واللاحقين ، طمعاً بالحصول على قيراط او قيراطين يؤجرون لليهود بيوت الكنائس والهياكل ، ويسترونهم تحت راية الصليب ، في حين ان يهود طبرية ، يوفدون الى بلاد حمير ، كهنة في كل عام ، وفي كل موسم ، ويثيرون الفتن ضد المسيحيين الحميريين . فاذا كان الاساقفة مسيحيين حقاً ويريدون بقاء المسيحية ، وليسوا شركاء لليهود ، ليلتمسوا من الملك (القيصر) وعظمائه لالقاء القبض على رؤساء كهنة طبرية (اليهود) وغيرها من المدن ، وطرحهم في السجن[1] . ولا نقول بان يقابل الشر بالشر ، بل ان يقدموا كفلاء بانهم لن ينفذوا بعد رسائل ولا رسلا الى ملك الحميريين الذي ارتكب كل الجرائم المذكورة اعلاه في حق المسيحيين الحميريين ، وان يهددوهم بانهم اذا اعادوا الكرة ، احرقت مجامعهم وطردوا من تحت راية الصليب ، واستولى عليهم المسيحيون . ولكني اعلم ان ذهب (مال) اليهود سيسارع الى اخفاء الحق ، فيزداد بذلك اليهود والوثنيون تجبرا . ذلك ان محبة الفضة والذهب قد رسخت في الكنيسة رسوخا ، وان المحبة قد بردت لدى الرعاة ، ولذلك حرمت الابرشيات من الرعاة الذين يتألمون عن ابرشياتهم . اما نحن فعلينا ان نقول ، واما هم فليفعلوا ما بدا لهم ، والمسيح الاله والراعي الصالح الذي اسلم نفسه عن رعيته ، يعمل ما يراه ملائماً ونافعاً لرعيته المبتاعة بدمه الثمين » . فطلب النجدة اذن انما كان من ملك الحبشة لا من يوسطينوس البيزنطي .

الفصل الثالث

نظرة المسيحيين الى اليهود في القرن السادس

كانت الجريمة النكراء التي ارتكبها اليهود بصلبهم السيد المسيح ، قد تلبستهم في كل اجيالهم ؛ وكان شبحها القاتم يلاحق بل يهدد اولادهم في كل عصر ومصر . وكان المسيحيون بدورهم يلقون تبعتها على كل فرد من افرادهم ؛ سواء اشترك ام لم يشترك فيها مباشرة . فلا غرو والحالة هذه ان تقول حفيدة الشهيدة الشريفة

---

١) ورد في اللؤلؤ المنثور ص٢٥٢ « ان مار شمعون حث على ازالة الشدة عن المسيحيين في اليمن وفي طبرية » والصحيح عن المسيحيين في اليمن (الحميريين) فقط كما ورد اعلاه .

النجرانية رومي لليهودي المضطهد « ايها اليهودي القاتل ربه » . واليهود هم هم منذ الفي سنة وحتى اليوم دون ان يطرأ أي تغيير على نفسيتهم . فهم في سبيل الوصول الى مـآربهم ، يحنثون في اغلظ أيمانهم ، ويرتكبون كبرى المحرمات ، ويضحون بالشرف والمال دون أي تردد . والجرائم التي ارتكبوها في حق المسيحيين الحميريين انصع دليل على ذلك . فالمضطهد اليهودي بعد ان انفذ الى الحامية الحبشية في ظفار والى اهل نجران ، رسائل تشتمل على اغلظ الأيمان بالتوراة وبلوحي موسى وتابوت العهد واله ابراهيم واسحق واسرائيل ، عاد فحنث في أيمانه وسفك دماءهم الزكية ، ما حدا الشيخ النبيل الحارث بن كعب الى ان يبكته قائلاً : « بالحقيقة انك لم تتكلم كملك ولم تفعل كملك ، لان الملك الذي يكذب ليس ملكاً . فقد رأيت ملوكا كثيرين ولكنني لم ارَ ملوكاً يكذبون » . وقد اخبرنا الارشمي في الوثيقة الثانية بان هذا المضطهد بالذات ، قبض عليه الاحباش في اثناء حملتهم الاولى أي سنة ٥١٩ فانبرى صديقه جحشون التاجر المسيحي من حيرة النعمان ، يحلف بدلاً منه بالانجيل المقدس بانه مسيحي . وبهذه الوسيلة نجا من الموت . ولذلك عيرته الشهيدة مانحة أمة الشيخ الحارث بهذا العار الذي اضحى وصمة في جبينه .

ان الارشمي بقوله في هذه الوثيقة : « ان اساقفة ابرشيات الروم كلها ، السابقين منهم واللاحقين ، طمعاً بالحصول على قيراط او قيراطين ، يؤجرون لليهود بيوت الكنائس والهياكل ويسترونهم تحت راية الصليب » ، وقوله : فاذا كان الاساقفة مسيحيين حقاً ... وليسوا شركاء لليهود » ، وقوله : « ولكنني اعلم بان ذهب (مال) اليهود سيسارع الى اخفاء الحق » ، يبين لنا تغلغل اليهود في اقدس مقدسات المسيحيين في القرن السادس ، بواسطة المال ؛ الذي كان ولا يزال ديدنهم بل سلاحهم الماضي حتى اليوم . وبالمال بالذات استمال هذا المضطهد بعض اراذل المسيحيين من نجران وحيرة النعمان ليستعين بهم على الايقاع بالمؤمنين . وقد ذكر الارشمي في الوثيقتين الاخريين اثنين منهما وهما عبدالله بن ملك من نجران ، وكونب بن موهوبة من حيرة النعمان ، وقال انهما كانا مسيحيين اسماً فقط . والارجح لانهما تعاملا مع اليهودي ضد اخوانهم المسيحيين ، طمعاً بالربح القبيح . هذا فضلا عن جحشون التاجر الحيري المشـار اليه الذي نجاه من الموت المحتم . فلما تملك وفتك

بالمسيحيين ، ارسل الى حيرة النعمان ، من اسلاب المسيحيين مع رسالة شكر . ولاجل هذا فقد كان جميع المسيحيين يكرهون جحشون .

الفصل الرابع

الرحمن والمؤمنون

نستنتج من هذه الوثيقة ومن الوثيقتين التاليتين ، ان اسم « الرحمن » كان مرادفاً لاسم الله في جنوبي الجزيرة العربية . ذلك ان الشهداء الحميريين ، كثيراً ما كانوا يرددونه كقولهم « المسيح ابن الرحمن » . وكذلك كان اسم « المؤمنين » مرادفاً لاسم « الارثوذكسيين » .

الفصل الخامس

الوفود الثلاثة

يتضح من هذه الوثيقة ، ان ثلاثة رسل وصلوا في كانون الثاني سنة ٥٢٤ الى مدينة الحيرة لزيارة عاهلها المنذر اللخمي . الاول ، اوفده القيصر يوسطينوس والقديس مار سرجيس اسقف الرصافة . والثاني ، بعثه الملك الحميري المسيحي الذي كان قد نصبه الاحباش . والثالث ، سيره الملك اليهودي الذي اغتصب عرش الحميريين . فالاول كان قسيساً ملكياً ، جاء ليعقد صلحاً ما بين عرب بلاد الفرس والروم . والغريب فيه ، انه كان موفداً من ضدين لا يجتمعان على صعيد واحد ، وهما يوسطينوس وسرجيس الرصافي . والاغرب ان يتوجه رأساً الى مار شمعون الارشمي ، فيأخذه هذا بدوره الى المنذر . والظاهر ان يوسطينوس حين رأى عرب بلاد الفرس يشنون غارات متلاحقة على بلاده ، بل يعيثون فيها قتلا ونهباً وسبياً[1] ، فيما ان عرب بلاده لا يحركون ساكناً ، من جراء اضطهاده لرؤساء بيعتهم ، فكر في ايقاف رحي الاضطهاد فترة من الزمان ، واظهار وحدة الصف لعرب الرصافة وسورية

١) تاريخ الازمان او التاريخ المدني لابن العبري بالسريانية ص٧٨ .

الشمالية الارثوذكسيين ، عله يتمكن بواسطتهم من صد هجمات عرب بلاد الفرس . من هنا ايفاده ذلك الرسول بالاتفاق مع مـار سرجيس الارثوذكسي المومأ اليـه . واذا صحت رواية بعضهم ، ان ابن اخته يوسطيفيان كان قد كتب سـنة ٥٢٠ الى البـابا هورميزدا الروماني ، مقترحاً استعمال اللطف مع الارثوذكسـيين « كي يتم الشفاء بدون تفتح جروح جديدة »[١] ، يكون يوسطينيان نفسه قد وجه يوسطينوس هذا التوجيه الصحيح . ويتضح من قول الارشمي عن هذا الرسول : « اننا نشكره ويشاركنا في هذا جميع المؤمنين ، لانه عضد جانبنا نحن الارثوذكسيين في كل شيء » انه دافع في الحيرة عن موقفنا الراهن نحن الارثوذكسيين من العقيدة المسيحية فاضحاً موقف النساطرة منها ، الامر الذي استوجب شكر الارشمي وجميع الارثوذكسيين .

اما الرسول الثاني ، فلئن اكتنف رسالته غموض كلي ، الا اننا نستطيع ان نتخيل انها كانت لطلب النجدة على اليهود الذين كانوا يحيكون له شتى المؤامرات للاطاحة بملكه . كيف لا وقد كان ساعدهم قد اشتد على اثر الاضطهاد الذي اثاره يوسطينوس على الارثوذكسيين كما مر معنا . هذا فضلا عن ان الاحباش لم يكن في استطاعتهم انجاده وقتئذ من جراء الشتاء ، كما ينجلي من رسالة المضطهد اليهودي نفسه .

واما رسالة رسول المضطهد المغتصب ، فكانت هي الاخرى ـ على الارجح ـ لطلب النجدة على الحبشة الذين كان يستثقل ظلمهم ، كما فعل الزعيم سيف ذو يزن في النصف الثاني من هذا القرن ، فاستنجد كسرى على اخراجهم من اليمن ، قادماً اولاً الحيرة على النعمان بن المنذر ، وهو عامل كسرى على الحيرة يومذاك[٢] .

الفصل السادس

عقيدة نصارى الحيرة في عهد الارشمي

لقد مر معنا ان المذهب النسطوري اخـذ يذر قرنه في البلاد الفارسية منذ سنة ٤٨٠ . بيد انه لم يكن قد بلغ حيرة النعمان لما نهض مار شمعون الارشمي بعد

١) الروم ، للدكتور اسد رستم ج١ ص١٦٧ .
٢) تاريخ الطبري مج٢ ص١١٥ و١١٦ .

بضع سنوات لعمله الرسولي . فتمكن بتردده اليها من تثبيت مسيحييها في الايمان القويم ، ومن تنصير بعض الاشراف من اهلها الوثنيين ، وانشاء بيعة لهم فيها[1] . وفي سنة ٥٠٢ عين قباد الفارسي في حيرة النعمان ، ابا عفر حاكما عسكريا ؛ خلفاً للملك النعمان الثاني (٤٩٩ — ٥٠٢) ؛ وهو الذي يدعوه ابو الفداء وحمزة الاصفهاني وغيرهما : ابا عفر علقمة ، وكان من اشراف اللخميين واحد ابناء اسرة بني ذميل النصرانية ؛ وقد تولى سياسة الدولة ثلاث سنوات[2] . فرغب ابو عفر في الاتصال بمار فيلوكسينوس المنبجي ؛ فكتب اليه رسالتين ؛ مستفهما في الاولى عما اقره الملافنة القديسون في الكنيسة ببلاد الروم ؛ وفي الثانية عن شيعة اشعيا الناسك . فأجابه بالتفصيل عن المجامع التي عقدها الآباء القديسون في الكنيسة من حين لآخر قضوا بها على المراطقة والهرطقات ؛ بدءاً من سابيليوس حتى نسطور واوطيخا ، موجهاً طعناً لاذعاً الى المجمع الخلقيدوني والنساطرة بنوع خاص . وقد استهلها بالعبارات التالية : « الى الشريف النقي والمحب الله كابراهيم ؛ الذي يصدق بماله على الفقير كايوب ؛ الذي يخلص الخراف المبتاعة بدم المسيح من هرطقة النساطرة ؛ التي هي ايزابل الثانية ؛ كعوبديا ؛ ابي عفر الحاكم العسكري في حيرة النعمان ، تحيات كثيرة بالاله يسوع المسيح ، من فيلوكسينوس اسقف منبج »[3] .

وبعد سنة ٥١٢ كتب بطريركنا مار سويريوس الكبير رسالة في سر التثليث والتوحيد ؛ الى القسوس ورؤساء الاديار يوناثان وصموئيل ويوحنا العموديين ، والى سائر الارثوذكسيين في كنيسة مدينة الانبار (قاعدة اللخميين قبل الحيرة) وكنيسة حيرة النعمان ؛ فيها يشرح لهم اعتقاد الكنيسة بسر التثليث والتوحيد ؛ ويقول : « ان الآب والد والابن مولود من الآب والروح القدس منبثق من الآب ازلياً من دون تبلبل او تشويش ؛ وان الآب هو اصل الابن والروح ازلياً . اما ماهية عدم ولادة الآب ؛ وماهية ولادة الابن وانبثاق الروح القدس ؛ فلا يدركها الا الآب الوالد والابن المولود والروح الذي من الآب ينبثق . واما نحن فعلينا ان نعترف باله

---

١) سير النساك الشرقيين للافسسي مج١ ص١٣٧ — ١٥٨ .

٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للاب لويس شيخو ص٨٨ .

٣) نقلها القس الفونس منغانة الى الانكليزية ونشرها مع الجزء الاخير منها بالسريانية في كتابه الانكليزي الموسوم ب « باكورة النصرانية في آسيا الوسطى والشرق الاقصى ص٥٨ — ٧٣ و٧٧ — ٨٠ .

واحد في ثلاثة اقانيم ذات جوهر واحد والوهة واحدة بدون تبلبل »[1] .

وفي سنة ٥١٤ ملك على الحيرة المنذر بن زقيقة وكان وثنياً . وفي كانون الثاني سنة ٥٢٤ تسلم رسالة من مسروق اليهودي مضطهد المسيحيين الحميريين ؛ يحرضه فيها على ان لا يدع مسيحياً في قومه الا وقد كفر وصار من دينه ، ويوصيه خيراً برعاياه من اليهود . وقد حملها اليه وفد رسمي . وكان ذلك بحضور الارشمي والقس ابراهيم بن اوفروس رسول القيصر يوسطينوس والقديس سرجيس اسقف الرصافة الى المنذر . فاستدعى المنذر ضباطه وجيشه واشراف المسيحيين الحيريين رعاياه وتلا الرسالة على مسامعهم ؛ عارضاً عليهم الكفر بالمسيح قائلاً : « انظروا ها ان المسيح قد طرد من الحميريين والفرس والروم ، اما انتم فلا ترضون ان تتخلوا عنه . فانا لست خيراً من ملكي الفرس والروم اللذين طردا المسيحيين ونفياهم ، ولا من ملك الحميريين الذي فتك بهم وافناهم في بلاده » . فتصدى له ضابط مسيحي شريف وقال : اننا لم نتنصر في عهدك لنكفر بالمسيح . فسكت عنه المنذر ، اولاً : من اجل عشيرته . ثانياً : لانه كان شريفاً ومعروفاً وشجاعاً في الحرب[2] .

ان قول المنذر هذا لضباطه وجيشه ولاشراف رعاياه الحيريين ، يعني به من جهة الاضطهادات التي اثارها علينا نحن الارثوذكسيين ؛ فيروز الفارسي سنة ٤٨٠ لصالح النساطرة ، ويوسطينوس الاول سنة ٥١٨ لصالح الروم الخليقدونيين ، ومسروق سنة ٥٢٣ لصالح اليهود . ويشير من جهة اخرى ، الى ان الحيرة كانت مستقلة آنذاك في هذه الامور عن الفرس والروم والحميريين جملة . وبما ان المنذر دعا الحيريين الى الكفر بالمسيح الذي طرد من بلاد الفرس والروم والحميريين على حد تعبيره ، والا فتك بهم اسوة بملوك تلك البلاد . وبما ان اولئك الملوك انما اثاروا اضطهاداتهم ضدنا نحن الارثوذكسيين ، فينتج اذن ان اهل الحيرة ايضاً كانوا كلهم ارثوذكسيين منا يومذاك . كيف لا وان وفادة رسول القيصر يوسطينوس والقديس سرجيس اسقف الرصافة الى المنذر في كانون الثاني سنة ٥٢٤ ، واجتماعه في الحيرة الى الارشمي وحده كما مر معنا ، برهنت على عدم وجود غيرنا في مدينة الحيرة آنذاك .

---

١) مجموعة بروكس مج١ ص٢١٦ ـ ٢١٨ .
٢) راجع الرسالة الاولى للارشمي (الوثيقة الاولى هنا ص٤٢ .)

الباب الرابع

الوثيقة الثانية ـ دراسة وتحليل

الفصل الاول

صحة نسبتها الى الارشمي

من الادلة القاطعة على ذلك :

اولاً ـ لولا انها للارشمي لما دمجها جامع قصة الطوباويين الحميريين في رسالته الاولى (الوثيقة الاولى) .

ثانياً ـ ان كاتبها يسميها رسالة . فعند ذكره شهادة القسوس والشمامسة وبقية الاكليروس يقول : « الذين سنكتب بعضاً من اسمائهم في ختام رسالتنا هذه » . وبعد انتهائه من سرد الاحداث يقول : « وهذا النزر اليسير الذي كتبناه الى محبتكم هو مما نقله لنا الاشراف المؤمنون الذين وفدوا من نجران . ومن الرسائل التي تليت امامنا وهي باللغة النجرانية ، والتي من كثرتها ، لم نتمكن من كتابتها كلها لضعف بصرنا . اقول الحق لقداستكم ، انني حين اطيل الكتابة يتشوش بصري حتى يبدو لي كل شيء اثنين بدلاً من واحد . هذا فضلاً عن ان الشيخوخة ترعش اليدين اذا ما اطالتنا قليلا في الكتابة ، لذلك اهملنا كتابتها كلها » .

ثالثاً ـ انه يقارن ما بينها وبين الرسالة الاولى . فيقول مثلا عن الشريف الحارث بن كعب : وهنا زاد الذين وفدوا من نجران ، الامور التالية التي لم تكتب في رسالتنا الاولى اليكم ، في خبر الحارث بن كنب (كعب) » . وفي الختام يقول : نلتمس من محبتكم ان تنقل هذه الامور الى بلاد المؤمنين (الارثوذكسين) والى الاديار المقدسة التي ذكرنا اسماءها في رسالتنا الاولى ، وبنوع خاص الى الاسقف

القديس مـار بطرس متروبوليت افامية ، ومار توما اسـقف جرمانيقي (مرعش) اللذين سهونا عن كتابة اسميهما في رسالتنا الاولى . امـا الآن فنلتمس بمحبة ربنا ان تنقل لطهرهما هذه والاولى ايضاً ، فيرضيا ان يغفرا لنا هذه الزلة بواسطة فضيلتكم ».

من هنا كانت هذه الوثيقة للارشمي ، أتم بها واصلح ما اورده من الاحداث المشوهة في رسالته الاولى ، وذلك اسـتناداً الى مـا نقله له شفويا بعض الاشراف النجرانيين المؤمنين في زيارتهم اياه في تلك الايام ، وما حملوه اليه كتابة باللغة النجرانية .

الفصل الثاني

تصحيحها بعض اخطاء الوثيقة الاولى

من جملة الاخطاء التي اصلحها الارشمي في هذه الوثيقة ، قوله عن الشـهيدة الشريفة رومي بنت ازمع ، انها « روهوم من عشيرة جو » ، « ونسيبة » الشريف الحارث ، اي لا « زوجته » كما وردت في الاولى ، وانها هي وحدها من السيدات الشهيدات ، كفنت ودفنت ، وذلك اعترافاً بأياديهـا البيضاء على الكل ، وبنـاء على التماس العظماء من اليهودي المضطهد ، وذكره اسم ابنتها امّة التي استشهدت معها ، وقولها عن حفيدتها التي سماها ابنتها في الاولى : « هنـــا ايضاً زاد الاشراف الذين وفدوا الآن من نجران قائلين : ان هذه الفتـاة التي اهانت الملك ، لم تكن ابنـة الطوباوية روهوم بل ابنة ابنتها ، وقد سموها روهوم باسم جدتها ، وان امها قتلت مع السيدات اللواتي قتلن قبل يوم » . وعن الاحباش ، انهم كانوا في ظفار عاصمة الحميريين ، في الكنيسة التي انشأوها ثم ، وان اليهودي قتلهم على بكرة ابيهم وكانوا خمسمئة ما بين اكليريكي وعلماني ، وانه احرق كنيستهم ، في حين انه ذكر عددهم في الاولى مئتين وثمانين فقط ، وقال ان اليهودي جعل كنيستهم مجمعاً لهم . وعن الاشراف الذين خرجوا الى اليهودي من نجران ، انهم كانوا ثلاثمئة في اليوم الاول ثم الفـاً في اليوم التـالي ، بدلاً من قوله ثلاثمئة واربعين في الاولى ، وعن الذين احترقوا في كنيسة نجران ، انهم كانوا الفين ما بين اكليريكي وعلماني . عدا الاشراف المذكورين وعشرات الآخرين ، ومئات السيدات الشريفات والاماء والاطفال .

وعن الشريف الحارث ، انه دفن هو ايضاً ، عند سور المدينة ازاء قصره ، اجابة الى ملتمس العظماء . وعن فتح نجران ، ان اليهودي قبل تطويقه نجران بمئة وعشرين الفاً من الجند ، كان قد سيّر اليها قواده الثلاثة على رأس جحافلهم ، غير انهم باؤوا بالفشل الزري ، اذ بارزهم النجرانيون بعدد ضئيل ، وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً . ولما اعادوا الكرة لم يكونوا احسن حظاً من الاولى . وفي قصة الطفل في الثالثة من عمره ، كان قد ذكر في الاولى ان امه الشهيدة « حزوا رأسها » . اما هنا فقال : « استناداً الى الرسائل النجرانية التي كان يحملها جندلة خال هذا الطفل » ، « ان يهوديا قبض عليها بيدها وادارها وراءها والقى بها بين النساء اللواتي كن ثمة واقفات للاستجواب ، ثم ضربها بكعب الرمح على صدرها بين ثدييها ، فسقطت على الارض جثة هامدة » .

الفصل الثالث

اثباتها عروبة بلاد حمير

ارتأى بعض المؤرخين المعاصرين لنا ، ان الحميريين كانوا احباشاً . بيد ان الوثيقة التي بين ايدينا اثبتت كونهم عربا . ومن ابرز ما ورد فيها من هذا القبيل ، ثلاثة امور . الاول : اسماء الشهداء والمؤمنين الحميريين . والثاني : لغتهم . والثالث : عدد الاحباش في بلاد حمير . فالاسماء ، معظمها عربية بحتة ، ومنها : الشيخ الحارث بن كعب (كنب) ، الملك معدوكرم ، عبدالله بن ملك ، عربي بن دويل ، ملك بن معاوية من عشيرة يقبول ، موسى بن مازن ، معاوية بن احوية ، قيوس بن سلمان ، وجندلة . والسيدات : روهوم بنت ازمع من عشيرة جو وابنتها أُمّة ، مانحة امة الحارث ، تهنة ، حذية ، حبصة (بنت حيان) وحية بنت ملك . اما لغتهم ، فهي الحميرية ومن اللغات السامية . وقد سماها الارشمي « النجرانية » . ونستنتج من كلمتين وردتا في هذه الوثيقة وفي رفيقتيها ، بلفظها العربي ، ان اللغة النجرانية المشار اليها ، هي العربية بالذات . والكلمتان هما « وادي وخندق » . فالاولى وردت في الوثيقتين الاوليين الى جانب ترجمتها السريانية ܢܚܠܐ . والثانية

وردت في الوثيقة الثالثة . والارجح انها كانت تكتب يومذاك بالقلم السرياني بدلاً من قلمها الخاص المعروف بالمسند كما اسلفنا . فلو كان الحميريون احباشاً لكانت لغتهم ايضاً حبشية ، ولما سماها الارشمي «اللغة النجرانية» . وتأييداً لهذا نقول : انه جاء في الوثيقة الثالثة قول الكاتب : « ولما رأى المسيحيون الحميريون ان الحميريين يقتلون ولا يستطيعون ان يقولوا للاحباش انهم مسيحيون لجهلهم لغتهم الخ » ، الامر الذي يؤكد ان الحميريين لم يكونوا احباشاً والا لعرفوا لغتهم . واما عدد الاحباش في بلاد حمير ، فكان خمسمئة شخص فقط ما بين اكليريكي وعلماني ، وكانوا يقطنون مدينة ظفار لحراسة الملك المسيحي الذي كان قد نصبه الاحباش فيها بعد حملتهم الاولى على بلاد حمير . وقد وعد المضطهد اليهودي بان يرسلهم احياء الى ملكهم ، ولكنه نكث وعده وفتك بهم جميعاً ، فتسنى له من ثم ان يقول في رسالته الى المنذر اللخمي : « فاستطعت اولاً ان اخدع واقبض على جميع الاحباش الذين تركوا في بلدنا » كما اثبتت الوثيقة الاولى . على ان البلاد الحميرية عرفت عبر التاريخ ببلاد الحبشة ايضاً كما مر معنا .

الفصل الرابع

الحملة الحبشية الاولى على بلاد حمير

ان الحملة الحبشية الاولى الآنفة الذكر على بلاد حمير ، كانت على الارجح سنة ٥١٩ كما يتضح مما يلي :

اذا كان مار بولس اسقف نجران الاول قد استشهد قبل هذه الحملة فخلفه مار توما اسقفاً ثانياً لنجران ، واذا كانا كلاهما قد اقتبلا رسامتهما من مار فيلوكسينوس المنبجي الشهير ، أي الواحد تلو الآخر ، كما اثبتت هذه الوثيقة ، واذا كان مار فيلوكسينوس قد رسم الثاني قبيل نفيه الذي تم في خريف سنة ٥١٨ ، واذا كان هذا الثاني أي مار توما هو الذي شخص الى الحبشة يستنجد ملكها على اليهود « لانهم يضطهدون المسيحيين في بلاد حمير » كما تخبرنا الوثيقة الثالثة ، واذا صح ما ورد في

قصة الحارث اليونانيـة ، ان الاسـقف بولس كان قد قضى قبل اضطهاد مسروق بسنتين[1] ، وجب والحالة هذه ان تكون هذه الحملة قد جُرّدت سنة ٥١٩ لا ٥٢٣ كما وهم الدكتور اسد رستم[2] .

وقبيل هذه الحملة كتب مار يعقوب السروجي (+٥٢١)ومار فيلوكسينوس المنبجي (+٥٢٣) رسـالتيهما الشـهيرتين الى الحميريين ، يشجـعانهم في بلواهم ، ليستمسكوا من الدين المبين بالعروة الوثقى . ثم خرج الاحبـاش ودوخوا البلاد وقبضوا على مسروق اليهودي الذي نجا من الموت بواسطة جحشون الآنف الذكر ، ونصبوا ملكاً مسـيحياً في ظفـار ثم عـادوا الى بلادهم ، تاركين لحراسته الحامية الحبشية المشار اليها .

واما قول الارشمي عن المضطهد اليهودي واعوانه ، انهم « حاربوا الاحباش الذين كانوا في ظفار ، في الكنيسة التي انشأها ثم الاحباش » فيتفق وقول المضطهد نفسه في رسالته المشار اليها « الاحباش الذين ... كانوا يحرسون الكنيسة التي ظنوا انهم بنوها في بلدنا » . ولكنه يتعارض وقول بعض المؤرخين نقلا عن فيلوسترجيوس الآنف الذكر ، بان الوفد الذي بعثه القيصر قسطنطيوس برئاسة تاوفيلس السيلاني الهندي الى البلاط الحميري نحو سنة ٣٥٤ بنى ثلاث بيع احداها في ظفار . فاما ان تكون في ظفار بيعتان ، انشأ الاولى وفد القيصر قسطنطيوس للمسيحيين الحميريين . وانشأ الثانية الاحباش وللاحباش فقط ، او ان تكون الاولى قد تهدمت فجددها الاحباش .

الفصل الخامس

معارك سابقة بين اليهود والنصارى الحميريين

يقول الارشمي : « ان الملك ارسـل يهوداً ووثنيين وقبضوا على المسـيحيين الذين في نجران ليروهم عظام الشهداء » ، مما يدل على ان هؤلاء الشـهداء كانوا قد

١) راجع مقدمة ناشر كتاب الحميريين السرياني (الوثيقة الثالثة) بالانكليزية .

٢) الروم ج١ ص١٦٨ .

تكللوا قبل هذا الاضطهاد . ويؤيد بالتالي ما ذكره مؤرخو العرب كالطبري وابن هشام في سيرة الرسول ، من ان النصرانية واليهودية اخذتا في التنافس والمخاصمة في تلك البلاد منذ اواسط القرن الثالث . وما شهيدنا مار بولس اسقف نجران الاول سوى ضحية ذلك ، اذ تنمر له يهود طبرية ورجموه بالحجارة في ظفار كما مر معنا . وقد اكد هذا ، الشريف الحارث بن كعب بقوله لليهودي المضطهد : « لا يحمل ظهري اثراً للسهم او للرمح او للسيف ، بل انما ذلك في صدري ، لانني لم اعط في الحرب ظهراً كهارب ، وقد انتصرت بقوة المسيح في حروب كثيرة . بل انا قتلت في الحرب اخا الجالس الآن عن يمينك وهو ابن عمك » . وفي الوثيقة الثالثة نرى قول الشهيدة النجرانية حبصة بنت حيان للمضطهد اليهودي ، ان اباها حيان الصغير كان قد احرق مجمع اليهود (في نجران) . فلا بدع والحالة هذه اذا ما استشهد كثيرون من المؤمنين في سبيل الدين المبين . ولذلك طلبوا من المسيحين ليروهم عظام الشهداء ، وبنوع خاص ، عظام مار بولس ، ليصبوا عليها جامات نقمتهم باحراقهم اياها .

الفصل السادس

ارثوذكسية نصارى حمير

لقد كشفت هذه الوثيقة القناع عن وجه حقيقة لطالما اكتنفها الغموض دهراً طويلاً . وهذه الحقيقة هي ان القديس مار اخسنويو المدعو فيلوكسينوس اسقف منبج ، هو الذي رسم مار بولس ومار توما اول وثاني اساقفة نجران . ومار فيلوكسينوس المنبجي هو من عرفت احد ابطال الارثوذكسية المغاوير ، الذي نفاه في سبيل الايمان القويم ، القيصر يوسطينوس الاول الخلقيدوني في خريف سنة ٥١٨ الى غنغرا في بفلاغونية ، حيث قضى معترفاً خنقاً بالدخان سنة ٥٢٣ . ورسامته اسقفي نجران المذكورين لمن اسطع الادلة على ارثوذكسية مؤمني نجران بل نصارى بلاد حمير قاطبة كما اسلفنا . وقد اكمل جهاد مار فيلوكسينوس هذا في بلاد حمير ،

مار يوحنا التلي الآنف الذكر برسامته القديس مار ايليا قسيساً لحضرموت . وكان هذا قد تهذب في دير مار ابراهيم في تلا كما اثبتت هذه الوثيقة .

الفصل السابع
ارثوذكسية الارشمي

لقد زودنا الارشمي في هذه الوثيقة القيمة ، ببراهين دامغة على ارثوذكسيته ومنها التالية :

اولاً — اطلاقه لقب « القديس » على كل من مار فيلوكسينوس المنبجي ، مار بطرس متروبوليت افامية ومار توما اسقف جرمانيقي (مرعش) الذين نفاهم يوسطينوس الاول في سبيل الايمان الارثوذكسي ، في الاضطهاد الذي اثاره على الكنيسة في خريف سنة ٥١٨ .

ثانياً — تبادله والاحباش رسائل الايمان .

ثالثاً — تقديمه باسم النصارى الحميريين معروضاً الى اوبروبيوس اسقف الاحباش والى كالب ملكهم الارثوذكسي .

رابعاً — كتابته هذه الوثيقة من حيرة جبلة ملك الغساسنة الارثوذكسيين .

ومن البراهين على ارثوذكسية الارشمي ما يلي :

اولاً — اطلاقه لقب (القديس) على مار سرجيس اسقف الرصافة كما في الوثيقة الاولى .

ثانياً — التماسه من شمعون رئيس دير الجبول في الوثيقة الاولى ، ان تنقل هذه الامور بالسرعة الممكنة وبدون اهمال ، (الى الاساقفة القديسين الهاربين مع

المسيح الى مصر) . وهو يعني بهم القديس سويريوس الانطاكي وصحبه الذين اضطهدهم يوسطينوس الغاشم سنة ٥١٨ .

ثالثاً — تحديه لاساقفة الروم الخلقيدونيين في الوثيقة الاولى .

رابعاً — صلاته الى الله في مقدمة الوثيقة الثالثة (لكي ببحر نعمته يؤمن بيعته في كل الاقطار ، ويقرب بعيدها برحمته ، ويجمع مشتتيها بتحننه ، ويرد رعاتها بنعمته ؛ ويجمع قطعانها الروحيين داخلها بلطفه) . وهو يشير الى اضطهاد يوسطينوس الذي شتت الرعاة والرعية معاً .

خامساً — اجتماع مار يوحنا الافسسي اليه مراراً في القسطنطينية ، حيث حادثه ملياً وفهم منه الامور التي جرت في بلاد حمير ، واحوال الكنيسة الارثوذكسية في بلاد فارس ، وكتب سيرته مكبراً جهاده العنيد في سبيل الارثوذكسية وذوده عن حياضها[1] . والافسسي سرياني ارثوذكسي ذاق الامرين من الخلقيدونيين في سبيل الايمان .

ومع ان ارثوذكسية الارشمي لا غبار عليها ، فقد تجنى عليه السمعاني الماروني ونسبه الى الكثلكة كعادته في نشل عدد من ملافنة السريان وقديسيهم . قال المطران يوسف الدبس الماروني في تاريخ سوريا : « وكان (شمعون) مناضلا باسلًا عن الايمان الكاثوليكي ... على انه اضطر ان يقبل منشور الملك زينون المعروف بهنوتيكون اي مرسوم الاتحاد ، فعابه بعضهم بالجنوح الى بدعة اوطيخا لكن السمعاني برأ ساحته من الزيغان عن الايمان القويم بأدلة قاطعة ، ولا سيما لان المنشور المذكور لم يحوِ ضلالا بيّنا . وجل ما فيه الصمت عن ذكر المجمع الخلكيدوني ورسالة القديس لاون البابا . وكان افلابيانس بطريرك انطاكية وايليا بطريرك اورشليم قد قبلاه ايضاً »[2] .

قلنا : ان مار شمعون رسمه اساقفة ارثوذكسيون في بلاد فارس اسقفاً لبيت

---

١) سير النساك الشرقيين مج١ ص١٢٧ — ١٥٨ .

٢) تاريخ سوريا مج٤ ص٥٠٠ .

ارشم قبيل سنة ٥٠٣ لا سنة ٥١٠ كما ذكر هو[1] ، لقاء جهاده العنيد في سبيل الارثوذكسية . فكيف يكون مناضلاً باسلاً عن الايمان الكاثوليكي (أي الخلقيدوني) واعداء المجمع الخلقيدوني يرسمونه اسقفاً ؟ ولكنه ما عتم ان نقض قوله هذا بقوله : « انه قبل هنوتيكون زينون » أي انه كان ارثوذكسياً منا . ذلك ان الهنوتيكون المشار اليه كان نقضاً للمجمع الخلقيدوني ليس الا[2] . ومن الغريب قوله « انه اضطر ان يقبل الهنوتيكون » !! من اضطره يا ترى الى قبوله ؟ ألم يكن فارسياً وكان عمله في بلاد فارس ؟ فكيف اذن استطاع قيصر الروم ان يضطره الى ذلك وهو في مملكة غير مملكته ؟ والاغرب قوله : « فعابه بعضهم بالجنوح الى بدعة اوطيخا لقبوله الهنوتيكون » . ألم يحرم الهنوتيكون بدعة اوطيخا نفسها ، فكيف اذن يجنح اليها من يقبله ؟ بل كيف يكون اوطيخيا من يقبله ، وهو لم يحو ضلالا بيّنا على حد تعبيره ؟ واذا كان الهنوتيكون في نظره لا يحوي ضلالا بيّنا ، فلم لم تقبله الكنيسة الرومانية ؟ ألم يتراشق الحروم بسببه البطريرك اقاق القسطنطيني وفيلكس الثالث الروماني (٤٨٣ ـ ٤٩٢) ؟ اما فلابيانس الانطاكي المتذبذب فعاد واستنكره بعد قبوله اياه . واما قوله : « وجل ما فيه الصمت عن ذكر المجمع الخلكيدوني ورسالة القديس لاون البابا ، فمردود . ذلك ان الهنوطيقون قبل المجامع المسكونية الثلاثة فقط . اما صمته عن الخلكيدوني (الرابع) ورسالة لاون ، فدليل على نبذه اياهما ، لانهما سببا انشقاق الكنيسة المسيحية[3] . فالارشمي اذن ارثوذكسي لا غش فيه .

١) فيه ص٤٩٩ .

٢) الروم للدكتور اسد رستم ج١ ص١٣٣ .

٣) راجع مؤلفنا تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج٢ ص٢٤١ و٢٤٢ و٢٨٤ ـ ٢٨٧ و٢٩٢ و٣٠٧ .

الباب الخامس

الوثيقة الثالثة ـ دراسة وتحليل

الفصل الاول

كلمة مجملة عن الوثيقة

هي سفر نفيس عنوانه « كتاب الحميريين » . نشره بالطبع مع ترجمته الانكليزية سنة ١٩٢٤ في مدينة ليبسيك ، مستشرق سويدي لامع اسمه آكسل موبرغ عن مخطوطة قديمة تخص صاحبي المكتبة السويدية السيد والسيدة وين E. G. Wiren السويديين من ستاكسند ، انجز نساختها بخطه الجميل ، القس اسطيفان بن متى ، في هيكل القديس مار توما في بلدة القريتين (حمص) يوم الثلاثاء ١٠ نيسان سنة ١٢٤٣ي (٩٣٢م) . وقد روى الناشر النابه ، ان اوراق هذا الكتاب كانت قد لصقت بعضها ببعض ، وغلفت بالقماش ، وجعلت جلدا لمخطوطة سريانية اخرى مخرومة من اولها وآخرها ، نسخت سنة ١٧٨١ي (١٤٧٠م) ، وحوت مجموعة من الليتورجيات ، آخرها وهي السابعة عشرة لفيلوكسينوس مطران بغداد[1] . ونبذة مجملة من رد القديس طيمثاوس الثاني الاسكندري (+٤٧٧) على المجمع الخلقيدوني . ففكك الجلد وعالج اوراقه بعناية فائقة . وجمع منها بقايا هذا الكتاب وهي ٥٩ صفحة ، ما بين كاملة ونصف كاملة وناقصة جداً .

اما الكتاب فقد طواه مؤلفه النحرير على مقدمة وتسعة واربعين فصلاً ، جاءت في اكثر من مئة صفحة . وذكر انه يبغي تسجيل وثيقة تاريخية صادقة عن الاحداث التي وقعت في بلاد الحميريين منذ عدة قرون حتى شهادة اولئك المظفرين

---

١) هو المعروف ب لعازر ابن العجوز (سبتا) الذي كان مطرانا لبغداد حتى سنة ٨٢٩ (راجع اللؤلؤ المنثور ص٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

التي تمت هناك . ومن طالع عناوين فصول هذا الكتاب ، ادرك ولا شك ان المؤلف الحصيف برّ بوعده هذا . ذلك انه تحدث اولاً عن اليهود وفساد معتقدهم ، وحقق في امر الحميريين ومن اين وقعت لهم اليهودية وكيف نشرت فيهم المسيحية . وذكر حملة الحبشة الاولى على بلادهم قائلًا : انها جُرّدت بناء على شخوص الاسقف توما الى الحبشة واخباره اياهم باضطهاد الحميريين للمسيحيين ، كما ذكر معجزة اظهرها الله في صفوفهم للحميريين . ثم وصف نزوحهم عن بلاد حمير والاضطهاد الذي اثاره في اعقابه مسروق اليهودي الذي تملك هناك ، وذلك بمحاربته اولاً مدينة ظفار وفتحه اياها بوسائل المخاتلة والأيمان الغليظة ، وحنثه بعدئذ في أيمانه وحرقه بيعتها وفتكه بالاحباش الذين فيها ، ثم بمحاربته نجران وفتحه اياها بالوسائل نفسها ، وحرقه كنيستها مع عدد غفير من الاكليروس والعلمانيين فيها ، وبطشه بالكثيرين من الاشراف والشريفات والاماء ، وحرقه كنيسة حضرموت واهلاكه كثيرين من مؤمنيها ومن مؤمني مأرب(١) وهجرين . ودوّن مضمون رسالة انفذها مسروق الى المنذر بن زقيقة ملك حيرة النعمان ضد المسيحيين . وتبسط في وصف حملة الحبشة الثانية على بلاد حمير قائلًا : انها جُرّدت بناء على شخوص الشريف النجراني أُمية الى الحبشة ، ورفعه معروضاً باسم كنيسة بلاد حمير الى اوبروب (اوبروبيوس) اسقف الحبشة والى ملكها المؤمن كالب ، بما فعله مسروق بالمسيحيين . وذكر قدوم الملك كالب والقائد زاونس على رأس الجيش الحبشي ، والخطاب الذي حمس به القائد زاونس جيشه حين بلوغه بلاد الحميريين بحراً ، والنصر الذي احرزوه على مسروق الغاشم وأصحابه اليهود ، وخطاب الملك كالب للجيش بعد ذلك النصر المؤزر ، واطلاقه سبيل المعترفين بالايمان ، والمسيحيين الآخرين ، بعلامة الصليب التي كانوا يسمون بها أيديهم ، وقبوله توبة الذين كانوا قد كفروا ثم ندموا وتابوا . وتحدث اخيراً عن انطلاق الاحباش الى بلادهم ، بعد اقامتهم في بلاد الحميريين زهاء سبعة اشهر ، وتنصيبهم ملكاً مسيحياً فيها تحت ولايتهم ، وانشائهم فيها عدة كنائس ، اقاموا لها كهنة من الذين كانوا قد استصحبوهم اليها .

ومما يؤسف له حقاً ، سقوط اربعة وعشرين فصلا برمتها من النسخة ، وهي

١) وردت مراب .

الفصول الستة الاولى والخامس عشر والرابع والعشرون حتى الحادي والاربعين ، اهمها : الثاني في الحميريين ومن اين وقعت لهم اليهودية ، والثالث في بدء نشر النصرانية في بلاد الحميريين ، والرابع في كيفية رحلة الاسقف تومـا الى الحبشة واخباره اياهم باضطهاد الحميريين للمسيحيين . والخامس في قدوم حيونا والاحباش لاول مرة الى بلاد الحميريين . والسادس في المعجزة التي اظهرها الله للحميريين في صفوف الاحباش . والتاسع عشر في شهادة الحارث وعربي . والخامس والعشرون في مضمون رسالة انفذها مسروق الى المنذر بن زقيقة ملك حيرة النعمان ضد المسيحيين . والسابع والعشرون في نزوح مسروق عن نجران . والتاسع والعشرون حتى الثاني والثلاثين في حرق بيعة حضرموت وجهاد شهدائها وشهداء مدينتي مأرب وهجرين . والتاسع والثلاثون حتى الحادي والاربعين في شخوص الشريف أمية الى الحبشة ، ورفعه معروضاً باسم كنيسة بلاد الحميريين الى اوبروب (اوبروبيوس) أسقف الحبشة والى ملكها المؤمن كالب بما فعله مسروق بالمسيحيين ، وفي قدوم الملك كالب وجنوده لتدويخ بلاد الحميريين .

اما الفصول الباقية فبعضها كامل والبعض الآخر ظلت منه نبذ كبيرة او وسطى او يسيرة ، يتخلل معظمها نقصان كثير او يسير . واما المقدمة فظلت منها نبذة يسيرة .

وقد اخطأ الناشر النبيه في تسبيقه على الفصل التاسع ، النبذة الباقية من الفصل الحادي عشر . كما اخطأ في اقحامه في الفصل السادس عشر خبرين يخصان اما الفصل الثاني عشر او الثالث عشر وهما : خبر شهادة خمسة من القسوس ، لم يبق منه سوى بضع كلمات من اوائل السطور ؛ ورد فيها اسماء كبرئيل وايليا واشعيا واسحق . وخبر اعجوبة ظهرت في مكان استشهاد الطوباويين وهي : ظهور نور ، وانبعاث رائحة ذكية ؛ وتفجر ماء وزيت ؛ وسماع صوت الناقوس والصلاة في جميع أرجاء المدينة كما جرت به العادة .

والجدير بالذكر ؛ ان اليهود في هذه الوثيقة ، كما في الوثيقتين السابقتين ، كانوا هم الفئة الحاكمة والمضطهدة ، اما الوثنيون فكانوا المساعدين لهم على بلوغ

مآربهم الخسيسة . كما ان دعوة المضطهدين للمسيحيين ، انما كانت الى الكفر بالمسيح والصليب والى التهود .

وفي هـذه الوثيقة فقط ذكر اسم الملك اليهودي المضطهد وهو مسروق . وكلما ذُكر ، كتب بالعكس أي مصاوبا ؛ مشفوعاً ببعض الاوصاف التالية : الصالب ، المنافق ، سافك الدم الزكي ، الشيطان المجسم ، عـدو الحق ، القاتل ، الغاشم ، الطاغية ، الصالب ربه ، النجس ، المارد على الله والناس ، الاثيم الخالي من الشفقة ، السفاح ، عـدو العدالة . كما اطلق المؤلف والشهداء انفسهم مثل هذه الاوصاف على اليهود عامة منها : اعداء الله ، النجسون ، المنافقون ، الصالبون ربهم ، اليهودية التي صلبتك ، الحرب مع الصالبين . بل ان مثل هذه الاوصاف ورد في خطاب الملك كالب الحبشي ايضاً ، منها قوله : « لقد قاتل الرب عنا اعداءنا صالبيه » وقوله : « ولو انهم (اليهود) لا يستحقون الرحمة لانهم صلبوا ربهم وقتلوا عبيده ».

اما المؤلف فلم يرد اسمه في بقايا هـذا الكتاب . ولكننا نجزم بانه مـار شمعون الارشمي نفسه ، وذلك استناداً الى بعض مـا ورد في هذه الوثيقة ، واستدلالاً بالوثيقتين السابقتين كما سيأتي .

الفصل الثاني

تاريخهـا ومصادرها

نستنتج من فحوى هذه الوثيقة ، انها وضعت بعد سنة ٥٢٥ بمديدة . أي بعيد حملة الاحباش الثانية التي جردت في هذه السنة على بلاد الحميريين ، واثر استتباب الامن واستقرار الاوضاع في تلك البلاد ، كما يتضح من قول مؤلفها : « هؤلاء المظفرون الذين استشهدوا الآن » . على ان بعض ما تضمنته من الاخبار ، وصل الى المؤلف قبل هذه الحملة ، منها خبر شهادة الشريفتين النجرانيتين حبصة بنت حيان وحية (بنت ملك)[1] الذي نقله له افعو احـد المؤمنين الحميريين وصهر الشهيدة

١) اخذنا اسمه من الوثيقة الثانية .

حبصة المشار اليها ، أي آخذ اختها . فقد قال عنه وعن الذين معه « انهم دفنوا الشريفتين ، وعلموا ُعلامة على ضريحيها وعادوا خوفاً من اليهود ، اذ كانوا لا يزالون متسلطين على تلك البلاد . فقد اعطانا افعو بركة من شعر كلتيها . ولما سألناه ان يعطينا من عظامها ايضاً ، قال : اننا خوفاً من اليهود لم نأت بعد بشي منها حتى الى مدينتنا ، بل لم نأخذ شيئاً من عظامها . ذلك ان اليهود كانوا يقتلون كل من يجدونه من المؤمنين حاملا من عظام الشهداء المظفرين » .

اما مصادر هذا الكتاب ، فهي الشهود العدول كقول المؤلف : « اننا علمنا ما وقع في بلاد الحميريين ، على قدر الامكان ، من بعض المؤمنين الحميريين الذين عاينوا عن كثب الاحداث التي نقلوها لنا . وقد علمنا بجملة الحبشة الاولى على بلاد الحميريين ، من رجال صلحاء كانوا معهم . وبجملتهم الثانية ايضاً من اناس فضلاء آخرين كانوا قد صحبوهم الى محاربة الصالبين ، بإذن الله ، وعاينوا بأم عينهم ما نقلوه لنا » . أي ان الحملتين جردتا في زمانه ، وان الذين نقلوا له اخبار الاولى هم غير الذين نقلوا له اخبار الثانية . وعند سرده بعض الاحداث نقلا عن بعض المؤمنين الحميريين يقول : « انهم اثبتوها لنا بالقسم » .

وقد ذكر المؤلف اثنين منهم ، وهما : افعو المؤمن الآنف الذكر وعبدالله[1] المؤمن ابن افعو الوثني . وقال عن الاول : انه مضى الى البرية سراً ، وبحث عن جثماني حبصة وحية ، ودفنهما ، وجاء ببركة من شعرهما كما اسلفنا . وعن الثاني : ان اباه افعو كان يومذاك وثنياً واحد العظماء الذين حول الملك اليهودي ، فاستغل (عبدالله) مركزه واستأذن الملك في دفن الشهداء . وقد كتب له هو والذين معه من ذاكرتهم ، اسماء بعض الشهداء فدونها في هذه الوثيقة .

وبما ان الذين نقلوا للمؤلف هذه الاخبار كانوا اكثر من واحد ، فلا يستبعد ان تكون انطباعات الواحد عنها قد تضاربت مع انطباعات الآخر قبل وصولها الى المؤلف . كيف لا وقد كان كل شيء مثيراً للشجون والعواطف ، فليس من

---

١) هذا اسمه في النصرانية . والارجح انه كان عبدايل او عبداللات في الوثنية

الغريب اذن ان يكون الواحد قد رأى ما لم يره الآخر . ومع هذا فقد اجمعوا كلهم على وقوع الاحداث ، وعلى ما كانت ترمي اليه من الاهداف .

الفصل الثالث

مؤلفها

لقد سبق لنا ان قلنا ، ان اسم المؤلف لم يرد في بقايا هذا الكتاب ، وجزمنا بالرغم من ذلك بانه مار شمعون الارشمي نفسه ، وذلك استناداً الى بقايا هذا الكتاب بالذات ، منها الامور التالية :

اولاً – ان اسلوب المؤلف في هذا الكتاب ، لا يختلف قيد شعرة عن اسلوب كاتب الوثيقتين الاولين ، ولا سيما في استناده الى روايات بعض المؤمنين الموثوق بهم ، وفي قوله : لقد نقل لنا فلان كذا وكذا . فلو عارضنا بعض التعابير بل الالفاظ الواردة فيه بما جاء من هذا القبيل في الوثيقتين الاولين ، لوجدناها طبق الاصل .

ثانياً – ورد في النبذ الباقية من الفصول السابع والثامن والتاسع والعاشر ، أن الملك الغاشم عند تطويقه مدينة ظفار ، بعث الى الاحباش الذين فيها ، بكتاب اشتمل على اغلظ الايمان بادوناي وتابوت العهد والتوراة ، بانه لن ينالهم اذى اذا هم خرجوا اليه تلقائياً وسلموا المدينة ، بل سيرسلهم احياء الى بلدهم وملكهم . وحمل الكتاب كهنة يهودا من طبرية واثنين من المسيحيين اسماً . فوثق الاحباش بأيمانه وخرج اليه ثلاثمئة منهم مع أبا بوت ببساطتهم . فحنث الملك في أيمانه وفتك بهم ثم دخل ظفار وحرق كنيستها والاحباش الباقين فيها . ثم اوفد رسلا صحبة كهنة اليهود الى البلاد الخاضعة لسلطانه لقتل المسيحيين حيثما وُجدوا اللهم الا اذا كفروا بالمسيح وتهودوا . وامر بان يُحرق هو وبيته كل من يخفي مسيحياً وان يصادر ماله . ثم ارسل قواده الثلاثة على رأس جنودهم لمحاصرة نجران . فناوشهم النجرانيون القتال وقتلوا منهم عدداً وافراً . ولما لم يقووا عليهم جاء الملك بجيش عظيم وحاربهم . واذ

باء هو الآخر بالفشل الذريع ، بعث الى النجرانيين برسالة اشتملت على أيمانه الغليظة بالاله العظيم وبناموس موسى بانه لن ينالهم اذى اذا هم خرجوا اليه من المدينة تلقائياً . وعقب ذلك فتح المدينة وحنث الملك في أيمانه وبطشه بهم وحرقه كنيستهم مع عدد وفير من الاكليروس والعلمانيين . كل ذلك وارد في الوثيقة الثالثة بنصه وفصه .

ثالثاً – ورد في هذه الوثيقة ، ان الملك قال لاشراف نجران ، ان يسمعوا لاقواله ويكفروا بيسوع المسيح ابن مريم ، لانه انسان ومائت كسائر الناس ، وان يبصقوا في الصليب ويتهودوا ليحيوا . لانهم يسجدون لشخص مائت ، ادعى انه ابن الله الرحمن ، بينما هو انسان بحت . وها ان تعليمه المضل قد افتضح الآن ، فأدركت كل البلاد انه انسان بحت لا اله ، ولا سيما بلد الروم الذين كانوا اول من أغوي به . فأجابوه : اننا نعترف به بانه الاله وابن الاله حقاً . وهو ما ورد في الوثيقة الاولى خاصة بنصه وفصه .

رابعاً – ورد في هذه الوثيقة في عنوان الفصل الخامس عشر المبتور ، خبر شهادة الشريفة تهنة وابنتها الصغيرة أُمّة وابنتها حذية حرقاً بالنار . ومع ان الفصل كله مبتور ، فبامكاننا ان نجزم بانه كان قد تضمن نفس ما تضمنته الوثيقة الثانية عن شهادة هؤلاء الطوباويات ، بالنار في الكنيسة . وفي الفصل السادس عشر ورد خبر شهادة ابنة تهنة الاخرى الشابة حذية ، حرقاً بالنار في بيتها . وهو نفس ما ورد عنها في الوثيقة الثانية . وفي هذا الفصل ذكرت باختصار شهادة النذير ابراهيم ، وهو ملك بن معاوية نفسه الذي ذكرت الوثيقة الثانية شهادته بالتفصيل . وفي الفصل السابع عشر ورد خبر شهادة الشماسة اليشبع وقد امحى معظمه . وهي نفس الشماسة اليشبع شقيقة الشهيد مار بولس اسقف نجران الاول ، التي اوردت الوثيقة الثانية خبر شهادتها بالتفصيل . وهذه الوثيقة بالذات ، ذكرت اسماء اربعة رؤساء قسوس احترقوا في بيعة نجران وهم سرجيس الرومي (اي من بلاد الروم) ، كبرئيل النجراني ، ايليا من حيرة النعمان ، وابراهيم الفارسي . فأوردتها هذه الوثيقة ايضاً مضيفة اليها اسم القس موسى كان هو الآخر من حيرة النعمان ، كما ذكرت اثنين من الشمامسة الذين ذكرتهم الوثيقة الثانية وهما : حنانيا الرومي ويونان الحبشي . وفي عنوان الفصل التاسع عشر المبتور ، ورد خبر شهادة الحارث النبيل

وعربي . ويمكننا ان نجزم بان هذا الفصل كان قد تضمن عن الحارث نفس ما تضمنته الوثيقتان الاوليان ، وعن عربي نفس ما تضمنته الوثيقة الثانية .

خامساً – ورد في الفصل العشرين من هذه الوثيقة ، خبر شهادة الشريفات النجرانيات وهو تقريباً نفس ما ورد عنهن في الوثيقة الاولى . وورد في الفصل الحادي والعشرين بالتفصيل خبر شهادة النبيلات حبصة وحية وحية اخرى ، نقلا عن افعو المؤمن النجراني الآنف الذكر . وهو نفس ما تضمنته عن حبصة وحية الوثيقة الثانية بالايجاز ، نقلا عن الذين وفدوا الى الكاتب من نجران . وقد يكون افعو واحداً منهم .

سادساً – ورد في الفصل الثاني والعشرين من هذه الوثيقة ، خبر استشهاد الشريفة روهم بنت ازمع وابنتها أُمّة وحفيدتها روهم . وقد بين المؤلف ان روهم كانت سيدة عظيمة وغنية وجميلة ، ومن عشيرة جو ، ونسيبة للحارث بن كعب ، وان الملك نحاها اولاً عن الشهيدات علها تذعن له ، ثم استدعاها بعد ثلاثة ايام واذاقها حتفها . ثم التمس منه العظماء ان يأذن في دفنها ، اعترافاً بأياديها البيضاء على كل احد ، أي على الملك والعظماء والفقراء جملة ، منهم الملك معدي كرم[1] . الذي كان قبله ، والذي احتاج واستقرض منها اثني عشر الف دينار . واخيراً تركتها له مع رباها اذ رأته قد احتاج . فأمر بدفنها . كل ذلك وارد في الوثيقة الثانية بنصه وفصه . اما ما ورد في هذا الفصل عن كلام هذه الشريفة في الشارع وهي في طريقها الى الشهادة ، وعن بكاء النساء عليها ، وبلوغ صوت عويلهن مسامع الملك ، وعن مثولها امام الملك الذي عرض عليها الكفر بالمسيح والبصاق في الصليب ، وتحمس حفيدتها التي كانت في التاسعة من عمرها وبصاقها في وجه الملك وتوبيخها اياه ، وأمر الملك بالقاء روهم على ظهرها ، وذبح هذه الفتاة وبعدها أمّة ابنة روهم ، وسكب دمها في حنجرتها ، وسؤال الملك لها كيف تذوقت دمها ، وجوابها السديد ، كل ذلك وارد في الوثيقة الاولى بنصه وفصه .

---

١) ذكرته الوثيقة الثانية باسم معدوكرم . وقال ناشر كتاب الحميريين في مقدمته الانكليزية ، انه نحو سنة ٥٠٠م كان ملك سبا وريدان يسمى معديكرب ينعم ابن شرفبيل يعكوف .

سابعاً – كان الفصل الخامس والعشرون من هذه الوثيقة ، قد تضمن رسالة انفذها الملك مسروق الى المنذر بن زقيقة ملك حيرة النعمان ضد المسيحيين كما يدل عنوانه . ومع ان هذا الفصل قد سقط مع غيره من النسخة كما مر معنا ، فاننا نجزم بان الرسالة التي كان قد تضمنها ، هي نفس الرسالة التي تضمنتها الوثيقة الاولى . وكذلك الامر في الفصل التاسع والعشرين الذي كان متضمناً خبر شهداء حضرموت كما يدل عنوانه ، فاننا نجزم بانه نفس ما ورد في الوثيقة الثانية عنهم .

ثامناً – كان الفصل الاربعون من هذه الوثيقة ، قد تضمن معروضاً رفعه الشريف أمية النجراني الى اوبروب اسقف الحبشة والى ملكها كالب باسم كنيسة حمير بما فعله مسروق بالمسيحيين ، كما يدل عنوانه وعنوان الفصل السابق . وبالرغم من سقوط هذين الفصلين من النسخة كما اسلفنا ، فاننا نجزم بان هذا المعروض هو نفس المعروض الذي ذكره الارشمي في الوثيقة الثانية بقوله : « نرسل ايضاً طيها الى قداستكم ... مع صورة المعروض والايمان التي قدمناها نحن الضعفاء الى الاسقف اوبروبيوس اسقف الاحباش والى كالب ملكهم المؤمن ، والتي سبقنا فارسلنا صورة عنها الى طهركم » .

تاسعاً – ورد في النبذة الباقية من مقدمة هذه الوثيقة المبتورة ، دعاء المؤلف الى الله « لكي ببحر نعمته يؤمن كنيسته التي في كل مكان ، ويقرب بعيديها ، ويجمع مشتتيها ، ويرد رعاتها ، ويجمع قطعانها الروحيين داخلها ، ويرأف بكل من صار او يصير مؤمناً » . وهو اشارة الى ما ورد في الوثيقة الاولى عن « الاساقفة القديسين الهاربين مع المسيح الى مصر » ، اعني بهم القديس البطريرك مار سويريوس الانطاكي وصحبه الذين اضطهدهم القيصر البيزنطي يوسطينوس الاول سنة ٥١٨ كما المعنا .

عاشراً – في الفصل الثامن والاربعين من هذه الوثيقة ، وصف الحميريون بانهم « برابرة » اي سكان الصحراء ، وذلك بلسان كالب ملك الحبشة وابروبيوس اسقفها . وهذا ما وصفهم به كاتب الوثيقة الثانية ايضاً كما مر معنا .

حادي عشر - يذكر مؤلف هذه الوثيقة ، انه كان قبلا في حيرة النعمان . واليك قوله بحذافيره : « ان عبدالله المؤمن ابن افعو ، احد الذين ذكرناهم اعلاه بانهم نقلوا لنا شهادة هؤلاء المظفرين ، كان قريباً من كل الامور ومن كل ما جرى في نجران ، وكل من استشهد منها ، لان افعو اباه كان من الزعماء المعروفين . واذ كان وثنياً آنذاك ، وبعد ذلك بعون الله الذي اهله ، عمدناه نحن باحتفال مهيب في بيعة المؤمنين الارثوذكسيين التي في حيرة النعمان ، اذ كنا لا نزال هناك ، هذا الشيخ الوقور والشريف المعروف افعو بالذات ، الذي كان سفيرا ايضاً بين الملوك ...» . فقوله « اذ كنا لا نزال هناك » ، يشير الى وجوده في الحيرة قبل تعميده افعو المومأ اليه لمدة طويلة بشكل متواصل . وينوه ضمنا بوجوده فيها سنة ٥٢٤ ، وبمقابلته المنذر في الرمله ، حيث وصل بحضوره وفد مسروق اليهودي المضطهد الى المنذر حاملاً اليه رسالته التي تضمنتها الوثيقة الاولى ، وبعودته الى الحيرة حيث اجتمع اليه وفد المسيحيين الحميريين ، وارسلوا ساعياً الى نجران ليأتيهم بالخبر اليقين ، وبتحبيره اثر ذلك الوثيقة الاولى التي ضمنها المعلومات الاولية عن الشهداء الحميريين ، واقامته مدة اخرى في الحيرة حيث توافد اليه بعض المؤمنين الحميريين ، بينهم الزعيم افعو الآنف الذكر الذي تنصر على يديه ، فعمده في بيعتنا في الحيرة . والاظهر ان المعروض الذي قدمه في اعقاب ذلك الى اوبروب اسقف الحبشة والى كالب ملكهم المؤمن بواسطة الشريف أميـة النجراني كما مر معنا ، كتب في الحيرة بالذات .

وبما ان هذه الوثيقة تتفق كل الاتفاق مع الوثيقتين الاولين ، وحيث ان كاتب الوثيقتين المشار اليها هو مار شمعون الارشمي كما اسلفنا ، فينتج ان الارشمي نفسه هو مؤلف هذه الوثيقة ايضاً ، أيد فيها ما تضمنته الوثيقتان السابقتان من الانباء ، واضاف اليها اموراً واحداثاً تاريخية اخرى ، قسمها فصولا وفق ما يقتضيه الكتاب . ولكنه لم يؤلفها في الحيرة بل في مكان آخر ، ربما كان مدينة الرصافة ، كما ارتأى بعضهم .

الفصل الرابع

ميزتهـــا

تمتاز هذه الوثيقة في اصلها ، عن الوثيقتين الاوليين ، بكونها كتابا مقسوما الى فصول ، ومتضمناً بالترتيب التاريخي اخبار دخول اليهودية والنصرانية الى بلاد الحميريين ، فالحملة الحبشية الاولى عليها سـنة ٥١٩ ، فالاضطهاد الذي اثاره مسروق اليهودي على مسيحييها سـنة ٥٢٣م ، فشـهدائها المسـيحيين ، فالحملة الحبشـية الثانية سنة ٥٢٥م . في حين ان الوثيقتين الاخريين لا تعـدوان عن كونها رسالتين مقتصرتين على اخبار الاضطهاد المشار اليه وشهدائه البواسل ، رغم انها قيمتان جداً ، ولا سيما بعد سقوط نصف هذا الكتاب من النسخة الفريدة الباقية كما مر معنا .

لقد وقفنا على قول الارشمي في الوثيقة الثانية ، انه لم يتمكن من كتابة كل ما جاء في الرسائل التي تليت امامه ، وهي باللغة النجرانيـة ، وذلك لكثرتها اولاً ولضعف بصره ثانياً . أي انه كتب منها فقط ما كان ضرورياً يومذاك ، الامر الذي يجيز لنا القول بان بعض الامور التي اضافها بعدئذ الى هذه الوثيقة ، كانت بين المواد الكثيرة التي اهملها في اثناء كتابته الوثيقة الثانية . وفي ما يلي اهم الامور المضافة :

١ ـ اسم الملك اليهودي المضطهد مسروق . ٢ ـ اسم احد قواد المضطهد ذو يزن . ٣ـ كتـاب مسروق الى الشريف الحارث ليسعي حالاً بجمع كل رجال الحرب من المسيحيين الذين في مدينة نجران ، وارسالهم اليه مدعياً انه على اهبـــة الخروج للحرب . وشخوصهم الى مسروق لجهلهم ما اتاه بالاحباش في ظفار وما كان يبيتـه لهم من الشر ، ثم عودتهم الى نجران حين دنوا من المكان الذي كان فيه مسروق ونما اليهم خبر جريمته الشنعاء . ٤ ـ شـهادة باكورة شهداء نجران حين قدومه في الطريق ، وقد قطع اليهود يمناه فيسراه فسـاقيه وهو يجاهر بنصرانيته . ٥ ـ شهادة القس موسى من حيرة النعمان . ٦ ـ شهادة ظريبة العفيفة حرقا بالنار في الكنيسة . ٧ ـ خبر اعجوبة ظهور نور ، وتفجر ماء وزيت ، وانبعاث رائحة

ذكية ، وسماع صوت الناقوس والصلاة في مكان استشهاد الشهداء . ٨ ـ شهادة النذيرة عمي (مع الشماسة اليشبع) . ٩ ـ خبر عبدالله المؤمن ابن افعو الوثني ، احد الذين نقلوا للمؤلف شهادة واسماء عدد كبير من مواطنيهم النجرانيين ، والذي استغل منصب ابيه ، كأحد العظماء الذين حول الملك ، فاستأذن الملك في دفن جثث الشهداء . ١٠ ـ تنصر افعو ابي عبدالله واقتباله العماد من المؤلف في بيعتنا في حيرة النعمان باحتفال مهيب . ١١ ـ خبر افعو المؤمن صهر الشهيدة حبصة النجرانية ، الذي نقل للمؤلف خبر شهادة حبصة وحية ، وجاءه ببركة من شعرهما . ١٢ ـ ذكر المكان الذي اعتاد ان يجتمع فيه اشراف نجران للتداول في امورهم ، وكان خارج المدينة ، قريباً من ابوابها وداخل السور . ١٣ ـ تفصيل شهادة حبصة بنت حيان الصغير ومن سلالة حيان الكبير الذي نشر النصرانية في نجران وبلاد حمير ، وشهادة حية الشابة وحية العجوز . ١٤ ـ تفصيل شهادة مئة وسبع وسبعين سيدة من شريفات نجران ، جمعهن القائد ذو يزن ، وذكر اسماء ست واربعين منهن ، وشهادة مئة واثنتين وعشرين سيدة اخرى من نجران ، جمعهن ذو يزن نفسه . ١٥ ـ اسم « عما » ابنة روهم بنت ازمع وام روهم الحفيدة ؛ استشهدت مع النساء النجرانيات قبل روهم بثلاثة ايام ؛ ما حدا روهم ان تأخذ اليها حفيدتها روهم دون ان تفارقها حتى الشهادة . واسم نعمان بن روهم بنت ازمع المشار اليها وكان قد استشهد مع اشراف نجران . ١٦ ـ حريق بيعة حضرموت وشهداء مدينتي مراب وهجرين . ١٧ ـ كنية او اسم والد المنذر ملك حيرة النعمان وهي زقيقة « المنذر بن زقيقة » . ١٨ ـ اسم الشخص الذي توجه الى الحبشة ورفع معروضاً باسم كنيسة بلاد الحميريين الى اوبروب اسقف الحبشة والى ملكها المؤمن كالب بما فعله مسروق بالمسيحيين ، وهو أمية الشريف النجراني .

اما الاحداث التاريخية الاخرى التي ضمنها المؤلف هذه الوثيقة (الكتاب) ومنها اخبار انتشار اليهودية والمسيحية في بلاد الحميريين ، وانباء الحملتين الحبشيتين على هذه البلاد ؛ فقد جمعها ورتبها بعد استقرار الاوضاع فيها .

الفصل الخامس

بعض هفوات لناشرها

سبق لنا ان قلنا ، ان ناشر هذه الوثيقة المستشرق السويدي اللامع السيد آكسل موبرغ ، تسلم مخطوطتها وقد لصقت اوراقها بعضها ببعض ، ففككها وعالجها بعناية بالغة ومهارة فائقة ، وجمع منها بقايا هذه الوثيقة ، ما بين صفحات كاملة ونصف كاملة وناقصة جداً ، يتخلل معظمها نقصان كثير او يسير . ومما دل على كفاءته باللغة السريانية ، تعبئته محل بعض العبارات او الكلمات المبتورة او الممحاة ، لتكميل المعنى بوضعه اياها بين قوسين . وكنا كغيرنا نعتبرها تعبئة صحيحة حتى اكتشافنا الوثيقة الثانية ، التي كشفت بدورها الشيء الكثير من الغوامض ، وعوضت عن كثير من العبارات المبتورة ، مصححة ما استعاض به الناشر عنها ، وكان بعضه يقلب المعنى رأساً على عقب .

وفي ما يلي تصحيح لتلك الهفوات :

اولاً — لقد امحت كلمة من عنوان الفصل العاشر ، فأضحى « في ... مدينة نجران » ، فعوض عنها الناشر بكلمة ܡܟܘܫܝܐ ليضحي العنوان « في تطويق مدينة نجران » . وبما ان الفصل المذكور تضمن الاخبار التي عقبت فتح المدينة لا حصارها فتكون الكلمة السريانية الصحيحة لهذا العنوان ܒܟܘܫܐ اي« فتح مدينة نجران » .

ثانياً — لقد امحت بعض كلمات من عنوان الفصل الخامس عشر الذي سقط من النسخة برمته ، فجعله الناشر « في شهادة الشريفة تهنة وامتها أُمّة حرقا بالنار » . والصحيح ، انه « في شهادة الشريفة تهنة وابنتها أمّة وأمتها حذية » كما ذكرت الوثيقة الثانية . وقد وردت اسماؤهن معاً في الفصل السادس عشر بالعبارة التالية : « وكيف ان الطوباويات الثلاث تهنة وأمّة وحذية ايضاً ، كن يرددن صارخات قائلات : انهن مسيحيات » . وقد روت الوثيقة انه كان لتهنة ابنة اخرى شابة اسمها حذية ، لم تدخل الكنيسة صحبة امها واختها ، لكنها لبثت في البيت ، حيث لحقها اليهود

واحرقوها بالنار . وهو نفس ما ورد في الوثيقة الثالثة وفي الفصل السادس عشر بالذات ، وعنوانه « شهادة الشريفة حذية ابنة الشهيدة تهنة التي استشهدت بالنار في دارها » . وقد مالأ ناشرَ الوثيقة على هذا ، واصفها ايضاً الطيب الذكر البطريرك افرام الاول برصوم . والصحيح هو ما اثبتناه اعلاه .

ثالثاً — لقد امحى من عنوان الفصل السادس والعشرين ، اسم الشهيدة ، وظل من اوله م ومن آخره ا ، فجعله الناشر « محسا » وقال « شهادة الطوباوية محسا امة الله التي كانت هي الاخرى من مدينة نجران . وهذه بالذات ... بين الناس ، وكانت حيناً ... الشريف والشهيد الحارث » . وبما ان الفصل قد سقط من النسخة برمته ، فبامكاننا الاستناد الى الوثيقة الثانية للتعويض عن الكلمات الممحاة في هذا العنوان . ذلك اننا نفهم من العنوان نفسه ان هذه الشهيدة كانت امة للشريف الحارث . وحيث ان الوثيقة الثانية وصفت بالتفصيل شهادة هذه الأمة الباسلة وسمتها « مانحة » ، فيكون اذن عنوان هذا الفصل « شهادة الطوباوية مانحة أمة الله التي كانت هي الاخرى من مدينة نجران . وهذه بالذات كانت منبوذة بين الناس ، وكانت حينا أمة للشريف والشهيد الحارث » . اما الواصف فاكتفى بقوله : « في شهادة محسا النجرانية » !

رابعاً — لقد امحت بعض كلمات من النبذة الباقية من الفصل السابع ؛ فاضحت كالتالي : « اوفد اليهم كهنة يهوداً من طبرية وشخصاً من ... مدينة ... وشخصاً آخر كان اسمه ... موهبة كان من حيرة النعمان » . فقال الواصف : « اوفد اليهم كهنة ويهودا من طبرية ورجلين من مدينة حيرة النعمان » . وبما ان هذه النبذة تنطبق على ما جاء في الوثيقة الثانية من هذا القبيل نصاً وفصاً ، فبامكاننا تعبئتها كما يلي : « اوفد اليهم كاهناً يهودياً (لا كهنة يهودا ولا كهنة ويهودا) من طبرية وشخصاً من مدينة نجران اسمه عبدالله بن ملك ؛ وشخصاً آخر كان اسمه كونب بن موهوبة (لا موهبة) كان من حيرة النعمان » .

خامساً — لقد امحت بعض كلمات وعبارات من النبذة الباقية من الفصل الثامن ، فأضحت كالتالي : « وثقوا (أي الاحباش) بأيمانه ببساطة قلبهم ،

وخرجوا اليه ، أبا بوت ر ... مع ثلاثمئة رجل ... معه . فقبلهم مسروق ... واظهر لهم ... قائلًا ان يقتل كل من ... الاحباش ... وفي الصباح توجد ... في مكان واحد ... رجالاً الى مدينة ظفار ... الكنيسة التي كان فيها الاحباش ، ومئتي ... الذين بقوا من الاحباش ... داخل الكنيسة ... رسلا صحبة كهنة ... بأيديهم الى البلاد ... يأمر فيها ... المسيحيين ، اللهم الا اذا ... وامر أن يحرق بيته كل من يخفي مسيحياً وكل ماله ...» فجعلها الناشر كما يلي : « وثقوا بأيمانه ببساطة قلبهم ، وخرجوا اليه أبا بوت (رئيسهم) مع ثلاثمئة رجل (محاربين) معه فقبلهم مسروق (عاديا) قائلًا ان يقتل كل من (اليهود) الاحباش (بهذا الليل) وفي الصباح توجد (اشلاؤهم) في مكان واحد ... (وارسل ايضاً) رجالاً الى مدينة ظفار ، (واحرقوا) الكنيسة التي كان فيها الاحباش ، والمئتان (والثمانون رجلا) الذين بقوا من الاحباش (احرقوهم) داخل الكنيسة ، (واوفد ايضاً) رسلا صحبة كهنة (ورسائل) بايديهم الى بلاد (الحميريين) يأمر فيها (ان يقتل جميع) المسيحيين ، اللهم الا اذا (كفروا وتهودوا) ... وامر بأن (يحرق) بيته كل من يخفي مسيحياً ، وكل ماله (يتلف) » ... اما الواصف فقال : وخرجوا اليه وكانوا ثلاثمئة محارب يرأسهم القائد (ابا بوت) ، فقبلهم قبولا عاديا الخ ». وبما ان هذا الفصل يتفق وما جاء في الوثيقة الثانية من هذا القبيل ، كل الاتفاق نصاً وفصاً ، فبامكاننا تصحيح هذه النبذة كما يلي : وخرجوا اليه ابا بوت رئيس قسوس الاحباش مع ثلاثمئة رجل . فرحب بهم (فقبلهم) مسروق واظهر لهم وجها باشاً ، وفرقهم على عظمائه ليقتل كل منهم الحبشي الذي في حوزته . وفي تلك الليلة قتل الجميع . وفي الصباح وجدت اشلاؤهم مكومة بعضها فوق بعض . وللحال ارسل رجالاً الى مدينة ظفار واحرق الكنيسة التي كان فيها الاحباش ، والمئتي رجل الذين بقوا من الاحباش داخل الكنيسة . واوفد للحال رسلا صحبة كهنة اليهود ورسائل بأيديهم الى البلاد الخاضعة لسلطانه ، يأمر فيها ان يقتل جميع المسيحيين اللهم الا اذا كفروا بالمسيح وتهودوا . وامر بأن يحرق هو وبيته كل من يخفي مسيحياً وان يصادر كل ماله » .

فأبا بوت اي الاب بوت ، لم يكن قائدا لجيش الاحباش ، بل رئيساً

لقسوسهم . كما ان مسروق لم يقبلهم قبولاً عاديا بل رحب بهم واظهر لهم وجهاً باشاً . وان الاحباش الذين احرقهم في كنيسة ظفار كانوا مئتي رجل فقط لا مئتي وثمانين . وقد نقل الناشر هذا العدد عن الوثيقة الاولى التي صححتها الوثيقة الثانية كما مر معنا . وكذلك ما ورد عن الذي يخفي مسيحياً في بيته . ليس ان بيته يحرق وكل ما له يتلف وحسب ، بل يحرق هو ايضاً مع بيته ويصادر كل ماله .

سادساً – لقد امحت بضعة اسطر من الفصل الثاني والعشرين الذي تحدث عن شهادة الشريفة روهم بنت ازمع . منها سطر جعل العبارة كالتالي : « هكذا قرضت حينا للملك معدي كرم الذي قبلك اذ احتاج واستقرض منها اثني عشر الف دينار . وبعد مدة اذ بلغها انه محتاج ، اكرمته ... وكثيرون يشكرون فضلها » وبما ان هذه الرواية تتفق والتي وردت في الوثيقة الثانية كل الاتفاق نصاً وفصاً ، فبامكاننا تعبئة السطر الممحى بما يلي : اكرمته « وتركتها له مع رباها » .

الفصل السادس

بعض هفوات واصفها

من هفوات واصف هذه الوثيقة ، فضلا عما تقدم ، الامور التالية :

اولاً – تسميته الوثيقة ب « كتاب الشهداء الحميريين » بدلاً من « كتاب الحميريين » الذي هو اسمها الثابت كما شهد الواصف نفسه في الفصل الرابع من مقالته. ذلك ان الوثيقة لم تقتصر على ذكر الشهداء الحميريين ، بل تضمنت ايضاً اخباراً اخرى كثيرة ، كانتشار اليهودية والنصرانية مثلا في بلاد حمير والحملتين الحبشيتين اللتين جردتا عليها .

ثانياً – قوله عن الشيخ النجراني الجليل حيان الكبير ، انه تنصر في القسطنطينية ص٢ . والانكى نسبته هذا القول الى رواية الشهيدة حبصة في ص٣١

و٣٢ من هذه الوثيقة بالذات ، في حين انها صفر منه . والصحيح ان حيان مر بالحيرة حيث الف النصارى وعرف مقالتهم ، وتنصر واعتمد[١] .

ثالثاً – نسبته الى المكتبة الشرقية للسمعاني ٣ : ٦٠٣ قوله « واخذ اهل حمير يكتبون بالقلم السرياني بدلاً من الخط المسند الشائع عندهم » ص٣ . والصحيح ان هذا الخبر لم يرد في مكتبة السمعاني بل في كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للاب شيخو ١ : ٥٩ نقلا عن العلامة ديساسي . اما قول السمعاني (في المصدر نفسه) الذي نقله الاب شيخو في الصفحة نفسها ، هو ان اللغة السريانية كانت دخلت في جهات عديدة من اليمن[٢] لا غير .

رابعاً – قوله عن مسروق ، « وكانت امه النصيبينية الاصل ، قد ربته على اليهودية ، فنشأ متعصباً لها ... دعا اهل نجران المسيحيين اليها » ص٣ . والصحيح انها كانت يهودية من نصيبين ، فربته على اليهودية »[١] . وان مسروق لم يدعُ الى اليهودية مسيحي نجران وحدهم بل مسيحي بلاد حمير كافة كما اثبتت الوثائق السريانية المبحوث فيها . ولذلك رأينا شهداء حضرموت ومأرب وهجرين ، الى جانب اهل نجران ، والاحباش الذين كانوا في ظفار .

خامساً – جعله استشهاد الحارث الشهم وبضع مئات من الرجال والنساء والاطفال ، في غضون سنة ٥١٩ – ٥٢٣ ص٣ . والصحيح ، ان الاضطهاد الذي اثاره مسروق الطاغية كان في سنة ٥٢٣ ، وفيه استشهد الحارث ورفاقه . غير ان هنالك شهداء نجرانيين آخرين ، تكللوا قبل هذا الاضطهاد ، وخاصة قبيل الحملة الحبشية الاولى التي جردت سنة ٥١٩ ، منهم مار بولس اسقف نجران الاول . وهم الذين احرق مسروق عظامهم في كنيسة نجران سنة ٥٢٣ كما اسلفنا .

سادساً – قوله : وجاء النبأ يوستينس قيصر الروم ، فأشار الى الملك كالب نجاشي الحبشة بمحاربة اليهودي ، ففعل ص٣ . والصحيح ان الحميريين اتصلوا مباشرة

---

١) راجع تاريخ سعرت مج١ ص٣٣٠ و٣٣١ طبعة المطران ادي شير .
٢) انظر هنا ص٥

بالملك كالب لا بالقيصر يوستينوس الذي لم يمت بأية صلة الى احداث الحميريين ، سواء أكان ذلك قبل اضطهاد مسروق ام بعده ؛ كما دلت الوثائق السريانية الثلاث . وقد ذكرنا في ما سلف ؛ نقلاً عن الوثيقة الاولى ؛ ان الارشمي كتب الى شمعون رئيس دير الجبول في سوريا الشمالية ؛ ليتصل بالاساقفة القديسين الهاربين مع المسيح الى مصر ، وبواسطتهم برئيس اساقفة الاسكندرية ؛ ليكتب بدوره الى ملك الحبشة واساقفتها لينجدوا الحميريين فوراً » . كما اكدنا استناداً الى الوثيقة الثانية ؛ انه قدم معروضاً بذلك الى كالب الآنف الذكر والى اوبروبيوس اسقف الاحباش . واوضحنا على ضوء الوثيقة الثالثة ؛ ان هذا المعروض كان باسم كنيسة بلاد حمير ؛ وقد رفعه الى كالب واوبروبيوس ؛ الشريف أمية النجراني الذي شخص بنفسه الى الحبشة لاجل هذا الامر . ولا بدع ؛ فلقد كان هذا الطريق مطروقاً[1] ؛ وخاصة منذ سنة ٥١٩ التي فيها رحل مار توما اسقف نجران الثاني الى الحبشة واخبرهم باضطهاد الحميريين للمسيحيين ؛ كما اثبتت هذه الوثيقة (الثالثة) بعنوان فصلها الرابع .

ومما يؤكد هذا ؛ قول مسروق في رسالته الآنفة الذكر الى المنذر بن زقيقة ملك الحيرة ، « ان الملك الذي كان قد نصبه الاحباش في بلادهم ؛ مات وادرك الشتاء ؛ ولم يقدر الاحباش ان يخرجوا الى بلادهم لينصبوا ملكاً مسيحياً كما اعتادوا فتملك هو على سائر بلاد حمير » ؛ الامر الذي يدل دلالة واضحة على ان المسيحيين الحميريين كانوا يومذاك تحت وصاية ملك الحبشة . فمن اذن أولى منه بانجادهم على اعدائهم اليهود ؛ خاصة وقد قضى هؤلاء على الحامية الحبشية التي كان ملك الحبشة بالذات قد تركها في ظفار بعد الحملة الاولى ؟

هذا وقد قلنا اكثر من مرة انه لا يعقل قط ان يستنجدوا من كان يضطهد في بلاده (أي يوستينوس) اخوانهم الارثوذكسيين ، ومن كان اضطهاده بالذات سبباً لما ارتكبه اليهود من الجرائم في حق الارثوذكسيين الحميريين .

سابعاً — قوله عن مؤلف كتاب الحميريين (الوثيقة الثالثة) ؛ « والمعروف

---

١) من هنا ينجلي لنا امر اختيار الرسول العربي الحبشة ملجأ لانصاره .

عنه انه كان يوماً في بيعة حيرة النعمان حيث عمد فتى عربياً من اشراف نجران اسمه عبدالله ابن الشيخ الجليل افعو او افعى ، وانه رحل بعد ذلك الى بلاد اليمن » ص٥ و١١ . والصحيح ؛ ان المؤلف « كان لا يزال هناك في حيرة النعمان » كما ذكر هو نفسه في هـذا الكتاب . أي انه يشير ضمناً الى وجوده فيها قبل ذلك الحادث لمدة طويلة بشكل متواصل كما مر معنا . فلا يصح القول بعد هذا « انه كان يوماً في بيعة حيرة النعمان » . اما الذي عمده فيها فليس الفتى عبدالله ابن الشيخ افعو بل افعو بالذات . اذ كان عبدالله مؤمنا . اما ابوه فكان وثنياً ، فتنصر واعتمد في بيعتنا في الحيرة على يدي مؤلف هذا الكتاب كما اسلفنا . وليس في هذا الكتاب أي دليل على رحلة المؤلف بعد ذلك الى بلاد اليمن .

ثامناً — قوله في ترجمة عنوان الفصل الخامس من هذا الكتاب : « في قدوم حيونا والحبشان لاول مرة لبلاد اليمن » . والصحيح ، ان العنوان خال من ذكر اليمن . بل لا ذكر لليمن في الكتاب كله . وقوله في ترجمة عنوان الفصل الثاني عشر : « في تقدم الاعفة ورجال الاكليروس الى مسروق » . وصوابها : « في خروج (النذراء) رجال الاكليروس الاعفة الى مسروق » . وقوله في ترجمة عنوان الفصل الثالث عشر : « في حرق البيعة واكليروس نجران وابنائها وسائر الذين احرقوا هناك » . وصوابها : « في حرق بيعة نجران واكليروسها وسائر الذين احترقوا هناك » . وقوله في ترجمة عنوان الفصل الخامس والعشرين : « في مضمون رسالة انفذها مسروق الى المنذر بن زقيق بن ماء السماء ملك حيرة النعمان يحرضه فيها على قتل المسيحيين » . وصوابها : « في مضمون ما كتبه مسروق نفسه الى المنذر بن زقيقة ملك حيرة النعمان ضد المسيحيين » . وذكره الفصل السابع والعشرين بين النبذ الباقية من فصول الكتاب ص٩ . والصحيح : ان هذا الفصل سقط برمته من النسخة . وقوله : « واغلق باب المدينة القريب من موضع اجتماعهن » ص١١ . والصواب : « وامر فأغلقت في وجههن ابواب المدينة ايضاً ، اذ كان ذلك المكان قريباً منها » . أي انها ابواب لا باب . وقوله : « ثم سرد المؤلف شهادة نساء نجرانيات اخريات ومئة واثنتين وعشرين امرأة مسيحية من نجران نفسها ، معظمهن تحمل اطفالهن » ص١٣ . والصواب : مئة واثنتين وعشرين امرأة ، كثير منهن

تحمل اطفالهن » . وقوله : « رسالة سريانية كتبها مار شمعون اسقف بيث ارشم السرياني سنة ٥٢٥ » ص١٥ . والصواب سنة ٥٢٤ .

هذا وقد وقع خطأ مطبعي في قوله ص٥ عن الكتاب : « نشره مستشرق سويدي ... سنة ١٩٣٤ » . والصواب : ١٩٢٤ كما ذكر هو نفسه ص٦ .

الفصل السابع
من اخطاء النساخ

لقد وقعت بعض أخطاء للنساخ في الوثائق السريانية المبحوث فيها ، لا تخفى عن الباحث ، منها :

اولاً — جعلت الوثيقة الثانية عدد النجرانيين الذين خرجوا الى مسروق اثر فتحهم المدينة ، « ثلاثمئة شخص من الاشراف » في اليوم الاول ، و « الفاً » في اليوم التالي . في حين ان هذه الوثيقة (الثالثة) جعلته « مئة وخمسين رجلا معروفاً » فقط . وبما ان كثيراً من هذا الخبر قد سقط من النسخة ، لا يمكننا ان نجزم في ما اذا كانت قد تضمنت العدد الثاني ام لا .

ثانياً — ذكرت الوثيقة الثانية ، ان استشهاد الاشراف والاعيان تم في ١٥ تشرين الثاني . في حين ان الوثيقة الثالثة ذكرت ان ذلك تم يومي الجمعة والاحد ٢٥ تشرين الثاني ، فدفنهم المؤمن عبدالله بن افعو ومن معه في يوم الاثنين . والانكى انها جعلت تاريخ الثلاثاء الذي بعده ٢٦ تشرين الثاني .

ثالثاً — جعلت الوثيقة الثانية ، شهادة الشريفات والاماء النجرانيات ، يوم الاربعاء ؛ عدا الشريفة روهم ؛ التي استشهدت يوم الاحد ٢٠ تشرين الثاني . في حين ان الوثيقة الثالثة اكدت ذهاب القائد ذي يزن الى نجران يوم الاثنين أي يوم دفن الاشراف بالذات ، وجمعه نحو مئة وسبع وسبعين امرأة استشهدن يوم الثلاثاء ٢٦ تشرين الثاني ، ثم جمعه مئة واثنتين وعشرين سيدة اخرى تمت كذلك شهادتهن .

رابعاً ــ جعلت الوثيقة الثانية ، شهادة الشريفة روهم يوم الاحد ٢٠ تشرين الثاني أي بعد ثلاثة أيام من مقتل الشريفات والاماء . في حين ان الوثيقة الثالثة ، جعلتها يوم الاربعاء ، وبعد ثلاثة ايام من شهادة النساء النجرانيات .

خامساً ــ ذكرت الوثيقة الثانية ، ان الشريفات والاماء قتلن في الوادي . اما الوثيقة الثالثة فقالت : ان اليهود رشقوهن بالسهام بأمر القائد ذي يزن ثم حزوا رؤوسهن ، وذلك في المكان الذي اعتاد ان يجتمع فيه الاشراف خارج المدينة ، وكان قريباً من ابوابها ، ثم سحلوا جثثهن الى الخندق الذي خارج سور المدينة حيث ألقوها وحفروا وطمروها جميعاً بالتراب .

سادساً ــ ذكرت الوثيقة الثانية ، شهادة حبصة وحية بنت ملك بالايجاز ، وقالت : ان جملين جراهما من ايلين الى مكان يسمى ايصله يبعد عن ايلين تسعة اميال . وان ارجلها فسخت من الكعب وظلت جثتاهما في الارض . اما الوثيقة الثالثة فذكرت معها حية اخرى عجوز ماتت على اثر تعذيبها . وقالت : ان حبصة هي بنت حيان الصغير من اسرة حيان الكبير الذي نشر المسيحية في نجران وبلاد حمير . ولم تذكر اسم والد حية الشابة كما فعلت الوثيقة الثانية . واضافت ان افعو صهر حبصة واثنين آخرين وجدوا جثة حية على بعد ١٢ ميلا وجثة حبصة على بعد ١٥ ميلا ، وان الحبال انقطعت عن الجمل الذي كان يجر حية . اما الجمل الآخر فكان رابضاً ، فبادر افعو بهدوء وقطع الحبال بالسيف فقام الجمل ومضى لحاله .

الفصل الثامن

الملكان كالب ومسروق في التاريخ

لم تذكر الوثيقتان السابقتان اسم الملك اليهودي المضطهد . اما هذه الوثيقة فذكرته باسم مسروق . وبهذا الاسم عرفه يوحنا بسلطوس نحو سنة ٦٠٠ ودونه في مقدمة معنيثه في الشهداء الحميريين . وبه ايضاً عرفه مؤلف تاريخ النساطرة المعروف بتاريخ سعرت في النصف الاول من القرن الحادي عشر . والارجح ان هذه

الوثيقة هي اصل رواية كلا المؤلفين . وبما ان الفصول الاولى قد سقطت من نسختها كما مر معنا ، فلا يمكننا ان نعرف منها شيئاً عن اصل مسروق . اما تاريخ سعرت فيقول عنه ما يلي : «... وبعد مـدة من الزمان ملك على تلك البلاد ملك يهودي يقال له مسروق ، وكانت امه يهودية سبيت من اهل نصيبين ، وابتاعها احد ملوك اليمن ، وولدت مسروقاً وعلمته اليهودية ، وملك مكان ابيه ، وقتل خلقاً من النصارى »[1] . أي ان ابا مسروق كان ملكا وامه كانت عبـــدة يهودية ، ولذلك ابتعد هو عن اخلاق اسلافه .

انه من المحال التوفيق ما بين ما ورد في الوثيقة الثالثة وبين المعلومات التي قدمها المؤرخون البيزنطيون بهذا الصدد ، ولا سيما في ما يخص اسماء مشخصي هذه الرواية . فاذا كان « مسروق » اسم الملك اليهودي المضطهد كما اكدت هذه الوثيقة والروايات السريانية الاخرى ، فكيف اذن انقلب الى « دوناأس في قصة القديس الحارث اليونانية ، « وذو النواس » لدى المؤرخين العرب المسلمين[2]؟ فهل مسروق هو نفس « دوناأس » او « ذو نواس » ؟ وهـل « ذو نواس » كان اسما ام كنية للعشيرة التي كان ينسب اليها « مسروق » ، كما كان مثلا « ذو يزن » ، ومنه سيف بن ذي يزن في ختام هذا القرن كما اسلفنا ؟

وما قلناه بخصوص اسم مسروق نقوله ايضاً بخصوص اسم ملك الاحباش الذي قضى عليه . فقد ذكرته هذه الوثيقة والوثيقة الثانية باسم « كالب » المؤمن . امـا القصة اليونانية فجعلته « الاسبها » (اليسباس) . وقد اتضح اليوم ان « كالب » هو الاسم الصحيح للملك الحبشي الذي عرف ب « الاسـبها » . بل ورد كذلك في الترجمة الكيزية للقصة المذكورة[3] .

لقد ارتأى ناشر هذه الوثيقة (الكتاب) ، « ان مؤلف القصة اليونانيـة ، قد يكون يونانياً جنساً او من اثرت فيه الآراء اليونانية ، وان التصميم كله والخطوط

---

١) راجع تاريخ سعرت مج١ ص٣٣٠ و٣٣١ طبعة المطران ادى شير .

٢) تاريخ الطبري ج٢ ص١٠٥ المطبعة الحسينية المصرية .

٣) تحقيق ناشر كتاب الحميريين في مقدمته الانكليزية عليه .

الرئيسية في هذه القصة مع جملة تفصيلات اخرى ، كلها تمتّ الى هـذا الكتاب بصلة متينة . بل ان القصة هي اكثر من خلاصة بقليل لبعض فصول الكتاب . غير ان كثيراً من الامور الخاصة الواردة فيها تتنافى وروح هـذا الكتاب » . ويخلص الى القول : « ان الكتاب هو المصدر الرئيسي لها ، نهلت منه (ما طاب لها) ثم حورت واجملت بل اضافت ما لاءمها من الامور باسلوب قصصي خيالي مجنح . ومع هذا ، فانه لم يكن المصدر الوحيد لها . ذلك ان هذا الكتاب لم ينسب أي تأثير الى القيصر يوسطينوس الاول على الاحداث كما فعلت هي . فمن أي مصدر اذن استقت الاخبار التي تشير الى معرفتها الحقة بالموانىء والملاحة في البحر الاحمر ، وتسمي الملكين الحصمين : اليسباس ودوناس ، في حين ان الكتاب والرسالة صفر من ذلك ؟ لا شك في ان ذلك المصدر مجهول بل مفقود اليوم . اما المؤرخون العرب المسلمون فقد اعتمدوا التقليد اليوناني في هذا الامر » .

الفصل التاسع

عدد شهداء هذا الاضطهاد

لقد ذكر الطبري نقلا عن ابن اسحق ، ان ذا نواس قتل من اهل حمير وقبائل اليمن قريبا من عشرين الفا[1] . بيد اننا لا نرى هـذا العدد في الوثائق السريانية المبحوث فيها .

فالوثيقة الاولى مثلا روت قول المضطهد اليهودي في رسالته الى المنذر ملك الحيرة ، انه فكر قبل كل شيء في ابادة نصارى تلك البلاد اذا لا يتهودون مثله ، فقضى اولا على الحامية الحبَشية ، وكانوا مئتين وثمانين شخصاً ما بين اكليريكي وعلماني . وذكرت مجزرته الرهيبة التي روعت نجران ، وفتكه بجميع الاشراف النجرانيين برئاسة الشيخ الحارث بن كعب ، وبكثير من الاطفال . كما ذكرت نقلا عن الساعي الحيري شهادة نساء هؤلاء الاشراف ، والنذيرات والراهبات اللواتي لم يحترقن في الكنيسة . والوثيقة الثانية ذكرت ان الاحباش الذين فتك بهم المضطهد اليهودي

١) تاريخ الطبري ج٢ ص١٠٥ ومعجم البلدان لياقوت الحموي مج٨ ص٢٦٢ .

في مدينة ظفار ، كانوا خمسمئة شخص ما بين اكليريكي وعلماني . وسجلت شهادة اربعة قسوس وعلمانيين اثنين من حضرموت ، وقالت ان اشراف نجران الذين خرجوا الى المضطهد برئاسة الشيخ الحارث ، وُقتلوا ، كانوا الف شخص ، وان رجال الاكليروس والنذراء والنذيرات والشبان والشابات الذين ملأوا بهم كنيسة نجران واحرقوهم معها ، بلغوا الالفين ، فضلا عن عدد آخر وافر من اشراف وشريفات واماء نجران الذين ارتمى بعضهم تلقائياً في النار فوق هؤلاء الشهداء ، والبعض الآخر نال اكليل الشهادة خارج المدينة .

اما الوثيقة الثالثة التي تحت الدراسة ، فقد تضمنت في الاصل شهادة الاحباش في ظفار ، وشهادة عدد وافر من الحميريين العرب اهل نجران وحضرموت ومأرب وهجرين ، غير ان يد الضياع تناولت معظمهم ، ولم يبق في نسختها الفريدة سوى عدد الشهداء الاحباش وهو خمسمئة ، ونحو ٤٧٥ من شهداء وشهيدات نجران ، منهم ٢٩٩ امرأة كان كثير منهن تحمل اطفالهن .

ان ما ورد في الوثيقة الثانية من هذا القبيل ، يتفق وما جاء في قصة الحارث التي صرحت بان عدد الشهداء هو ٤٠٠٠ نفس[١] فتكون رواية ابن اسحق اذن مبالغاً فيها.

وهؤلاء الشهداء المظفرون هم الذين عناهم القرآن الكريم باصحاب الاخدود في سورة البروج من خبر الشهداء ، وسماهم مؤمنين بقوله : « ١ ـ والسماء ذات البروج ٢ ـ واليوم الموعود ٣ ـ وشاهد ومشهود ٤ ـ قتل اصحاب الاخدود[٢] النار ذات الوقود ٥ ـ اذ هم عليها قعود ٦ ـ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ٧ ـ وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد ٨ ـ الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد » .

وروى ياقوت الحموي قول الرسول العربي : « وما من ليلة الا وينزل على نجران سبعون الف ملك يسلمون على اصحاب الاخدود ولا يرجعون اليها بعد هذا ابدا»[٣].

١) تحقيق ناشر كتاب الحميريين في مقدمته الانكليزية عليه .
٢) تاريخ الطبري ج٢ ص١٠٥ .
٣) معجم البلدان . مطبعة السعادة ــ مصر سنة ١٩٠٦ مج٨ ص٢٦٣ .

الفصل العاشر

مسؤولية صلب المسيح في تعليم الكنيسة

لقد مر معنا ، ان مؤلف هـــذه الوثيقة النحرير ، والشـهداء المظفرين ، والنجاشي الحبشي ، كلما ذكروا مسروق المضطهد خاصة واليهود عامـة ، شـفعوهم ببعض الاوصاف . منهـا : « الصالبون » و « الصالبون ربهم » و « الحرب مع الصالبين » . قالت الشهيدة ظريبة العفيفة لمسروق بعد ان عرض عليها ان تكفر بالمسيح وتبصق في صليبه ، « اكفر بك ايهـا اليهودي الصالب » . وصلت قائلة : « ربنا ... اخفض جناح صالبيك » . وقالت الشريفة حذية ابنة الشهيدة تهنة لليهود : « كفرا بملككم وبكل الذين يذعنون لكم ايها اليهود الصالبون ربهم » . وقال احد الشهداء في صلاته : « ربنا ... اخفض شأن اليهودية التي صلبتك ، وعاقب مسروق الصالب » . وقالت الشريفات الشهيدات النجرانيات للقائد ذي يزن الصالب : « اننا نكفر بملكك وبك وبكل الذين يذعنون لكم ايها اليهود الصـالبون ربهم » وقالت الشريفة حبصة بنت حيان لجارها اليهودي : « ايها اليهودي الصالب ... كفرا بملكك الصالب ربه » . وقالت للملك المضطهد « لا يترك لك عقب ليشتم خالقه ، ايهـا الصالب ، الصالب ربـه » . وقالت الشريفـة روهم بنت ازمـع لرجال مسروق : « كفرا بملككم الصالب ربه ، وبكم وبجميـع اصحابكم اليهود الصـالبين » . وقالت لمسروق « كفرا بك ايهـا اليهودي الصالب ربه » . فرددت قولها هذا ابنتهـا أمّة وحفيدتها روهم . وقالت له ابنتها أمّة : « الا حرمت رحمة الله ايها الصالب القاتل ربه » . وقال النجاشي كالب في خطابه : « لقد قاتل الرب عنا اعداءنا صالبيه » . وقال : « ولو ان (اليهود) لا يستحقون الرحمة لانهم صلبوا ربهم وقتلوا عبيده » .

كان ذلك في الربـع الاول من القرن السادس ، وهو يدل دلالة واضحة على تعليم الكنيسة في كل اجيالها وامصارها ، قبل انقسامها وبعده ايضاً ، بان مسؤولية صلب السيد المسـيح لم تنحصر في تلك الفئة اليهودية التي هاجت وماجت على صلبه وموته ، بل تعدتهـا الى جميـع اليهود الذين لم يتنصروا ، في كل عصر ومصر الى

منتهى الدهر ، وفقاً للكتاب العزيز[1] . كيف لا وقد ادخلت هذا التعليم في صلب عقائدها وعبادتها ، فاحتل مكان الصدارة في طقوسها واناشيدها منذ اقدم العصور حتى اليوم[2] .

الفصل الحادي عشر

مآتي الاحباش في بلاد الحميريين

لقد روت هذه الوثيقة (الثالثة) ان كالب المؤمن ملك الحبشة ، انجد الكنيسة الحميرية ، فشخص بجيشه وعلى رأسه القائد زاونس الى بلاد الحميريين بحراً لتدويخها ، وحاربوا الحميريين في البحر وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، منهم مسروق الطاغية الذي قتل وسقط في البحر ، فجر جثته احد الاحباش المؤمنين الى ساحل البحر حيث كان الماء رقيقا ، ثم استل سيفه وحز رأسه . ثم طاردوا جنوده وحصدوهم كالسنابل ، وقبضوا على كثيرين ممن لم يستطيعوا الهرب . ثم اجتازوا بالمدن الحميرية كلها وتناولوها قتلا ونهبا ، وفتكوا باليهود فتكاً ذريعاً حتى مادت الارض من جراء الاهوال التي اتوها فيها والتي يعجز القلم ان يحصرها .

واطلق كالب سبيل المعترفين الذين كان مسروق قد سجنهم في نجران عند نزوحه عنها . ومنع جنوده من قتل من يجدون علامة الصليب على يده ، فنجا بهذه الوسيلة كثيرون من اليهود الذين اخذوا هم الآخرون يسِمونها على أيديهم .

وقبل توبة المسيحيين الذين كانوا قد كفروا ابان الاضطهاد ، ثم ندموا وتابوا وامر الكهنة الذين معه ليغفروا لهم . فأقاموا صلاة من اجلهم وغفروا لهم . واذن

---

١) راجع بياننا في عقيدة الكنيسة المسيحية في مسؤولية صلب السيد المسيح .

٢) لقد اجرت روما بواسطة البابا يوحنا ٢٣ ، تعديلا على صلاة الاحد ، التي كانت تشير الى اليهود على انهم الشعب العاصي ، الامر الذي جعل المنظمات الصهيونية تكيل ليوحنا المديح . راجع المجلة البطريركية — دمشق ، العدد ٢٥ ، حول وثيقة تبرئة اليهود ، الكاردينال (بيا) وتهويد الكنيسة ، بقلم سليم نصار ، عن جريدة الصفاء البيروتية ٢٧ / ١١ / ١٩٦٤ . واقرت في اعقاب ذلك وثيقة المجمع الفاتيكاني في تبرئة اليهود من صلب السيد المسيح .

لهم بناء على فتوى اوبروبيوس اسقف الحبشة ، في تناول الاسرار المقدسة بعد سنة فرضها عليهم للتوبة ، ولو ان القوانين في البلاد الاخرى تفرض على التائبين من هذا القبيل توبة تستغرق اعواماً عديدة .

وانتخب رجلا من اعيان الحميريين الوثنيين ومن سلالة مملكتهم لينصبه ملكا . فتنصر ، وبأمره عمده الكهنة الاحباش الذين يرافقونه ، واقتبله هو من المعمودية وجعله ابنه الروحي ، ثم نصبه ملكا على بلاد حمير ، واخضع البلاد للجزية .

واقام وعساكره في البلاد الحميرية زهاء سبعة اشهر ، بنى خلالها فيها عدة كنائس ، عين لها كهنة ممن كان معه . فتكاثر عـــدد المؤمنين هناك تحقيقاً لآمال الشهيدة الشريفة حبصة والحارث النبيل . وبعد ان ترك ثمـــة خلقاً من الاحباش لحراسة الملك ولصيانة الكنائس ، انقلب مع عساكره بالسلام الى بلاده ، مصطحباً معه جالية كبرى من الحميريين الضالين ، وخمسين رجلا من اكابر بيت الملك .

وقصارى القول ، ان الاحباش جددوا نضارة المسيحية بل الارثوذكسية في بلاد حمير اكثر من ذي قبل .

اما اسم الملك المشار اليه ، فلم يكن بالنظر الى هـــذه الوثيقة ، ابرهة كما اوردته قصة الحارث اليونانيـــة ، بل ألفرنا كما ورد في آخر رسـالة الارشمي الاولى طبعة غويدي ، او الفزرا كما في غيرها . وقد ظلت منه راء فقط في النسخة الفريدة لهذه الوثيقة[1] . وفي هذا الامر ايضاً استند المؤرخون العرب المسلمون الى التقليد اليوناني . وبحسب رأي هؤلاء المؤرخين ، ان الملوك الذين نصبهم الاحباش في اليمن حتى سنة ٥٧٥ ، اربعة وهم : ارباط وابرهة الاشرم وابناه يكسوم ومسروق . ثم استعان الزعيم سيف بن ذي يزن بالفرس على اخراج الاحباش من اليمن كما مر معنا. وفي سنة ٥٩٧ تسلط عليها الفرس حتى فتحها المسلمون في اوائل القرن التالي .

١) تحقيق ناشر كتاب الحميريين في مقدمته الانكليزية عليه . هـــذا وقد ورد ذلك ايضا في اعقاب رسالة الارشمي الاولى طبعة بيجان (اخبار الشهداء والقديسين مج١ ص٣٩٧) .

الباب السادس

في النصرانية في البلاد الحميرية بعد الفتح العربي الاسلامي

الفصل الاول

النصارى الحميريون ابان الفتح العربي الاسلامي

ظلت المسيحية زاهرة في جنوبي الجزيرة العربية وخاصة في نجران ، حتى الفتح العربي الاسلامي . وقد اشتهرت في نجران ، الكنيسة التي بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي على بناء الكعبة ، وعظموها مضاهاة للكعبة وسموها كعبة نجران . قال فيها الاعشى :

وكعبة نجران حتم عليـ ـك حتى تناخي بابوابها
نزور يزيدا وعبد المسيح وقيسا هم خير اربابها

وكان فيها اساقفة معتمّون ... وذكر هشام ابن الكلبي ... كان اذا جاءها الخائف أمن ، او طالب حاجة قضيت ، او مسترفد ارفد . وكان لعظمها عندهم يسمونها كعبة نجران ... وقد روي عن النبي انه قال : القرى المحفوظة اربع مكة والمدينة وايلياء ونجران ، وما من ليلة الا وينزل على نجران سبعون الف ملك يسلمون على اصحاب الاخدود ولا يرجعون اليها بعد هذا ابدا[1] .

واشتهر من اساقفة نجران في هذا الزمان قس بن ساعدة (+٦٠٠) الخطيب المصقع والحكيم الذي كان يحضر مواسم الحج في مكة ويخطب جهاراً في سوق عكاظ ضد الوثنية والشرك . وكان محمد يستمع اليه بسرور كما اثبتت اخبار العرب[2] .

وفي سنة عشر هـ فتحت نجران صلحاً ، فوفد على الرسول العربي وفدها ، وفيهم السيد واسمه وهب والعاقب واسمه عبد المسيح والاسقف وهو ابو حارثة[3].

١) معجم البلدان لياقوت الحموي مج٨ ص٢٦٣ .
٢) راجع كتاب شعراء النصرانية للاب لويس شيخو ص٢١١ وما بعدها .
٣) معجم البلدان مج٨ ص٢٦٤ . اما ابن العبري فيسمي هذا الاسقف يشوع . ولعله « يشوع ابو حارثة »

وكان هذا الوفد مؤلفاً من ستين شخصاً ، منهم اربعة عشر من اشرافهم ، وثلاثة من كبار دينهم . فاجتمعوا به في مسجده وعليهم الحبرات . وجرت بينهم مناظرة كان اهم مواضعها ، ولادة (عيسى) المسيح وصلته بالله ورسالته . وقد جادلوه مستشهدين بما قرره من ان عيسى كلمة الله وروحه[1] ، ثم دعاهم الى المباهلة فتمنعوا وصالحوه[2] ووادعوه ، صامدين على موقفهم كما صمد هو ايضاً على موقفه . وقالوا له : يا ابا القاسم قد رأينا الا نلاعنك ، وان نتركك على دينك ؛ ونرجع على ديننا فانكم عندنا رضا[3] فكتب لهم كتابا[3] . قال العلامة ابن العبري : وفي هذا الزمان ، ظهر محمد نبي المسلمين . وكان آنذاك شخص اسمه السيد ، رئيساً على المؤمنين النجرانيين الذين في الصحراء . فحمل هدايا وتقدمات ، واصطحب اسقفهم يشوع وشخص اليه ، فحظي منه بكتاب عجيب توصية بالمسيحيين ، مفاده : ان يحميهم المسلمون من جميع المضار ، والا يضطروهم الى مرافقتهم الى الحرب او الى تغيير شعائرهم وشرائعهم . وان يساعدوهم في بناء كنيسة متهدمة يريدون تجديدها . وفي ما يخص الجزية ، امر ان تكون على الضعفاء من غير الكهنة والرهبان ، اربعة دراهم فقط ، وعلى التجار والاغنياء اثني عشر درهما . واضاف : اذا وجدت امرأة مسيحية في بيت احد المسلمين ، لا يجوز ان يضطرها الى ترك دينها ، او ان يمنعها من ممارسة صومها وصلاتها وتعلم عقيدتها ، وما اليها[4] .

الفصل الثاني

النصارى الحميريون بعد الفتح العربي الاسلامي

لم يكن الرسول العربي مرتاحاً لوجود اهل نجران في جنوبي الجزيرة العربية

١) سيرة الرسول لدروزة ٢ : ١٤٨ .

٢) معجم البلدان مج٨ ص٢٦٤ .

٣) السيرة لابن هشام ٢ : ٣٣م . هذا ولا ندري كيف نوفق بين هذا الخبر وبين الذي رواه الطبري في تاريخه ج٣ ص١٥٦ و١٥٧ فقد ذكر ان الرسول العربي بعث في السنة العاشرة هـ خالد بن الوليد سرية في اربعمئة الى بني الحارث بن كعب بنجران وامره ان يدعوهم الى الاسلام ثلاثا قبل ان يقاتلهم والا قاتلهم . فاسلموا ووفدوا الى محمد الذي عين لهم من يفقههم في الدين ومعالم الاسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم .

٤) تاريخه الكنسي بالسريانية مج٣ ص١١٥ — ١١٧ طبعة ابلوس ولامي .

بالرغم من كتابته لهم هذا الكتاب الكريم . ولذلك امر باجلائهم ، وهو على فراش الموت . فلما ولي ابو بكر انفذ ذلك لهم ، ولكنه هو الآخر امر باجـلائهم ، وهو على فراش الموت . فلمـا ولي عمر ابن الخطاب اجـلاهم الى العراق واشـترى منهم اموالهم[1] . ذلك انه في السـنة الثالثة عشرة هـ (٥٣٥م) بعث يعلى بن أُميـة الى اليمن وامره باجلاء اهل نجران لوصية كل من الرسول العربي وابي بكر بذلك في مرضهما كما قلنا . وقال : « ائتهم ولا تفتنهم عن دينهم ثم اجلهم من اقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، وامسح ارض كل من تجلي منهم ثم خيرهم البلدان واعلمهم انا نجليهم بامر الله ورسوله ، ان لا يترك بجزيرة العرب دينـان . فليخرجوا من اقام على دينه منهم ثم نعطيهم ارضاً كأرضهم اقراراً لهم بالحق على انفسـنا ووفاء بذمتهم في ما امر الله من ذلك بدلا بينهم وبين جيرانهم من اهل اليمن وغيرهم في ما صار لجيرانهم بالريف[2] .

قال ياقوت الحموي نقلا عن ابي عبيدة في كتاب الاموال ... قال رسول الله لأخرجن اليهود والنصـارى عن جزيرة العرب حتى لا ادع فيها الا مسـلما . قال فاخرجهم عمر ... وانما اجاز عمر اخراج اهل نجران وهم اهل صلح ، بحديث روي عن النبي فيهم خاصة عن ابي عبيدة بن الجراح عن النبي انه كان آخر مـا تكلم به انه قال : اخرجوا اليهود من الحجاز واخرجوا اهل نجران من جزيرة العرب . وعن سالم ابي الجعد قال : جاء اهل نجران الى علي فقالوا شفاعتك بلسانك وكتابتك بيدك اخرجنا عمر من ارضنا فردها الينا صنيعة . فقال يا ويلكم ان كان عمر رشيد الامر فلا اغير شيئاً صنعه[3] .

وقال نقلا عن ابي حسان الزيادي : انتقل اهل نجران الى قرية تدعى نهرابان من ارض البحر المنقطع من كورة البهقباذ من طساسيج الكوفة ... واستقروا به وسمي نجران باسم بلدهم وهو موضع على يومين من الكوفة في ما بينها وبين قاسـط على الطريق[3] .

---

١) معجم البلدان لياقوت الحموي مج٨ ص٢٦٤ .

٢) تاريخ الطبري ج٤ ص٦٢ .

٣) معجم البلدان مج٨ ص٢٦٢ و٢٦٣ .

الفصل الثالث

ابرشية نجران الكوفة

بعد ان استقر اهل نجران في نجران الكوفة ، وانتظمت احوالهم ، تألفت منهم في القرن التاسع ابرشية اسقفية خاصة ، عرفت تارة باسم ابرشية النجرانيين ، وطوراً باسم ابرشية النجرانيين والمعديين او النجرانيين والتغالبة . مع العلم ان كلا من المعديين والتغالبة ، كان يؤلف قبلا ابرشية خاصة مستقلة عن غيرها . ومن اساقفة المعديين في هذه الفترة بالذات ، احودامه ، التاسع عشر من اساقفة البطريرك القديس يوحنا الثالث[1] (٨٤٦ — ٨٧٣) . ومن اساقفة التغالبة ، يعقوب ، وباخوس ، ويوحنا ، السابع عشر والسابع والخمسون والثامن والسبعون من اساقفة البطريرك يوحنا المشار اليه . ورغم كون هذه الابرشية في ولاية مفريان تكريت ، فانها كانت تراجع البطريرك مباشرة . وفي شباط سنة ٨٦٩م اقر البطريرك يوحنا الثالث في مجمع كفرتوثا في القانون الخامس « ان تكون ابرشية النجرانيين المعديين تابعة لتكريت ان رضي اولئك العرب »[2] . ولكنهم لم يرضوا .

هذا وقد ذكرت سلسلة الاساقفة الملحقة بتاريخ مار ميخائيل الكبير ، بين سنتي ٨٤٦ ـ ٩٣٥ اسماء اساقفة هؤلاء النجرانيين وهم : شليمون (سليمان) اسقف « النجرانيين والمعديين » الثالث والخمسون من اساقفة البطريرك يوحنا الثالث ، ويعقوب اسقف « النجرانيين » التاسع والعشرون من اساقفة البطريرك ثاودوسيوس (٨٨٧ ـ ٨٩٦) ، وثاردورس اسقف « النجرانيين والتغالبة » السابع عشر من اساقفة البطريرك يوحنا الرابع[3] (٩١٠ ـ ٩٢٢) ، ويوحنا اسقف « النجرانيين والمعديين » الثالث عشر من اساقفة البطريرك باسيليوس الاول (٩٢٣ ـ ٩٣٥)[4] .

وبعد القرن العاشر يصمت التاريخ الكنسي عن هذه الابرشية صمتا عميقا .

---

١) سماه بعضهم الرابع .
٢) هدايات ابن العبري ٧ : ١
٣) سماه بعضهم الخامس
٤) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص٧٥٥ — ٧٥٩ .

فهرس الاعلام

« ا »

« ب »

« ت »

« ث »

« ج »

« ح »

« خ »

« د »

« ذ »

« ر »

« ز »

« س »

« ش »

« ص »

« غ »

« ف »

« ق »

« ك »

« ل »

« م »

« ن »

« هـ »

« و »

« ي »

فهرس الكتاب

الباب الاول

في النصرانية في البلاد الحميرية

صفحة

الباب الثاني

في الوثائق السريانية

الباب الثالث

الوثيقة الاولى ـ دراسة وتحليل

الباب الرابع

الوثيقة الثانية ـ دراسة وتحليل

الباب الخامس

الوثيقة الثالثة ـ دراسة وتحليل

صفحة

الباب السادس

في النصرانية في البلاد الحميرية بعد الفتح العربي الاسلامي

اصلاح الخطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤	١١	من ملوك الفرس والروم	من ملكي الفرس والروم
		الذين طردوا المسـيحيين ونفوهم	اللذين طردا المسيحيين ونفيـاهم
١٦	٢٤	الحميربين	الحميريين
٣٧	١٠	على الكفر	للكفر
٣٩	٢٤	فنانها	فنائها
٥٦	٢١	فنانها	فنائها
٦٥	١٢	ظربية	ظريبة
٧٤	١٦	الملك	بالملك
٨٣	١	ارسل الى	ارسل اليه الى
٨٤	١٦	سيف ذو يزن	سيف بن ذي يزن
٨٦	١٦	الخليقدونين	الخلقيدونيين
٨٧	١٩	الارثوذكسين	الارثوذكسيين
٩٢	١١	المسيحين	المسيحيين
١٠٠	٥	بشي	بشيء
١٠٢	١٣	وابنتها حذية	وأمتها حذية
١٠٣	٢٢	دمها	دمهيا
١١٠	١٤	ماله	ما له

ملحق

بكتاب « الشهداء الحميريون العرب »

صفحة	سطر	
٨٦	بعد السطر الاخير من المتن	

وفي سنة ٥٢٤ بالذات غادر الارشمي حيرة النعمان، فدخلها بعض مشايعي يوليان الخيالي، فكتب اليها مار يوحنا التلي الآنف الذكر مفندا بدعة يوليان ومحذراً الحيرة من مغبتها[٣]

صفحة	سطر
١٢٢	١٧

ذكر مار ميخائيل الكبير ان الملك اسمه ابراهيم. فلما استتب الامن في بلاد الحميريين ، ارسل هذا الملك الى الاسكندرية فاستقدم لهم اسقفاً من البابا طيمثاوس الثالث الذي لم يتزعزع قط ولم يقبل المجمع الخلقيدوني[٢]

---

٣) سيرة مار يوحنا التلي بالسريانية ص٦٢ و٦٣

٢) تاريخه ص٢٧٤ .